ثلاث رسائل دبلوماسية

من البلاط المغربى الى البلاط الاسبانى
فى أوائل القرن السابع عشر الميلادى

وقفتُ أثناء بحوثى فى دار المحفوظات الإسبانية العامة بقلعة شنت منكش Simancas على مقربة من بلد الوليد Valladolid على مجموعة من الوثائق الدبلوماسية المغربية ، هى عبارة عن رسائل مختلفة أرسلت من ملوك المغرب ، وأمراء تلمسان وتونس ، إلى ملوك إسبانيا ، منذ الإمبراطور شارلكان حتى فيليب الرابع فى أغراض مختلفة ، بعضها فى التماس الحماية والتحالف ، ضد أمير البحر التركى خير الدين ، وبعضها فى أغراض أخرى . ولفت نظري من محتويات هذه المجموعة بالأخص ثلاث رسائل ، وجهت من ملوك المغرب إلى ملوك إسبانيا ، وذلك فى النصف الأول من القرن السابع عشر ، منها رسالتان من السلطان الأمير العالم مولاى زيدان الحسنى السعدى ، وجهت إحداهما إلى فيليب الثالث ملك إسبانيا فى سنة ١٠١٧ هـ (١٦٠٨ م) ووجهت الثانية إلى وزيره الدوق دى مدينه فى سنة ١٠٢٣ هـ (١٦١٤ م) . أما الثالثة فقد وجهت من سلطان مراكش الأمير العلى الناصرى إلى فيليب الرابع ملك إسبانيا فى سنة ١٠٥٠ هـ (١٦٤٠ م) .

وتبدو أهمية العلائق الدبلوماسية بين المغرب وإسبانيا ، فى عهد السلطان مولاى زيدان ، الذى حكم من سنة ١٠١٢ إلى سنة ١٠٣٧ هـ (١٦٠٣ — ١٦٢٧ م) ، على ضوء الحوادث الخطيرة ، التى وقعت يومئذ على ضفتى المضيق ،

فى اسبانيا والمغرب . فأما فى المغرب فقد اضطرمت الحرب الأهلية ، على إثر وفاة السلطان أحمد المنصور الذهبى السعدى ملك المغرب فى سنة ١٠١٢ هـ (١٦٠٣ م) بين أبنائه الثلاثة ، أبى عبد الله المأمون المعروف بالشيخ ، وكان ولى عهده الذى اختاره للملك من بعده ، وأبى فارس الملقب بالواثق بالله ، ومولاى زيدان . وكان أعيان فاس وعلماؤها ، قد بايعوا عقب وفاة المنصور لولده زيدان ، وبايع أهل مراكش لولده أبى فارس . ولكن معركة نشبت بين زيدان وأخيه الشيخ ، انتهت بهزيمة زيدان ، واستيلاء الشيخ على فاس ، ثم نشبت بعد ذلك بين الأبناء الثلاثة سلسلة من المعارك الأهلية المتوالية ، كانت سجالا بينهم . واستمرت هذه الحرب الأهلية بضع سنوات . وانتهت آخر الأمور بانتصار مولاى زيدان ، واستيلائه على الملك ، ومقتل أخيه أبى فارس ، وفرار أخيه الشيخ فى أهله وولده (١٦٠٧ م) . بيد أن الشيخ لم يستكن للهزيمة ، بل عبر البحر مع أمه الخيزران إلى إسبانيا ، واستغاث بملكها فيليب الثالث ، وتعهد بأن يقدم ثغر العرائش إلى إسبانيا نظير معاونته على استرداد عرشه ، واستجاب فيليب الثالث إلى دعوة الشيخ ، وأرسل معه بعض قواته وسفنه إلى الشاطىء فجازت مع الشيخ وصحبه إلى المغرب ، ونزلت بالقصر الكبير . وكان ذلك فى أوائل سنه ١٦١٠ م. وبعث الشيخ سرية من قواته قامت بإخلاء ثغر العرائش من أهله قسرا ، وسلمته إلى الإسبان وفاء بعهد الشيخ . وأثار تصرف الشيخ عاصفة من السخط ، وانفض عنه كثير من أنصاره . ثم سار الشيخ إلى تطوان ، وما زال فى مغامراته حتى تصدى له بعض زعماء قبيلة غماره وقتلوه على مقربة من تطاون ، وذلك فى رجب سنة ١٠٢٢ هـ (١٦١٣ م) ، وانتهى بذلك أمره ، وتوطد بذلك مركز مولاى زيدان ، وتمكن عرشه .

هذا ما حدث فى المغرب . وأما فى إسبانيا ، فقد وقع قبل ذلك بعام واحد ، فى سنة ١٠١٨ هـ (١٦٠٩ م) حدث خطير ، كان له أعمق صدى فى المغرب ،

وفى سائر جنبات العالم الإسلامى ، وهو قيام إسبانيا بنفى الموريسكيين أو العرب المتنصرين من أراضيها . ونحن نعرف أن أولئك الموريسكيين ، هم بقية الأمة الأندلسية المغلوبة ، أكرهتهم إسبانيا على التنصر عقب سقوط غرناطة ، آخر معاقل الإسلام بالأندلس ، وذلك فى سنة ٨٩٧ هـ (١٤٩٢ م) ولبثوا من بعد ذلك نحو مائة عام . يعيشون فى غمر من الآلام والاستعباد المطبق ، تسحقهم مطاردات الكنيسة ، وديوان التحقيق . وأخيراً برمت إسبانيا بوجودهم فيها ، وقررت إبعادهم نهائياً عن أراضيها ، ووقع هذا النفى فى أواخر سنة ١٦٠٩ ، فى مناظر مثيرة مؤسية ، ونزل معظم أولئك المنفيين فى مختلف الثغور المغربية ، وكانت مأساة مروعة اهتزت لها مشاعر المغرب ومشاعر العالم الإسلامى بأسره .

وهكذا فإن العلائق الدبلوماسية بين المغرب وإسبانيا ، لم تكن فى عهد مولاى زيدان مما يتسم بطابع المودة . بيد أن بلاط فاس لم يحجم مع ذلك عن أن يخاطب بلاط مدريد فى مناسبتين ، هما اللتان بعث إليه فيهما بكتابيه اللذين أشرنا إليهما فى فاتحة هذا البحث .

أولهما الخطاب الذى تضمنته الوثيقة رقم F 210 سيمانقا ، وهو عبارة عن خطاب من مولاى زيدان ملك المغرب إلى فيليب الثالث ملك إسبانيا ، يطلب فيه إنصاف تاجر مراكشى نصرانى ، اقترض منه بعض « الفدالغوش » الإسبان Fidalgos (أى النبلاء) أموالا لافتداء أنفسهم ، وتعهدوا بسدادها عند عودهم إلى أوطانهم ، ولكنهم لم يفعلوا . والخطاب مؤرخ فى ربيع الثانى سنة ١٠١٧ هـ (١٦٠٨ م) وذلك قبل نفى الموريسكيين من إسبانيا بقليل .

والثانى الخطاب الذى تضمنته الوثيقة رقم E 495 سيمانقا ، وهو عبارة عن خطاب من مولاى زيدان إلى الدوق « دى مدينه » يطلب فيه التحفظ على أموال أخيه المقتول (وهو الأمير الشيخ الذى قتل حسبما تقدم فى سنة ١٠٢٢ هـ) الموجودة بطنجة لتقسم بين ورثته وفقاً للشريعة الإسلامية . وهو

مكتوب على فرخ كبير رسم فى رأسه الشعار الملكى بخط ثلث جميل ، وبالحبر المذهب ، ومؤرخ فى ١٤ من المحرم سنة ١٠٢٣ هـ (٢٥ فبراير سنة ١٦١٤م) . وقد كانت طنجة يومئذ تحت حكم الإسبان .

وإنه لما يلفت النظر فى نفس الوقت ما يتسم به أسلوب هذين الخطابين من الجزالة والبلاغة ، وهو بلا شك من أرفع أساليب الكتابة الدبلوماسية المغربية . ولا غرو فإن محرر هذين الخطابين ، هو الكاتب الشاعر ، البليغ المبدع ، عبد العزيز الفشتالى[1] (٩٥٦ — ١٠٣١ هـ) وزير القلم الأعلى ، وكاتب الدولة المنصورية ، منذ السلطان أحمد المنصور الذهبى (المتوفى سنة ١٠١٢ هـ) والد مولاي زيدان ، ثم مولاى زيدان من بعده . وقد استحدث الفشتالى فى الرسائل الدبلوماسية أسلوباً جديداً ، يمتاز بجزالته وبلاغته ، ويكاد يشبه أسلوب الرسائل السلطانية العالية ، التى امتاز بها بلاط غرناطة والبلاط المرينى ، أيام ابن الخطيب ، فى أواسط القرن الثامن الهجرى .

هذا عن رسالتى مولاى زيدان إلى البلاط الإسبانى . وأما الرسالة الثالثة ، وهى التى تتضمنها الوثيقة E 2667 سيمانقا ، فهى عبارة عن خطاب موجه من سلطان مراكش الأمير العلى الناصرى إلى فيليب الرابع ملك إسبانيا يخبره فيه بأنه قد رحب برسول « الدوك دمدينه » وأجاب رغبة السلطانة زوجته فى الإفراج عن الأسرى النصارى لديه ، وينوه بتوكيد المودة والمحبة . والخطاب مؤرخ فى ١٢ جمادى الأولى سنة ١٠٥٠ هـ (١٦٤٠ م) .

وثمة ملاحظة جديرة بالتنويه وهى أن الخطاب الثانى (رقم E 495 سيمانقا) قد ارسل حسبما بينا من قبل من مولاى زيدان إلى « دوك دى مدينة » سنة ١٠٢٣ هـ والخطاب الثالث (E 2667) المرسل من السلطان العلى

---

(١) نسبة إلى فشتالة وهى قبيلة جبلية تسكن شمالى فاس .

الناصرى إلى فيليب الرابع (سنة ١٠٥٠ هـ) قد نوه فيه بوصول رسول الدوك دى مدينة. ومن الواضح ولاسيا من مقارنة التواريخ، أن (الدوك دى مدينة) لم يكن يُقصد بها شخص معين يحمل هذا الاسم، وإنما هو تعبير فى البلاط المغربى المعاصر، كان يُقصد به رئيس الحكومة الإسبانية. وقد كان فى الحالة الأولى، هو الدوق دى ليرما، وزير فيليب الثالث وصفيّه، وهو المسئول الأول عن نفى الموريسكيين أو العرب المتنصرين، وقد لبث فى دست الحكم حتى سنة ١٦١٨ م. وكان فى الحالة الثانية هو الدوق أوليفاريس، وقد لبث فى دست الحكم حتى سنة ١٦٤٣ م.

والآن نقدم إلى القارىء نصوص الوثائق الثلاث، التى حققتها عن أصولها المخطوطة بدار المحفوظات الاسبانية العامة بسيمانقا.

— ١ —

الوثيقة رقم F 210 سيمانقا، وهى خطاب مرسل من مولاى زيدان ملك المغرب إلى فيليب الثالث ملك إسبانيا، مؤرخ فى ربيع الثانى سنة ١٠١٢ هـ (١٦٠٨ م)

هذا كتابنا الشريف، المظفرى الناصرى الفاطمى، الزيدانى، المؤيد بالنصر والتمكين، من رب العالمين، والمطاع فى المشارق والمغارب، ابن الإمام ابن الأيمّة أمراء المؤمنين، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين. إلى المملكة التى تباهى بها أكابر الملّة المسيحية وتفاخر، والمرتبة التى ما زالت صناديد الطواغيت تقتدى بالأوايل منها الأواخر، فى قنة عز زاد شمها، على بقاع المضاهى من الممالك النصرانية، وبحبوحة فخر تناط بها المهمات من الافانية والصبانية؛ مقام السلطان الأعظم الافخم، الكبير، الملاحظ، الأجل،

الراسخ ، المتمكن ، المعتبر ، ابن السلاطين الكبار ، ذوى المزايا الفخمة والايثار ، مفخر أهل الناسوت والصليب ، والبيت الذى له فى الضخامة أوفر حظ وأجزل نصيب . أما بعد ، فإنا كتبناه إليكم من دار مملكتنا وكرسى خلافتنا حمراء[١] مراكش حرسها الله ، ولا متعرف الا مواهب الله التى أسدلت بهذا الجناب العلى رواقها ، ونمقت والشكر لله بمساعدة أمانينا أطواقها ، لما استوى بمقره كعب آياتنا العلية ، وتمكن بمنته وشيج دعواتنا العلوية ، حيث خفقت بالعز بنودها ، وصفى بالعدل ورودها . هذا وإن موجب إصدار هذه المفاتحة ، أنه لا يشك المرتاب ولا يتطرق الوهم لكل منتاب ، فى أن تجار الملل النصرانية ، على تباين أصنافها وتغاير نعوتها ، حيثما ألقت بهم السِّفار فى أضاحى هذه الأقطار ، يتسربلون بها بُرود العز والرعاية ، ولا تمتد بوجه إلى ساحتهم أيدى الإذاية ، فصارت بذلك أنفسهم ومدخور بضايعهم الثمينة ، محوطة من عنايتنا بأسوار لا تزال حصينة ، فلا يطرق حماهم فى المعاملات سوى طارق الحق ، الذى يتساوى فيه لدينا النبيه والخامل ، والعالى والسافل ، وأنهم فى ساير ممالكنا لفى دعة لا تنكر ، وأمن ذمة لا تخفر . ولأجل ذلك كتبنا لكم فى ذِمّىّ ينتمى بالخدمة لابوابنا ، وينيط مسبباته بالعلى جنابنا ، وهو إبراهيم ابن واعيش ، فإن له ببلادكم ، مما لا يخلو عنه المتسبب غالباً ، أغراضاً ؛ منها أنه كان فيما مرّ أعطى هنا عن بعض الفدالغوش ، مالاً افتدوا به ، فأشهدوا على أنفسهم ، بأداء ذلك عند بلوغهم أوطانهم . فلما طالبهم أصحابه لاذوا منهم باللّداد ، وقابلوا صنعه فيهم بدعاوى العناد ، وراموا الاستطالة على أصحابه ، وخسارة صفقته فى أسبابه ، فعرَّفناكم بالقضية لتحسنوا الالتفات إليها ؛ فإنه من المنتشر المشهور الذى تواطأ عليه سكان المعمور ، أن التجار الذين يجوبون الآفاق النائية ،

---

(١) يلاحظ أن البلاط المغربى كان يطلق فى هذا الوقت على دار الملك اسم « الحمراء » تشبيهاً بحمراء غرناطة .

ويخترقون الأقطار القاصية ، هم السنة الأيام ، ومنهم تستمد الأقلام ، فى الأقاليم أنباء الأنام ؛ ولذلك ما تزال حرمة الملوك العظام فى كل ناحية عليهم مسدولة ، وأسباب متاجرهم بأنواع الرعى موصوله ؛ ولربما انجرت الألفة بين الممالك ، بسبب ما يغشى كورها من سالكى المسالك . فأردنا انتصاركم لهذا الذمّى انتصار أنفَة ، وانتجاد من تدرب بالوفاء وعرفه ، شأن من قام بحق الوصية ، وحافظ فى ملاذ التجارب على الحقوق المرعية ، فلعل التفاتكم لحقه ، ينيله الممنوع من قسطه . وهذا موجبه إليكم رعاكم الله . وكتب فى مستهل ربيع الثانى من عام سبعة عشر وألف هـ .

— ٢ —

الوثيقة رقم E 495 سيانقا ، وهى خطاب مرسل من مولاى زيدان ملك المغرب إلى الدوك «دى مدينة» مؤرخ فى ١٤ المحرم سنة ١٠٢٣ هـ (٢٥ فبراير سنة ١٦١٤ م)

صدر هذا المكتوب العلى الإمامى ، الكريم المظفرى ، الناصرى الزيداني ، الحسنى الفاطمى ، الهاشمى السلطانى ، عن الأمر العلى النبوى ، الشريف ، العلوى ؛ الذى دانت لطاعته الكريمة الممالك الإسلامية ، وانقادت لدعوته الشريفة سائر الأمصار المغربية ، وخضعت لأوامره جبابرة الملوك السودانية ؛ وأقطارها القاصية والدانية ؛ إلى الريس الذى له بين أكابر المملكة الإسبانية ، ورؤساء الدولة القشتالية ، وعظماء الملة النصرانية ؛ المكانة السامية ، والمنزلة الرفيعة العالية ؛ المكرم ، المعظم ، دوك دى مدينة . أما بعد حمد الله الذى جعل بين عباده من الأمم ، وان اختلفت فى الأديان وصلة ، تعتبرها باعتبار ، أحكام السياسة ، وقوانين الرياسة ، الملوك والأمراء والأعيان ، وتوجب لها

الحق فى كل ما يدور بينهما من التخاطب والتراسل ، فى الأمور التى لها البال والشأن . فكتابنا هذا إليكم من حضرتنا العلية مراكش حاطها الله ، والأحوال بحمد الله فى ممالكنا الشريفة ، على ما يسر ، من كمال الترويح والتمهيد ، واجتماع كلمة المسلمين على السمع والطاعة ، فى كل قريب منها وبعيد . هذا وإنه لما تقرر عندنا ما كان سلف لكم ، مع والدنا السلطان الأعظم ، مولانا الإمام المقدس المنعم ، من جميل المواصلة ، وحسن المجاملة ، ومقابلة ما يرد على بابه الكريم رحمه الله من الأغراض الواصلة من عندكم ، وأغراض سلطانكم الواردة على يدكم ، بوجه القبول والترحيب . وعلمنا ما كان لكم أنتم أيضاً من السعى الجميل ، فى كل ما يرضيه من الأمور ، بعيداً كان أو قريب ؛ خاطبناكم بهذا الخطاب الكريم ، لتعلموا أن كما كان لمكانكم المكين ، عند مولانا الإمام المقدس المرحوم ، من الاعتبار المشهور ، ومن جميل الايثار المعلوم ؛ ما زلنا فى ذلك على عهد والدنا الإمام ، وفى الاعتناء بكل ما يكون لكم بهذا الجناب الكريم من الاغراض ، وقضايه على أحسن مراد ، وأجمل اعتياد . وأن وسايلكم عندنا فى كل حال مرعية ، واغراضكم لدينا كما كانت مع والدنا مقضية . ثم مما نقرره لديكم ، ونقدم به التعريف إليكم ، إعلامكم بحقيقة ما كانت عليه أحوال أخينا المقتول مع ولده ، الذى هو الآن بجهة القصر . وهو أن أخانا المذكور لمّا كتب الله عليه ما كتب ، من بعض العقوق ، الذى كان عليه لوالدنا المرحوم ، ابتلاه الله هو عقوبة على ذلك بعقوق ولده له ، فعظم بسبب ذلك الجفاء التام بينهما ، حتى تجاوز الحد ، وصار أمرهما إلى العداوة والقطيعة ، التى لا يرجى لفتقها رتق ، فانقطع أخونا بجهة الفحص ، وانقطع ولده بجهة فاس ، وكان قد قتل عمه شقيق أبيه غدرا ، وقتل أخاه هو أيضاً ، فاتقاه لذلك أخونا والده ، فانكمش عن فاس حذاراً من ولده المذكور ، فتلبث بمكانه حتى قتل فيه ، وقد ترك أولاداً آخرين غير هذا المذكور ، صغاراً وكباراً ، ذكوراً وأناثاً ونساء أزواجاً له ،

وكل واحد من هؤلاء الأولاد الذكور والأناث ، ومن النساء الأزواج ؛ له حق معلوم فى ماله ، على نحو ما فرضه الله لكل واحد منهم فى ديننا بالإرث ، ولا يحل فى شريعتنا لأحد من الورثة أن يأخذ إلا حقّه الخاص به ، من بين الورثة لا غير . وبحسب هذا نؤكد على مكانكم المكين أن تقفوا فى مسئلة ذلكم المال الذى ترك أخونا فى طنجة يبقى مثقفاً محفوظاً ، حتى يفرق على فرايض الله لأولاده كافة ونسايه ، ويتصل إن شاء كل ذى حق بحقه ، وأن تحترسوا غاية الاحتراس من جعل السبيل لولد أخينا إلى الاتصال بشىء من ذلك يستبد به ، ويغصب فيه أخوته وأخواته ، ونساء أبيه ، ويضيع حقهم وأمانة والدهم ، تحت حكمكم فى بلادكم ؛ وقد علمتم أن هذا مما لا يرضاه الملوك لأحسابهم فى كل دين ، فنؤكد على مكانكم أن تأخذوا بغاية الاحتياط على ذلك المال من جانب ابن أخينا ، كيلا يحتال على اختلاس شىء من الأمر ، من جهة سلطانكم أو نحو ذلك . وهذا أوكد ما نوكد به عليكم ، وقد وجب الكتب إليكم . فى رابع عشر المحرم الحرام عام ثلاثة وعشرين بعد الألف .

— ٣ —

الوثيقة رقم E 2667 سيمانقا ، وهى خطاب مرسل من الأمير العلى الناصرى سلطان مراكش إلى فيليب الرابع ملك إسبانيا ، مؤرخ فى ١٢ جمادى الأولى سنة ١٠٥٩ ه (١٦٤٠ م)

عن الأمير العلى الإمامى المحمدى الشيخى الحسنى الناصرى .

أيده الله بعزيز نصره ، وأمده بمعونته ويسره ، وخلد جميل ذكره وفخره .

صدر هذا المكتوب ، العلى الإمامى السلطانى ، المحمدى الشيخى الحسنى ، عن الأمير العلى النجدى ؛ الكريم الذى دانت بطاعته الممالك الامامية ، وانقادت

لدعوته الشريفة ساير الأقطار المغربية ، وخضعت لأوامره جبابرة الملوك السودانية ، واقطارها القاصية والدانية . إلى المكانة الجليلة المقدار ، والأصالة السامية العلم والمنار ، والحوزة الرفيعة التى لها فى الاقطار المسيحية تمام الصيت والإيثار ؛ مكانة السلطان الجليل ، الأصيل المثيل ، الأمثل الذى له المنزلة الشامخة ، وقَدَمٌ فى رياسة سلطة الأوايل راسخة ، السلطان دون فيليب دُ سترى الرابع ، سلطان سبانس الأثبان والهند وغيرهم . أما بعد حمد الله الذى جعل من ملوك الأرض وإن اختلفت فى الأديان ، وصلة تعتبرها باعتبار احكام السياسة وقوانين الرياسة ، الملوك والأمراء والوزراء والأعيان ، وتوجب لها الحق فى كل ما يدور بينها من المخاطبات والمراسلات التى لها البال والشان . فكتابنا هذا إليكم من حضرتنا العلية مراكش المحروسة بالله المحمية ، ونصر الله تعالى مشحوذ البيان حديد اللسان ، لله العزة وله الحول والقوة . هذا وإنه وصل لعليّ مقامنا رسول الدك د مدينة كاتب سره جوان دسلانس والقسيس ، فانزلناهم منزل الرحب والكرامة ، وعاملناهم بجزيل آلائنا ونعمنا ، مدة مالهم عندنا من الإقامة ، وقابلناهم ، بالتكريم والخير الجسيم ، إلى أن صافحناهم من مقامنا العلى منشرحى الصدر ، وكان الذى بلغوه إلينا براءات الدك يقرر فيها صفو المحبة والوداد ، والبقاء على العهد الذى يرضينا ، وخلوص الاعتقاد ، وما جبلتم عليه من الانتماء لجانب إيالتنا الشريفة واندمج منكم فى الفؤاد ؛ فشكرناه واستجدناه ، واعتبرنا منه بولاءكم وتحققناه . ومن جملة ما كتب لنا عليه وعرفنا به أن السلطانة زوجتكم كتبت إليه على شأن ثلاثة ديار من النصارا عندنا بأولادهم ، لنسرحهم من الأسر ، وحين بلوغ كتابه إلينا ، بادرنا بسراحهم بجميع أولادهم ، وزدنا عليهم أسارى آخرين ، فكانت جملة من الأسارى سرحناها كلها ، ونهايتها أربعة وعشرون نصرانياً ، ووجهناهم صحبة خديمنا ، الأنجب الأحفى الأوجه الأرضى ، القايد محمد بن القايد حسين بن القايد مسعود التنسلى بن القايد منصور ، ليبلغهم إلى مكانكم المكين ، وليقرر لكم ما صنع

الدك من الخير مع خدامنـــا الذين بقصبة سلا أمنها الله ، وما عاملهم بها من الفضل ، وإننا قد أمرنا خدامنا الذين بقصبة سلا بدفع جميع مـا عندهم من الأسارى من بلادكم ، فجاءوا بدفعهم عن آخرهم ، قصدا للوفاء بما بيننا وبينكم ، ولتعرفوا أن مكانتكم عندنا مكانة ملحوظة ، وبرعاية الله ورعايتنا مرعية ومحفوظة ، وأغراضكم بمقامنا العلى مقضية وبالقبول مرعية ، وذلك قليـل فى حقكم وفى حق محبتكم . وفى الثانى عشر من جمادى الأولى عام خمسين وألف .

* * *

وقد اقتصرنا على دراسة هذه الرسائل المغربية الثلاث ، لتجانسها من حيث العصر ، ومن حيث المصدر الذى صدرت منه ، والجهـة التى وجهت إليها . وهنالك عدا هذه الرسائل مجموعة أخرى من الوثائق المغربية التى عثرنا عليها بدار المحفوظات الإسبانية العامة بسيمانقـا ، والتى أشرنا إليها فى صدر هذا البحث . وهى تتكون من خمس وثائق ، الأولى عبارة عن خطاب موجه من سلطان تلمسان ، عبد الله بن أبى عبد الله المتوكل إلى « السلطانة الانبراطريس دونيا إيزابيل » زوجة الامبراطور شارلكان فى طلب الغوث والنجدة ضد أمير البحر خير الدين (سنة ٩٣٩ هـ — ١٥٣٢ م) . والثانية عبـارة عن خطاب موجه من أبي عبد الله محمد بن محمد القاضى صاحب حصن كوكو ، إلى الامبراطور شرلكان يطلب إليه أن يبعث بطائفة من سفن أسطوله للمعاونة فى ارهاب خير الدين (سنة ٩٤٩ هـ — ١٥٤٢ م) . والثـالثة عبارة عن خطاب من سلطان تونس أبى عبد الله محمد الحسن موجه إلى الامبراطور شرلكان يحدثه فيه عن شئون قصبة بونة ومن بها (سنة ٩٤٢ هـ — ١٥٣٥ م) والرابعة عبارة عن معاهدة عقدت فى نفس العـام بين سلطان تونس المذكور وبين الامبراطور شرلكان بتسليم قصبـة بونة إلى الامبراطور بشروط معينـة .

والخامسة عبارة عن خطاب مرسل من سلطان تونس أبى حفص عمر بى عمر إلى فيليب الرابع ملك إسبانيا يخبره فيه بقتاله مع الترك وانتصاره عليهم (سنة ١٠٥٥ هـ — ١٦٥٥ م) .

وقد رأينا نظرا لتجانس هذه المجموعة من حيث المصدر ، وهى ملوك المغرب الأوسط وأمراؤه وكذلك من حيث الجهة التى وجهت إليها ، وقد وجهت كلها — فيما عدا الوثيقة الخامسة — إلى الامبراطور شارلكان ؛ رأينا أن نجعلها موضوع دراسة مستقلة .

محمد عبد الله عنان

على هامش ديوان ابن قزمان

— ٢ —

نعرض فى هذه المقالة الثانية لأمرين :

أ — التصحيفات والتحريفات التى وقع فيها ناسخ الديوان . والنسخة التى بين أيدينا من الديوان مكتوبة بخط مشرقى فى القرن السابع الهجرى ، ولا ندرى كم بين هذه النسخة المشرقية والنسخة الأم الأندلسية الخط من نسخ وسيطة . ومع ذلك فنحن نشهد فى نسختنا هذه قدراً من العناية والدقة ، ومن أمانة الناسخ وحرصه على التثبّت ، يجعلنا نحسن الظن بها إلى حد كبير ، ونتحرج كثيراً من تجاوز رسم الكلمات فيها . لا سيما ونحن أمام نص فى عامية أندلسية ، معرفتنا بها محدودة بما لدينا من مصادر قليلة .

وقد أصلح الأستاذ نيكل قدراً من تصحيفات الديوان ، خاصة فى الكلمات التى لم تنقط ، كما أصلح الأستاذ جارثيا جومث قدراً آخر أكبر ، فأعفانا جهدهما من الإشارة إلى هذه التصحيفات . ولم نقف إلا عند ما فاتهما منها .

ولابد هنا أن نذكر أننا نقف عند الأصل المخطوط وحده ، ولا نتجاوزه إلى نشرة الأستاذ نيكل أو الأستاذ جارثيا حين نختلف معهما . فنحن نرى مثلا أن الفقرة الثانية من آخر مقطوعة فى الزجل الأول ، ونصها فى الأصل المخطوط :

رَجَعْ كلّ احَدْ فَرَسْ وحَمْحَم

سليمة الرسم ، ونرى أن كلمة (فَرَسْ) صحيحة[(١)] ، على حين يرى الأستاذ جارثيا أنها مصحفة عن (فَدَسّ) بالدال . وقرأها الأستاذ نيكل (فَرِّس) بصيغة الأمر . وليس من غرضنا فى هذه المقالة التعرض لهذه القضية ، إلا أن يكون الموضع محلا لمناقشة أو دراسة لقصد آخر . ولا نخفى أن مثل هذه المواضع التى نخالف فيها الأستاذ جارثيا غير قليلة العدد .

وليس من شك فى أن فى الديوان تصحيفات أكثر من التى رصدناها ، لم نهتد بعد إلى معرفتها . وكل ما ورد فى هذا القسم من تصحيفات متصل بكلمات عربية أو معربة .

ب — وفى الديوان بعد ذلك مواضع مشكلة أو مبهمة ، لم نستطع فهم معناها ، أو فهمنا المعنى فى صورة مجملة وعجزنا عن إدراك الجزئيات والتفاصيل . وقد يجىء هذا الإبهام من تصحيف لم نفطن إلى صحته ، أو من لفظ أعجمى خفى علينا ، أوهم رسمه أنه عربى ، كما يجىء من إشارات ورموز إلى دلالات فى حياة الزجال وفى حياة مجتمعه وثقافة عصره لا سبيل لنا إلى معرفتها الآن . وأشهد أن هذه المواضع المشكلة كثيرة . وقد اجتهد الأستاذ جارثيا فى هذا المجال اجتهاداً مشكوراً ، فوفق فى رأينا إلى حل بعض المشكلات ، ولكنه فهم بعضها الآخر فهما لا نقرّه عليه .

وقد وقفنا عند عدد قليل من هذه المواضع فى القسم الثانى من هذه المقالة ، وقدمنا فروضاً نميل إلى ترجيحها ، وإن كنا لا نطمئن إليها تمام الاطمئنان . ونرجو أن نتابع فى مقالة تالية عدداً آخر من هذه المواضع .

وقد كنا نود أن نعالج قضية الأوزان فى هذه المقالة ، ولكننا آثرنا تأجيل الأمر لمزيد من الدراسة والمقارنة . إلا أننا من حيث استقامة النص

---

(١) يريد : رجع كل أحد (من الزجالين) وهو يدعى العتق والأصالة متشبها بالجواد الكريم ، على حين أنه ليس كذلك . وهذا يشبه ما ذكره فى زجل ٩ مق ١٣ من موازنة بين خيول العرب وحمير الظلم . والحمحمة أصلا صوت الفرس دون الصهيل .

لغة ومعنى ورسما ، وجدنا أنفسنا مضطرين لأن نفترض أن بعض الأزجال ، وخاصة التى تتألف من ١١ مقطعا قد تنقص بعض فقراتها مقطعاً ، — فكأنما يحدث فيها ما يحدث فى بحر الخفيف مما يسميه العروضيون تشعيثاً — فتصير عشرة ، ولذلك لم نصرّ على الالتزام بعدد المقاطع الثابث (١١ مقطعاً) فيها . ومثال ذلك الزجل رقم ٣٨ الذى تصدينا لبعض فقراته فى هذه المقالة . وكذلك الزجل ٨٤ ، والزجل ٨٧ والزجـل ٩٠ والزجل ٩٤ والزجـل ٩٥ . وكذلك وجدنا أن بعض الأزجال تختلف أقفاله عن أغصانه من حيث الوزن أو — إن شئت — من حيث التنغيم ، كما يحدث ذلك فى الموشحات ، ومثـال ذلك الزجل ٦١ الذى عرضنا له فى قسم المشكلات . أما من حيث تقسيم الفقرة الواحدة إلى أجزاء صوتية أو وحدات أو مجموعات وزنية فقد شاركنا الأستاذ جارثيا فى بعضها وخالفنـاه فى بعضها الآخر . وحين يبدو هذا التقطيع ملزما بإحداث تغيير فى رسم الكلمات أو فى الزيادة والنقص ، آثرنا العدول عنه إلى أن ننتهى إلى رأى نهائى فى الموضوع .

« أ »

تصحيفـات وتحريفـات

الزجل ٥

أ — المقطوعة ٢ :

اَشْ تَـرَى ، فى (فرح) مُـرابط
اِنْ دَرى ، وزيـر بقَـرارِط
بـالحَـرَى(١) ، يَرجع لو(٢) مُخـالط
لسْ يُصاب ، الاّ فى زُقَـاقُ

فى رأينا أن كلمة (فرح) مصحفة عن (فَرْخ) بالخاء المعجمة ، يريد بها الشاب أو الصبى . ولابد للوزن من أن تحرك الخـاء أو تنون (فرِخ — فرخٍ) .

ومعنى المقطوعة أن هذا الصبى المرابطى من الجمال والإغراء بحيث لو رآه وزير غنى (بقرارط) أى بدنانير ، لحرص على مخالطته . وأنه — أى الصبى — لا يسعى إلى أحد ، وإنما يسعى إليه المعجبون حيث يكون .

واطلاق لفظ (فرخ) بهذا المعنى موجود فى بعض العاميـات العربية . وقد ورد فى Voc ص ٤٥٤ — ولد حـلال ، أولاد حـلال — مقرونة مع

(١) رسمت (بالجرى) وأصلحها جارثيا .
(٢) رسمها أقرب إلى (كه) وأصلحها جارثيا .

(فرخ حلال ، فراخ حلال) مما يدل على أنها كانت مستعملة فى الأندلس . والإسبانية الحديثة تؤدى فيها كلمة pollo [١] — أى فرخ — نفس المعنى المجازى ، فيوصف بها الشخص الصغير السن .

ب — المقطوعة التالية لهذه ٣ :

قد كشَفْ ، بحُسْنُ ضَمايِر
والتحف ، وميزره (طاهر)
ووقف ، مَحلولَ الظفاير
بخِضاب ، إلى نصفَ ساقُ

وعندنا أن لفظ (طاهر) مصحفة عن (ظاهر) . فلا وجه للحديث عن طهارة الفتى هنا ، وإنما المراد تصوير هيئته . فرداؤه الداخلى — رغم التحافه — ظاهر للعيون .

أما عن خضاب الساق عند الرجال فيقول ابن الخطيب فى ديوان الصيب والجهام [٢] ، واصفا لبعض أهل البوادى فى المغرب الأقصى :

وشيوخٍ بيضِ اللحى خضبوا الأرجُلَ مثلَ الحمام بالحنّاء

إلاّ أن وصف الفتى بأنه محلول الضفائر يبدو غريباً ، وكأنه وصف لفتاة . فهل كان ذلك أيضاً من سمات بعض القبائل المغربية [٣] ؟ .

جـ — والمقطوعة ٥ — وقد انتقل الزجال إلى الممدوح — تقول :

---

(١) انظر المعجم الاسباني — المادة المذكورة .

(٢) تحقيق السيد محمد الشريف قاهر بجامعة الجزائر — على الآلة الكاتبة — اطلعت عليه باعتباره جزءا من رسالة جامعية .

(٣) لا أستبعد أن يكون الحديث كله عن فتاة ، فكثيراً ما يلتبس على قارىء ابن قزمان استخدامه لضمير المذكر فى مواضع يفترض أنها لضمير المؤنث . وذلك إذا لم يسم المتحدث عنه .

فـالـعـراق ، تحـدّثْ أيـاديه
ألفَ (عاق) ، يَصيح مَن يُعـاديه
إذ تُساق ، إلىّ أيـاديـه
فـالسحاب ، إلىّ يُسـاقُ

وأحسب أن لفظ (عاق) مصحف عن (غاق) وهو حكاية صوت الغراب فى الفصحى والعاميات . وهى تستقيم مع الفعل (صاح — يصيح) المذكور . والمراد أن أعداءه ينعبون كالغربان بما لا طائل وراءه . وفى زجل ٧ مق ١٠ قال الزجال :

مهّد الاسلام وصاح العِوَج غاق (١)

ويؤخذ على الزجال فى هذه المقطوعة تكراره لفظ (أياديه) فى قافيتين ، وهو عيب عند العروضيين .

الزجل ٩

أ — المقطوعة ٦

(والفرار) قد هرَبْ أمامَ اللقّا
والنعيم قد دَخَل فى عُنق الشقا
والرقيبْ لا يُخاف ولا يُتَّـقى
وإذا نَمّ احـد فـدَعُ يَـنَم

(١) وهنا أيضاً قرأها الأستاذان نيكل وجارثيا (عاق) مع أن نقطة الغين موجودة وإن التصقت بالحرف .

صواب الكلمة هو (الفراق) لا (الفرار) فذلك ما تستلزمه المقابلات واستخدام ابن قزمان لمفرداته. والمقطوعة السابقة قابل فيها بين الحب والسلوان والوصال والهجران . . .

ب — المقطوعة ٢٤

الذى كلما هَجَمْ مِن بعَيد
وهَمَزْ هَمْزَه (وانكى) بالحديد
فالذى أقبلوا إلينا عَبيد
والذى [قد] وُلُّوا علينا خَدَم

وأرى أن صواب الفعل (اتَّكى) بالتاء. والاتكاء يكون على الرمح حين يطعن به الطاعن، وهو المقصود هنا. وذكر الحديد يدل عليه. أما (أنكى) من النكاية فلها مواضع أخرى.

وقد استخدم ابن قزمان الفعل فى مثل هذا السياق. وذلك فى ز ٨٦ مق ٤

قم برمحك الطويل، واتّكى على الدروع

وفى ز ١٠٢ مق ٥

اتّكى باه بجنبُ حتَّى بَرَدْ

الزجل ١٣

أ — جاء فى المقطوعة ٣

تعجبنى يا وَشْكى، مُنصف
وابصِرْنِ قُدّامك، (وابصرن) حَاكم

الصواب فيما أرى (وابْصِرْكَ) حاكم — ويحتمل أن تكون (قدامك) مصحفة عن (خَدَّامك) وان يكن للأولى وجه .

ب — وجاء فى المقطوعة ٥

أى حَظ (لو عندى) ، لس كان دَريتُ
هُ ما فتحت البـاب ، حتى لـقـيتُ

الأشبه بالسياق : أى حظ (لى عندو) .

جـ — يمهد ابن قزمان للمقطوعة ٨ بتحريضه الفتى المتغزل فيه بأن يثقف نفسه ليكون عالماً حاذقاً مثل ابن يونس — وهو الممدوح — ثم يقول :

فـلا[1] تكنْ يَذّا ، الاّ بحـالُ
أو مَن جَمَّعْ فى الناس ، عِدَّة خِصالُ
(عنى) يقـول النـاس ، والحـقُّ قالوا
هِندى ولد هندى ، (مسقول) مُذَكَّرْ

ويجب أن تصلح (عنى) فى أول الفقرة الثالثة إلى (عنُّ — عنّو) أى عن ابن يونس . أما (مسقول) فهى الكلمة العربية (مصقول) . ولنا أن نعتبرها مصحفة إذا قسناها بالفصحى . ولكن العامية تخلط بين الصاد والسين . ولذلك شواهد فى كتب لحن العامة بالأندلس . وابن قزمان نفسه كتب فى ديوانه زجل ٤٠ مق ٥ متحدثاً عن السلاح (جديد ومسقول) .

ولفظ هندى هنا يراد به السيف . وهى صفة شائعة عند العرب بالنسبة للسيوف ، يقال هندى وهندوانى . ولفظ (مذكر) أيضاً يوصف بها الحديد والسيوف . قال ابن قزمان زجل ٣٨ مق ٥

(١) فى الأصل — (فكن) تكن — ولا تستقيم . وأصلحها الأستاذ جارثيا إلى (فلم) . والمعنى يستلزم (فلا) كما أثبتناها . لأن (لا) هى التى تفيد النهى المنصب على المستقبل . أما (لم) فتفيد الماضى والتقرير فى مثل هذه الجمل ، وليس بمطلوب .

بمعانى مثل الحديد الذكير

والمعنى المراد فى المقطوعة هو أن الناس يصفون ابن يونس فى مضائه وبته فى الأمور وعزمه بالسيف القاطع .

وعلى هذا فنحن لا نقر الأستاذ جارثيا فيما افترضه من أن لفظ (مسقول) هنا هو الكلمة اللاتينية masculus والتى كأنها ترجمة للفظ (مذكر) الوارد معها فى النص .

د — فى المقطوعة ٩

يَدْرى من السُنَّه ، ما شَطْرُ يَكـفَى
وذهنه القـــاطع ، لس بالله (يخفى)

والأشبه أن تكون (يخفى) مصحفة عن (يَحَفَى) بالحاء المهملة . ومعنى يحفى بالنسبة للسيف ولكل آلة حادة هو التثلم وفقدان الحدّة . وقد استعمل ابن قزمان هذا الفعل فى نفس السياق ز ٣٣ مق ٥

والموس اِذ يَحفى ، يصلح بالمَسَنّ

ه — فى المقطوعة ١١

وهو زعيم (قولُ) ، وزينَ الاشراف

وهو فى رأينا مصحف عن (قومُ) أى (قومه) وبه يتنـاسب الكلام . أما افتراض أنه (ضامن لقوله) فعسير التخريج .

و — فى المقطوعة ١٢

ويشكو الأيام [١] ، وهى تَقُـلُّ
من كايد التيار ، (من خوف) يُحشر

وربمـا كان الصواب فى (جوفُ) أي يحشر أو يغرق فى جوف التيار .

---

(١) ينقصها مقطع . ونفضل أن نجعل الهمزة فى (أل) همزه قطع بدلا من إضافة الباء (بالأيام).

الزجل ١٤

المقطوعة ٨ :

أتمّ الناس حُسْنَ مَنظرْ
وأَحْلى مِن كلّ سكّر
(لم يتغلف بعنبر
ينكرو يرجع مُغَلَّفْ)

المعنى فى حدود رسم الفقرتين الأخيرتين غير مقبول لدينا . ونحن نعتقد أن هنالك سقطا هو [من] فى أول الفقرة الثالثة . وتصحيف هو (يذكرو) بدلا من (ينكرو) . فالقراءة التى نرتضيها هى :

مَنْ لم يَتْغَلَّفْ بعَنْبر
يذكرو يرجع مُغَلّف

والمعنى تبعاً لذا التصحيح ، هو أن الشخص الذى لم يتغلف بعنبر ، أى لم يُعطّر ، حين يذكر الممدوح يعود معطراً ، أى أن مجرد ذكر اسم الممدوح يجعل رائحة العنبر تفوح من ذاكره ولو لم يكن هنالك عنبر. وهو معنى فيه مبالغة شديدة ، ولكنه غير مستبعد عند المداحين من الشعراء ولا عند ابن قزمان(١) .

ولكى نضيف (مَنْ) وتبقى عدد المقاطع (وهى ثمانية) ثابته ، ينبغى تسكين التاء من الفعل (يتْغلف) وليس التسكين هنا للضرورة ، ولكنها القاعدة فى العاميات فيما وزنه (يتفعل) . وقد التزم هذا التسكين فى المعجمين المعتمد عليهما Alc – Voc . فى مثل هذا الوزن وفى مواضع كثيرة من ديوان ابن قزمان نفسه .

---

(١) يقرب من هذا قوله : زجل ٦٧ مق ٧ ف ٣
ان تفوح بحال تناكم ، كان معدن الزباد

وللأستاذ جارثيا اجتهاد فى فهم هذا الموضع دون إضافة للنص أو تصحيف فيه . فعنده أن كلمة (مغلف) فى آخر القفل جاءت بمعنى (أغلف) التى بمعنى غليظ الطبع . وتفسيره للنص أن الممدوح لا يتغلف بالعنبر إنكاراً (ينكرو) أو تجنباً لأن يوصف أو ينبز بأنه (أغلف) . وأن القضية عند ابن قزمان هنا هى مجرد تلاعب لفظى بين مغلف ويتغلف. ولسنا نرى هذا الرأى . والصياغة لا تؤدى المعنى المراد مع ذلك . وكان أولى أن تكون « ينكرْ أنْ يُقال . . . » فضلا عن أن الممدوح لم يكسب شيئاً من وراء هذا التلاعب اللفظى .

الزجل ١٦

فى المقطوعة ٤

(من يحبّك) فى وقتَ ضِيقْ ، فبالك ترفقُ

واضح أن الفعل هو (يَجِيك) من جاء . لا (يحبك) من حب .

الزجل ٢٠

أ — المقطوعة ٢٧

ومَتَى ما رَاى ، صديقُ فى ضِيقَ
صرَّفَ الِحيلَ ، فى كلّ طريقَ
واطعم الِحرْمان ، ثَلَثْ مائَة فَليقَ
وخَذُ فالِحينْ ، وشدّ (قصارى)

ونعتقد أن صواب الكلمة الأخيرة (فصارى = فى صارى) يريد به العمود ، مع ضم الدال المشددة من (شدُّ) أى : أخذ الحرمان فى الحين ، وشدّه فى عمود . كما يفعل بالسجناء وقطاع الطرق والمتهمين .

وقد وردت عند ابن قزمان (زجل ٤١ مق ٥) كلمة (سارى) بالسين بما يفيد أيضاً معنى العمود .

على سارى تُلقيه ، أو على خَشَبه اليد

والصارى فى الأصل يطلق على عمود السفينة ، والسارية تطلق على عمود البناء والجمع (صوارى) و (سوارى) . فهل بين (صارى) و (سارى) عند ابن قزمان فى الموضعين تفرقة فى المعنى ، أم هو من اختلاط السين والصاد فى العامية الأندلسية ؟ .

أحسب أن ابن قزمان أراد مطلق العمود فى الموضعين . على أنه لو كانت دلالة لفظ (صارى) لا تفيد عندهم الاّ عمود السفينة لجاز ، ولأضافت معنى النفى والترحيل زيادة على الربط والقيد ، فى هذا النص الذى بين أيدينا .

وقد جعل الأستاذ جارثيا جملة (وشدّ قصارى) بفتح الدال ، وجعل ياء (قصارى) ياء المتكلم باعتبارها جملة مستأنفة ، وكأنه جعلها بمعنى (وأصلح خَلَلى) وإن تكن الترجمة الحرفية للفقرة عنده « وسجنه ، هذا ما فعله فى شأنى » .

ونحن نرى جملة (وأخذه فى الحين) لا تستقل بذاتها ، وأنها تستلزم توضيحاً لنوع الأخذ وعاقبته فى مثل هذا السياق . فضلا عن أن لفظ (قصار) — إذا جاز أن تجئ بمعنى التقصير والعجز — كان ينبغى أن تضاف إلى ضمير الغائب لتعود على لفظ (صديقُ = صديقه) .

ب — مقطوعة ٢٩

عبدُ أنا ذا العام ، وعبدُ لقابلْ[١]
بالكرم جاز لك[٢] ، لِم تَخُذْ شَى باطل
اِنْ كانتْ حَجَ ، نَمضى فيها راجِلْ
(حق) لو كانت ، حاجْتك (ان تمارى)

ومعنى الفقرة الثانية أنه بكرمك وجودك جاز لك استرقاقى وامتلاك عبوديتى ، إذ أنك دفعت ثمن ذلك . وكلمة (باطل) فى العامية الأندلسية تعنى مجّاناً أى بغير ثمن[٣] .

أما الفقرة الثالثة فمعناها : إن كانت لك حاجة فأنا أمضى راجلا فى سبيل تحقيقها . وابن قزمان كثيراً ما يعرض خدماته على الممدوحين ، بما يتجاوز مجرد المديح ، وهو خلاف بين الزجال والشاعر من حيث علاقتهما بالممدوح[٤] .

أما القفل فأول كلمة فيه (حق) مصحفة ، وصوابها فيما نرى (حتّى) . والإشكال فى (أن تمارى) فان كانت الكلمة عربية فقد وجب أن تقرأ (نمارى) بالنون من المماراة . والمماراة تكون بمعنى الجدل واللجاج والمعاندة .

ويكون المعنى حينئذ قريب الشبه بما ورد فى زجل ٤٨ مق ٦ وهى تثبت أيضاً ما ذكرناه من خدمات يعرضها ابن قزمان على ممدوحيه .

---

(١) لا مبرر لأن تقرأ (للقابل) بزيادة لام — كما فعل الأستاذ جارثيا — فلا الوزن ولا المعنى يفتقر إليها .
(٢) رسمت الزال ملتصقة باللام ، مما أوهم الأستاذين نيكل وجارثيا أنها (نسلك) وأصلحها جارثيا (جيت لك) — وكذلك رسمت (تخذ) بالنون والصواب بالتاء .
(٣) من أمثالهم : اخدم باطل ولا تجلس عاطل . ابن عاصم رقم ٢٢٥
(٤) فى زجل ٤٣ مق ٩ يقول للممدوح :
وكل أمر تجد فيه — اخلطن معه وخليه

مَن يرانى بجنبُ ، وإلى أى جِيهَ نَمْشى
وندوّر ونحتـال ، ونخـــادع ونرشى

ومع ذلك يظل المعنى هزيلا ، بل لعله يحمـل شيئاً من سوء التأديب ، سواء قرأنا (نمارى) بالنون أو التاء[١] .

فان لم يكن اللفظ عربياً ، وهو ما ذهب إليه الأستاذ جارثيا ، حين جعل الكلمة الأخيرة هى الرسم العربى للفعل الأعجمى Tomare ومعناه (أخذ يأخذ) . فقد وجب إعادة النظر فى قراءة الفقرة . لقد قرأها :

حَقا لو كَبَرْ ، داَّبتَك تمارى[٢]

وفضلا عن أن هذا التصرف قد أبعد النص عن الأصل بعداً كبيراً ، فأنه لا يفيد معنى كبيراً ؛ هو تكرم الممدوح بدابته فى قضاء الحاجات إذا كبرت[٣] ، بدلا من السير على القدم .

أما فى سياق فهمنا للمقطوعة حسبما ذكرناه من معنى ما قبلها ، ومن لفظ (حتى) بدلا من (حق) ومن إقرار لفظ (كانت) ولفظ (حاجْتَك — بتسكين الجيم للوزن) وإبقاء لفظ (أن) فان المعنى المفترض للفقرة عندنا هو : حتى لو كانت حاجتك — التى نمضى فيها راجلا — حاجة عسيرة التحقيق صعبـة المنال طويلة الأمد . . .

---

(١) النص القرآنى يقول « فلا تمار فيهم إلا مراءا ظاهراً » الكهف ٢٢ . والفعل فى سائر النصوص القرآنية يرد فى سياق التنفير .

(٢) انظر قسم الرومانسيات ص ٣٨٤

(٣) المفروض أن تكون حسب تخريج الأستاذ جارثيا (كبرت) لا (كبر) لأن الضمير يعود على مؤنث .

فإذا سلمنا بالفعل tomare فنحن نقترح أن تكون كلمة (أن) التى قبله هى (an) الأعجمية والتى معناها عام أو سنة . فيكون المعنى : حتى لو أن حاجتك أخذت أو استغرقت عاما من السعى والمشى (an tomare) .

والكلمة فى اللاتينية هى annus وفى الإسبانية año بما يوحى بأنها ينبغى أن تكون فى نصنا هذا مشددة anno كما تكتب أحياناً فى النصوص الإسبانية القديمة . والوزن لا يتيح ذلك ولكن الكلمة مع ذلك نطقت فى الفرنسية القديمة والحديثة وفى البروفنسالية (an) من مقطع واحد . وهى فى القطلونية (any)(١) .

فهل يجوز فى أعجمية أهل الأندلس هذا النطق ؟ ذلك ما يسأل عنه المختصون . فإن لم يجز فليس إلا الأخذ بالكلمة العربية (نمارى) فيما نرى الآن .

زجل ٢٣

بعد مطلع الزجل وهو :

أيامـا مـلاح شرطَ الخـلاعَهْ
حرٍ آمّ(٢) الذى يَعمل صِناعه

١ — تجىء المقطوعة الثانية ونصها :

---

(١) انظر *Meyer - Lübke* رقم ٤٨٧

(٢) هذه هى القراءة الصحيحة على بداءتها ، وكنت أقرؤها من قبل — وكذلك نيكل — حرام . وقرأها الأستاذ جارثيا (خزية أم أدى) .

لَسْ قط يَغيب عنِّ كاسْ وعَلاَّل (١)
وغيرَ العِـوَج لسْ ماعِ راسْ مـال
(جريح فى خيل) ترانى لن زال
من عنقِ آنا شُرْكة (٢) قزاعَــه

وأعتقد أن صواب ما بين القوسين هو « خِرِّيج فى حِيَلْ » وفى المعاجم العربية « خرّجه فى العلم أو الصناعة درّبه وعلمه . والمتعلم خَرِيج وخِرّيج » وقراءتها (جريح فى خيلى) كما قرأها الأستاذان نيكل وجارثيا عسيرة التخريج جداً . والحيل جمع حيله . يقول الزجال إنه متمرس بصنوف الحيل . ثم يشير إلى صورة يبدو أنها للحواة والمشعوذين الذين يحمل الواحد منهم مخلاة يشدها إلى عنقه تضم أدواته . ولفظ (شركة) يعنى السير من الجلد (٣) . ولفظ (قزاعه) يعنى العبث والاستهتار فى هذا السياق . وربما كانت بالذال من الفعل (أقذع) بمعنى أفحش .

وتبدو عبارة (لن زال) قلقة من حيث الصياغة . فهل نحن أمام الفعل (زال) أم الفعل (نزل) ؟ فان كانت (لا أزال ← لا نْزَال ← لن زال) وجب أن تبقى الباء فى (شركة) أى (لا نزال بشركة قزاعه فى عنقى) . وإن كان الفعل الثانى ، فهى (لا نْزَلَ (= لا نزلت) شركة قزاعه من عنقى أنا) وتكون فتحة الزاى قد مدت فصارت ألفا . وعلى أى حال يبدو لى أن النون فى (لن) أولى بها أن توصل بالزاى (لا نزال) .

---

(١) العلال قنينة الخمر فى اللهجة الأندلسية . وردت فى مواضع كثيرة .
(٢) فى الأصل : بشركة — وقد أصلحها الأستاذ جارثيا .
(٣) انظر دوزى ج ١ ص ٧٥٢

ب — المقطوعة ٣

في جَنّ نحنُ بذا (العتيبه)
مثقالا طَرِى يَسوى حُبَيبه
لسْ نَبقى انا بلا شُرَيبه
وفى (سبتيّتى وطاعه)

أما الأولى فهى بغير شك (عُنَيْبة) تصغير عِنَبَه يريد بها الخمر التى تستخرج من العنب . وقد اشتبه اللفظ على نيكل وجارثيا فقرآه (عتيبه) ، مع أن الحديث فى المقطوعة السابقة عن الشراب ، وكذلك فى هذه المقطوعة . ولفظ حُبَيبة تصغير حَبّة وهى الواحدة من العنب . والمثقال الطرى هو الحديث الضرب .

أما القفل فآخر كلمة فيه هى (قَطاعه) لا (وطاعه) ومعناها قطعة النقود[١] وما قبل الأخيرة يراد بها كيس النقود . وينبغى أن تكون من خمسة مقاطع للوزن . فهل هى سَبَتِيّة بالتاء أو سَبَنِيّة بالنون مع تشديد الياء فيهما ؟

وقد تصرف الأستاذ جارثيا فقرأ الفقرة « وفى سَبْتتى [من له] طاعه » . وقد ورد لفظ (سَبْتَه) فى دوزى بمعنى (الحزام) ولكنه اعتمد على مصادر حديثة متأخرة وشرح الكلمة بأنها حزام بغير جيب يستعمله خدم البيوت . وأشار إلى إلياس بقطر وإلى المستشرق Humbert . وكلمة سبتة تستعمل فى بعض نواحى مصر حالياً . ولم ترد فى مصادر أندلسية .

وأعتقد أن الكلمة هى (سَبَنِيّة) التى وردت فى Voc ص ١١٥ وص ٥٩٦ — وكذلك فى Alc ص ٤٠٠ والتى معناها عندهما — إلى مصادر أندلسية

(١) انظر دوزى ج ٢ ص ٣٧٢ نقلا عن Voc وعن Alc .

أخرى[١] — يجىء بمعنى (منديل اليد) وأرى أنه ربما كان من عادة الأندلسيين — كما هى العادة عند بعض المعاصرين فى بلادنا — أن يعقدوا الدنانير فى أطراف المناديل . فإن صح هذا سلم النص إلاّ من تصحيف يسير ، هو زيادة نقطة ، وإضافة نقطتين على الواو التى رسمت فى الأصل المخطوط بحيث تكاد تلتصق بالطاء .

جـ — القفل فى المقطوعة ٨

لو خلّيتنى لذا (الصناعه)

والصواب (الضِّياعَة) فهى التى تؤدى المعنى المطلوب ، وهو عجز الزجال وفقره الذى يشكو منه ، وهى مصدر ضاع يضيع ، والزجال يستخدم لفظ (ضايع) بمعنى معطل بغير عمل .

الزجل ٢٤

المقطوعة ١ — حيث يتحدث عن حاجته إلى غفارة ، تختم بهذا القفل :

بالله (شقه) لىَ باطلْ ، لس نريدهَ مُشْتَرىً

وصواب الكلمة (سُقْهَ أى سُقْها) من الفعل ساق يسوق ومعناه عندهم أحضر ودفع وهو يريد أن يسوقها (أى الغفارة) الله إليه مجانا لا مشتراة . و (شقّه) لا تستقيم فى هذا السياق على الرغم من أن الكلمة تستخدم فى موضوع الملابس .

---

(١) انظر دوزى جـ ١ ص ٦٣٠

الزجل ٢٥

قافية الأغصان فى المقطوعة ٣ راء مكسورة (أشعارى — لقارى) وهكذا ينبغى أن يكون الغصن الثالث . وأخطأ الناسخ أو سها فجعله :

دُرَّةَ الغرائب ، فانا فى (أفعالى)

وأحسب أن الكلمة المسهو عنها هى (أسحارى) جمع سِحْر يريد بها أزجاله . وقفل هذه المقطوعة :

وأبو سليمان ، ابن أبُىْ فى أَفْضالُ (١)

زجل ٣٥

المقطوعة الأخيرة :

بالله اِنْ جانى ، مثقال فى الجوابْ
اِن جرّدت الاّ ، قُرْقى والثياب
ونجرى عُريان ، من سُوق الدواب

حتّى للروضَ ، (شى) مَزْدَلى

كان قد استوقفنى من قبل لفظ (شى) فى القفل . وقد قرأها الأستاذ نيكل — [هو] شى — وقرأها أو غيّرها الأستاذ جارثيا إلى (... لروضَةْ أَبِن ...) .

والآن أرى أن اللفظ مصحف عن (مَتَى > متا > متاع) وهى التى تجىء فى اللهجة الأندلسية مقابلة لكلمة (بتاع) فى مصر و (متاع) فى أقطار عربية ، بمعنى (مِلْك) وتستعمل فى إضافة الشىء إلى صاحبه .

---

(١) قرأها نيكل وجارثيا (إفصال) .
(٢) الزجل فى الأندلس ص ١٨٤ هامش ٣

وقد ورد رسم الكلمة على صورة (مَتَ) فى ديوان ابن قزمان ز ٩٨ مق ٢ (التفصيل مَتَ الشام) . ورسمت أيضاً (مَتَى) فى نصوص الأمثال الأندلسية[١]. وأكثر ما ترسم فى ديوان ابن قزمان فى غير هذا الموضع (متاع) .

زجل ٣٦

افتتح ابن قزمان هذا الزجل بقوله :

فماً صُغَيّر ولُعابا حُلُو
(كنط من) الجنّه لمن قبَّلُ

والتصحيف الواقع بين القوسين صوابه (كتُضْمَن) . وإنما استطعنا تصحيحه عن نص موشحة أوردها ابن بشرى فى كتابه عدّة الجليس[٢] .

ومطلع الموشحة ، وهى لمجهول :

يا جائرا مالك لا تعدلُ
ولّى اصطبارى والجوى مُقبلُ

وتنتهى الموشحة بهذه المقطوعة :

لله ثغر منك عذب اللما
بريقه المعسول يشفى الظما
فعنه يَكنى من شدا مغرما
فَمَ ان صُغَيّر ولعاب ان حلو
كتُضْمَن الجنّه لمَنْ قَبَّلُ

(١) انظر مثل ١١٢٦ من مجموعة الزجالى تحقيق بن شريفة .
(٢) ص ١١٤ — عن الكتاب انظر (الزجل فى الأندلس) قائمة المراجع .

وهذا النص يثير قضية مطالع الأزجال وصلتها بخرجات الموشحات ، فضلا عن تصحيحه لنص (كنط من) الذى صحف فى نص ابن قزمان .

الزجل ٣٨

أ — المقطوعة ٤

صاحبَ العدْوَ صاحب الأندلس
لا تَجَبَّر ولاهُ وجهُ عَبـوس
تَستغيث بِه وتجـذبَ الـبُرْنُس
(وقر) الواسِطـه (رداع الشفير)

الكلمة الأولى فى رأينا (وفِّر) الأمر من وَفَّرَ . والثانية (وداع) واو العطف ثم (داع) أى فعل الأمر (دَعْ) والكلمة الأخيرة (السفير) بالسين .

وفِّرْ الواسِطـه ودَاع السَفير

والمعنى المراد هو أن هذا الأمير الذى لا يتجبر ولا يعبّس ، قريب من الشاكين ، بحيث يصلون إليه ويجذبون برنسه حين يستغيثون به ، دون حاجة إلى واسطة بينه وبين الناس ، ودون حاجة إلى سفير أو شفيع إليه . والخطاب هنا والأمر لصاحب الشكوى .

وقد وردت كلمة (واسطة) بهذا المعنى فى زجل ٩٥ مق ٤

وبلا واسطه اسطحى أن يجيك

وفى نفس الزجـل مق ٥

لَشْ تُوَسَّط أحد من الآخرين[١]

---

(١) فى الأصل — الآخذين — وأصلحها الأستاذ جارثيا .

وكذلك كلمة (سَفير) جاءت فى Voc ص ٤٧٢ مرادفة لكلمة (واسطه) ترجمة للكلمة اللاتينية Mediator .

وبهذا التخريج يتوافق القفل مع الأغصان توافقاً كاملا ، ولا نبعد عن الرسم ولا نتعسف فى استخراج دلالات رداع وشفير وواسطة .

ب — المقطوعة ٢١

ماعُ غُرَّه يَعْشَقها بدرَ التمام
وأصابعُ (يسير به) الغَـــمام

اعتقد أن الكلمة (يَشْتَهِيه) أى يشتهيها . وأحسبها بذلك تتوافق مع (يعشقها) فى الفقرة الأولى . فضلا عن أن (يسير بها) لا تستخدم فى مثل هذا السياق .

الزجل ٣٩

أ — المقطوعة ٣

فنى عِرضك طَهاره ، وفى ذِهنك فِراسه
وتعشقْك الإمـارَ ، وتهواك الريـــاسه
وهى عنـدك إدارَ ، ومن عقـ . . . (١)
(قسيس أولا قسيس) ، لك الإنقاض والإبرامْ

لقد قرأها الأستاذ نيكل بالقاف ، وتابعه الأستاذ جارثيا ، ورتب على هذه القراءة قضية ، ولولا هذا لما تعرضنا لها . ذلك أننا نرى أن الرسم فى

(١) يشبه أن يكون مؤكدا أن الجملة « ومن عقلك كياسة » .

المخطوط أقرب لأن يكون تاء (تَسيس) من أن يكون قافا . والصواب هى التاء بغير شك ولا دخل هنا للكنيسة ولا للقساوسة .

ولعل الالتباس الوحيد الذى دعا لهذا هو أن الفعل (ساس) فى الفصحى واوى فكان حقه أن يقول بنـاء على ذلك (تَسوس أو لا تَسوس) بمعنى تسند إليك أمور السياسة رسمياً أو لا تسند ، فأنت صاحب النقض والابرام ، كنت حاكماً أو خارج الحكم ، تفخيما لمنزلته ، ولأنه مسموع الكلمة .

ولكن هذا الاشكال محلول لأنه فى Voc ص ٢٧٠ أورد ترجمة للفعل اللاتينى Blandiri الأفعال الآتية :

نداری — نلاطف — نطّبي — نُسوس سُسْت ونِسِيس سياسة ات . سائس .

وجاء فى الهامش عند نسيس industria — ثم أعاد الفعـل بصيغتيه تحت industriare ص ٤٢٨ نُسُوس ونِسِيس سُسْت سائس .

ب — المقطوعة ٥

يصف الزجال فترة قضاها فى السجن ، وما كان يدبر له أثناءها من كيد وإعداد لوثائق إدانته :

بكـلّ حيٍّ مَطـلوبْ ، وكُـلْ وَثيقَ تُعْقَـد
بَعيد عن كل مرغوب ، فى قاع الحبس مُفرد
نَرَى فيـه كل مَطلوب ، وكلَّ (مسفر) اليَدْ
ووحدى دون أنيس ، ولس يَدْرونِ نمّـام

وصواب الكلمة فيما نعتقد (مُصْفَد) اليد (١) أى مقيدها . ومطلوب الأولى بمعنى مطارَد والثانية بمعنى مجرم معاقَب . أما آخر القفل فنعتقد أن المعنى

(١) قرأها الأستاذ جارثيا (مشفر) زاعما أنها بمعنى (مقطوع) فى حد السرقة . ولا يستعمل هذا الفعل — فى حدود علمنا — فى مثل هذا . إنما يذكر القطع والبتر .

المراد هو أنه لخفـاء مكانه ووحدته لا يدرى به النمّـام ، وهو المفترض فيه التنقيب عن الأسرار . وقد نقل الزجال المعنى من مجال العشق إلى مجال الحبس . والإشكال هو فى استخدام فعـل (درى) واويا بدلا من الاستعمال المعروف وهو اليـاء (يدرينى) . وإذا جاز أن يجمع نَمام على (نُـمَّام) بالضم لزال الاشكال وصارت الواو للجمع .

الزجل ٤٠

مقطوعة ٣

يوازن الزجال بين الريحان يتجدد حسنه بعد إذ يقطع وبين الأمير الغائب حين يعود :

ترجِعْ يامَـوْلاى ، وتَرجع فى صِبـاك
وتبلـــغ فيما ، تريد غاية مُنـاك
ويَكـبُرُ آعـاذْ ، ويرجع مثـل ذاك
ويقطـع يذّ (ويثبت من حديد)

والسياق يستلزم (ويَنْبُت من جَديد) أى الريحان الذى ذكره فى المقطوعة السابقة والذى عاد بالضمير عليه فى الفقرة الثالثة (ويكبر . . . ويرجع) .

الزجل ٤٥

المقطوعة ١٢

شَوقى إلى الذهب نِعْمَ قد طـال
طوبى لمن رأه ودَرَى الحـال
إن كانَ هُ المسمَّى بمثقـــال
(بحم) أو على المُوس هُ محلوق

وهذه الكلمة لا ينقصها غير النقط والضبط . وهى (بِجُمَّ > بجمّة) . لفظ (جُمَّة) العربية ، والتى معناها شعر الناصية ، مسبوقة بحرف الباء . وقد ادعى الزجال أنه لفرط حرمانه أصبح يجهل شكل الدينار ، أهو محلوق الرأس أم ذو ناصية . وأشباه هذا التشخيص مألوف عند ابن قزمان .

ونِـعْمَ بهذا الضبط تجيء عند الأندلسيين بمعنى (جِدّا) . نص على ذلك Voc ص ٦١٩ — وانظر دوزى ج ٢ ص ٦٩١

الزجل ٤٧

المقطوعة ١

مِن تاشَفين تَطمع ، تَظْفر بِطـاعَ
جَماعةَ تفـــقد ، ورا جمـاعَـه
(وتعمل) اطرافَك ، فى كل ساعَ
وهذا ما تربح ، فى ذى التجـارَ

استخدام الفعل (يعمل) فى هذا السياق ليس له سند من لغة فيما أعلم . وقد جاء فى أمثال الزجالى (يَكُل اطرافُ بحـال بُلب) . وهذا النص يشبه أن يؤكد أن الفعل (تعمل) هنا فى نص ابن قزمان مصحف عن (يَكُل) المذكورة فى المثل[١] دلالة على الفزع والخسران .

---

(١) المثـل رقم ٢٠٧١ وشرحه د. بن شريفة بأن البلب (pulpo) حيوان بحرى يأكل أطرافه تخلصاً من الصيادين .

زجل ٤٩

المقطوعة ٢

الهوى قَلَّلنِ ، ومنُّ نموت
إنُّ ردّ جسمى ، كخيط عنكبوت
فامشُ ودَعُونى ، من قبل ان نفوت
غَمِّضوا (على) ، قد متُّ بَعَدْ

واضح أن الكلمة مصحفة عن (عَيْنَيّ) وهو ما يفعل مع الميت .

زجل ٥١

المطلع :

بحبِّ خُنَّار ، نفرح ونبتَهَجْ
خلّينيَ واسّال ، ألاّ تَقول (نهج)

واعتقد أن الكلمة مصحفة عن (نَفَج) ومعنى (نفج) كذب وبالغ وادعى ما ليس بحق . وقد وردت المادة فى Voc ص ٤٢٧ إذ ساق المثل (محتاج ونَفّاج) وجاءت عند ابن قزمان (ز ٨٨ مق ٤) .

وإنما آثرنا (نفج) على لفظ (بهرج) التى اختارها الأستاذ جارثيا ، لأنها أقرب إلى رسم الأصل . ثم لأنها تستقيم مع وزن هذا الزجل ، وهو وزن عربى التوقيع أو التنغيم . وهذا الجزء منه على (مستفعلن فَعِلْ) وأواخر كل أجزائه تنتهى بحركتين قبل سكون الختام .

والفعل (تقول) غير منقوط حرفه الأول ، والخطاب إلى من يشك فى قوله ، يحتم (تقول) بالتاء — وألاّ (أن لا) بمعنى كى لا (كيلا) .

الزجل ٥٣

أ — المطلع :

وجها مليح وشرابا اصفر
(الفاى) ذى لس لقدّام اكثر

صواب الكلمة (الغَايَ — بالغين = الغاية) وبهذا يتوافق الكلام ، ويبرأ من تثنيه (إلف) على صورة لا تقرها العاميات .

ب — المقطوعة ٤

خَلِّ بنا ذا الكلام المبهم
(ريت) كلّ هم برطوبة ذا الهم

وكلمة (ريت) هنا تؤدى دور (ليت) فهل هى مصحفة عنها ، أو هو نطق عامى يجعل اللام راء فى هذه اللفظة بالذات ؟ حيث تقول العامية المصرية أيضاً (ياريت) حين تريد (ياليت) . والمراد برطوبة الهم سهولته ويسره . والزجال فى هذه المقطوعة ينتقل من الغزل إلى المديح . ويريد أن هم الغزل أهون من هم المديح من حيث إتقان الكلام فيه .

فأنّ هذا الكلام المحكم
لا فرقَ بينُ وبين الجوهر
أجل شى نظم أو ينثر

ثم يدخل إلى مديح ابن حزم . ذلك ما يبدو لى من معنى هذه المقطوعة التى لا تخلو من فجوات وثغرات . وكأن الكلام فيها .

«دع الغزل وكلامه المبهم ، فالخطب فيه يسير ، وادخل إلى [المديح] حيث

يجب أن يكون الكلام محكما [مثل كلامى] شبيهاً بالجوهر نظما أو نثرا » .

ولعل هذا يعفى من أن تقرأ الفقرة على هذا الوجه الذى قرأه بها الأستاذ جارثيا :

ريت كل هم ، يسطو به ذا الهم

زجل ٥٦

أ — المقطوعة ٩

من خَسر روحُ بَعَـد ، مع مليح لم ينخـدع
لو وقع على (النخيل) ، فعـلى رجليه يَقَـع

اعتقد أن صواب الكلمة (النبيل) . وقد جاء فى نفس الزجل مق ٦ .

إنمـا اللهُ أغاث ، ووقعت مع نبيل

وعندنا أن قوله (فعلى رجليه يقع) تعنى أنه وقع سليما معافى ، ضد من يقع على رأسه ، وبهذا يستقيم الكلام بين الفقرات .

ب — المقطوعة ١١

لَسْ لمحبوبى نَظير ، فنقـول بـلا حَرَجْ
فى صدودُ الهـلاك ، وفى لُقيـاه الفرج
وبشَر هُ أو مَلَك ، أو من الفردوس خرج
وكثير نريد نقول ، ونخاف (نزل دقيق)

يبدو أن المراد فى قوله (نزل دقيق) أى نخاف الإطناب والتفصيل . وقد جاء فى ديوان الششترى[1] منتقدا الفقهاء فى اعتراضهم على الصوفية :

(١) ص ٢١١ تحقيق الدكتور على سامى النشار — الاسكندرية ١٩٦٠

فَقُلْ لهم ذا المباح ، غزلا رقيق يُغْزَل
وعندكم هى الكبار ، عن ذكرها يُغْفَل

بما يفهم منه أن (يغزل رقيق) تساوى يطنب . وربما كانت العبارة فى ديوان ابن قزمان مصحفة عن : ونخاف (نَغْزل رَقيق) استناداً إلى ذلك .

فاذا صح هذا ، فالكناية منقولة من صنعة النسيج ، ومما يتطلبه الغزل الرقيق من طول وقت ومشقة .

الزجل ٥٨

المقطوعة ٥

لا نَسَيت اِذْ زارنى حِبّى
وانجلى هَمّى (وزاد) كَربى
قلتُ لُ وقتاً أخَذْ قلبى
قُلْ مَتى تجينى قَلْ غدا
وغدا للناظرين قريب

صواب الفعل (زال) لا (زاد) ليتفق السياق مع (انجلى همى) . والمفروض أن الفقرة الثالثة وما بعدها تعبر عن أمله فى زيارة أخرى تالية .

الزجل ٥٩

المقطوعة : ١

المَليح مُذْ كانْ أنيس ونَفُور
وفى أخلاقُ (أنس) وسرور
وإنَ انصَفْ ليله جُمعَه يجور
لسَّ قلبى مِن وصالُ وَفى
انَّ فى اخْلا ما يَطيب قَطعُ

السياق يستلزم أن تكون الصفتان فى الفقرة الثانية متناقضتين أو متضادتين ، ولا يتحقق هذا بكلمتى (أنَس وسرور) . ونرجح أن تكون الكلمة الأولى مصحفة عن (أيسْ) والأيَس لغة هو اليأس . أو تكون (أسَى) أى حُزْن .

زجل ٦٢

المقطوعة ٦

جانى الحبيب فُمَيْمتو (فَرّاحَ)
كأنُّه قد أكل بها تُفّاحَ
فقلتُ لُ ولى فى الكلام راحَ
حَبيبى اينْ أكلت التفاحْ ، جى اعمَل لى آحْ

على الرغم من أن كلمة (فَرّاحَ) لها جرس فى الأذن ، وعلى الرغم من أنها يمكن أن تكون استعارة طريفة ، إلا أننا نرى أن الكلمة مصحفة عن (فوّاحَ = فوّاحة) بالواو .

حقاً إن الفعل (فاحَ) فى العربية يكون لما هو طيب أو غير طيب من الروائح ، ولكن يبدو أن الأندلسيين خصوا اللفظ بالرائحة الطيبة . ودليل ذلك ما ورد فى معجم Alc ص ٣٢٨ من أنه ترجم (فَوّاح) بما يفيد طيب الرائحة olorosa cosa que da buen olor . وقبلها فى نفس الصفحة ترجم (فَيْحَة ج فيوح olor bueno) .

والحديث هنا عن الرائحة الطيبة . وقوله (اعمل لى آح) أى انطق أو تنفس بكلمة (آح) لكى يُشم النَّفَس . وذكر الرائحة يحتم أن تكون الكلمة (فواحة) .

زجل ٦٨

المقطوعة ٢

الحديث وصف للسماء ليلا فى فترة من فترات الجدب والمحل .

لَسْ تَرَى اين تَدخُل اِبْرا ، من نجوم طالع وهابط
والسما (غمام) كُلُّه ، والنجوم بحال قرارط
والقمر بلا مُلَثَّم ، وهوَ فالرَّخَا [مرابط]
طرف ذا فى حاشية ذا ، نِعْم نِعم نِعم مُدْمَجْ

يريد أن النجوم — لخلو السماء من السحب — قد ازدحمت ازدحاماً للرائى بحيث لا توجد بينهما فرجة تسمح بدخول إبرة [(١)] . ثم شبه السماء بالعِمامة (عِمامَ) — وقد صحفت الكلمة فى الأصل — ليجعل النجوم دنانير (قرارط) تزدان بها هذه العمامة ، فيحقق صورة من تشبيه مركب . وواصل الزجال صور التشبيه ، فقارن بين القمر حين يتلثم بالغمام وقت الرخاء وبين زى المرابطين أو الملثمين من أهل الدولة الذين من عادتهم وضع اللثام على وجوههم [(٢)] .

أما القفل فوصف للسحاب فى زمن الرخاء حيث يكون كالملاءة متداخل الحواشى .

---

(١) قرأها الأستاذ نيكل : أجرا — والأستاذ جارثيا : أحد .
(٢) قدر الأستاذ جارثيا الجملة : فى الرذاذ [ساقط] .

زجل ٦٩

المقطوعة ٣

نعتــذر لك ياسيــدى
بِمَن امكن (نـقتـدى)
لس نؤخّر حَـدْ من رَدِى
ولا يَتْـقَـدّمْ من صَـلاح

صواب الكلمة (نبتدى) من الابتداء .

زجل ٧٣

المقطوعة ٨

يامن (عصانى) وأرضاني ، واحد وحيد

الصواب (عطانى) والكلام عن الممدوح .

زجل ٧٥

المقطوعة ٩

اعمل آشْ ما يطيب لك أن تعمل ،
(عند) انا بين يديك

الصواب (عَبْد) .

زجل ٧٦

المقطوعة ٧

القراءة الصحيحة :

ولَكْ عليّ انْ نَقول الابياتْ ، فى ذا الطريق

وقد أوهم رسم (وَلَكَ) هذه (ولد) عند الأستاذ نيكل و (دلّت) عند الأستاذ جارثيا وعبارة (لك على كذا) تعنى (اتعهد بكذا) .

الزجل ٨٠

أ — المقطوعة ١

انظر (فالزُجيَّل) ، إلى صَديقك
وارحل (للأردن) ، وجى طريقك
طوبَلْ مَنْ أكل ، بَعد دَقيقك
وينزل عليك ، ويَدْرِ طيبك

الخطاب فى هذه المقطوعة إلى القمح الجديد ، يرحب به الزجال ويدعوه إلى زيارته . وصواب الكلمة الأولى هو (فالرَّحِيل — فى الرحيل) بالراء لا بالزاى ، وافتراض أنها (الزُجيّل) كما رسمت عسيرة التخريج جداً . أما الكلمة الثانية (للأردن) فنرى أنها مصحفة عن (الأنْدَر) والأندر هو البَيْدر ، وهى بهذا المعنى فى المعاجم العربية ، وكذلك وردت فى Alc ص ٢٣٧ وفى Voc ص ٢٥٠ . وكل قمح لا بد فعلا أن يمر بالأندر قبل الوصول إلى بيت صاحبه . وتأويل (الأردن) هنا بأن المراد بها مالقة — كما رأى الأستاذ جارثيا — بعيد الاحتمال جداً .

ب — المقطوعة ٢

أيّامْ دابَ لى ، فى انتظارَكْ
اِن (ردت) شُوَى ، الله حَسِيبَك

الصواب (زدت) بالزاى ، أى إن زدت أيام انتظارى لك ، أى إن تأخرت .

الزجل ٨٣

المقطوعة ١٤

جاتْنَ فى فَقّدك رَزيّه كبيره
سِيرةَ الإحسان (بالسُنَّة) سِيره

صواب نطق الكلمة (ياسَّنْهَ) أى أنه بعد موته لم تعد سيرة الإحسان موجودة . والكلمة مؤلفة من (يا) الكثيرة الدوران فى الأزجال ومن (ليس) ومن الضمير (ها) وصيغة (لَسنْه) بتشديد السين وتحقيقها كثيرة الدوران أيضاً فى العامية الأندلسية .

الزجل ٨٤

المقطوعة ٢٠

اَشْ يكون الاّ زاملا مَفلوج
وفى صُلْبُ عُقَدْ بحال زَبْنوج
كـتَّراهَ مِن (الوزع) خُروج
على اجناس تقوم صِغار وكبار

يبدو أن الكلمة هى (البَرْذَعَ) لأننا لا نجد لكلمة (وزغَ) وجها من معنى . . . أى ترى هذه العقد فى ظهر ذلك البغل ، والتى تشبه حبات الزيتون (زبنوج) خارجة من البرذعة .

الزجل ٨٥

المقطوعة ٧

ما بزق على (مالك) ، والبس جَديدك

واضح أن الكلمة (بالِك = باليك) ليقابل الجديد بالقديم أو البالى .

زجل ٨٧

أ — المقطوعة ٢١

(من ذين الخبز) صار عليّ قصير
زدتُ فيه مقطعا[١] جَديد من حَصير

صواب ما بين القوسين (مَنْديل الُخبْز) . ويطلق منديل الخبز على الملاءة التى يغطى بها الخبز . وقد ورد اللفظ عند ابن قزمان (ز ٨٩ مق ١٢) .

وانا عُريان فى السراول ، أو فى منديل خبز ملوى

وابن قزمان يتحدث عن تنكره فى زى غريب بناء على طلب العشيقة ، استخدم فيه الحبال وشبكة الصيد ومنديل الخبز ... الخ

ب — المقطوعة ٢٢

لو تَرانى حَافى بلا أَقْراق[٢]
والركيزَ فى يدٍّ فى (عرض قذال)

لفظ (قَذَال) ومعناه لغةً : ناحيتا القفا ، أو جماع مؤخر الرأس ، أو معقد العذار من الفرس خلف الناصية ، يخيّل إلىّ أنه ليس مقصودا هنا . واقترح أن يكون اللفظ هو رسم أو نطق للفظ (أكْدَل) الذى أورده ابن هشام اللخمى فى لحن العامة « ويقولون لشيء يأخذه الإنسان فى يده كالعصا أكْدَل ، وإنما تقول له العرب المخصره[٣] » .

---

(١) فى الأصل (مقصعا) وأصلحها الأستاذ جارثيا .
(٢) الأقراق هى النعال . وكانت فى أصل — افتراق — وأصلحها الأستاذ جارثيا .
(٣) ألفاظ مغربية ص ١٨

فان صح هذا الافتراض فتكون كلمة (عرض) هى (عِوَض) بمعنى بديل . أى أنه أخذ الركيزة [١] بديلا عن العصا .

والركيزَ فى يدٍّ فى عَوْضْ قَدَال

الزجل ٨٨

المقطوعة ٦

انا أَىْ كُنت سَمِعت هذا الكلام
قلت حَقْ هُ أو (طُزَهى) فالمنام

أعتقد أن هذه الكلمة هى (تُرَّهَة) العربية [٢] التى تجمع على ترَّهات والتى تعنى الأكاذيب وأن رسمها فى نص ابن قزمان (طرَّهَى) هو نطق عامى فيها — بالراء لا الزاى — وقد وردت الكلمة فى Voc ص ٣٨١ وضبطت (تُرُّوهه) وربما أجزنا استنادا إلى هذا الرسم أن نضم الراء المشددة .

الزجل ٨٩

المقطوعة ٨

وقِطاع نحتاج لانفاق ، ولعمرى ما هى (متاع)

الصواب (ماعِ = معى) . وبها يستقيم المعنى والوزن دون حذف شيء . والقطاع هى النقود .

---

(١) جاء عند ابن هشام (ألفاظ مغربية ص ٣٤) — ويقولون لدعامة العريش ركيزة ...)
(٢) تذكر المعاجم العربية أن الكلمة من أصل فارسى .

الزجل ٩٠

المقطوعة ٢٠

(عرضتنى) إلى السعادَ طريق
زَيَّنـتْنى بين العَـدُو والصَديق
وظَفَرْ يدّى مِنكْ بحَبْلا وثيق
الذى كلَّ مَنْ سِواه (محفون)

نرجح أن تكون الكلمة الأولى (عَرَّفَتْنى) بالفاء وبها يستقيم المعنى . أما الكلمة الأخيرة فهى فى رأينا (مَعْفُون) وهى صفة للحبـل الذى ليس بالوثيق والذى يفترض أنه حبل كل من سوى الممدوح . وكان حقه أن يستعمل (ما) الموصولة بدلا من (مَنْ) . وقد وردت كلمة (معفون) فى سياق قريب أو شبيه لهذا السياق فى أمثال الزجالى (رقم ١٠٩١)

كل شىء يهون الاّ الغَزْل المعفون

والمعفون هو ما أصابه العَفَن فأصبح متهالكاً . والضمير فى عرَّفَتْنى وزينَتْنى يعود على (أيادى) وعلى (محاسن) الممدوح الواردة فى المقطوعة السابقة ، وبهذا الضبط يستقيم الوزن اذا اعتبرناه وزناً عربياً هو الخفيف .

الزجل ٩٢

أ — المقطوعة ١

يخاطب الزجّال صديقاً له يلقب بالجوهرى فيقول :

بأربعه نشكو ، من (الشبع)

والكلمة فى رأينا مصحفة عن (الشُّنَعْ) جمع شُنْعَة يريد الأمور الشنيعة أى الفظائع . وهى عنده خلو المنزل من الذهب والفضة والعصايد والدشيش حسبما وردت فى الفقرات التالية .

ب — المقطوعة ٨

هذا زُجَيِّل ، قد جا اليك
وقد جعلت ، ما بين اديْك
(فان مل) ما شيت لَسْ (١) ، عارهُ عليك
إن نشكو الاقلال (٢) ، واتْ فالطريق ؟

صواب ما بين القوسين (فارسل) فعل الأمر من أرسل ، والمراد ارسال عطاء نظير المديح . والجملة استفهام إنكارى .

الزجل ٩٤

أ — المقطوعة ٥

انمـــا (ينبغى) المُـرِ بالنهار
واذا كنت وقت رَقدَه فى دار
ارخِ شُفَّـه واشرب على مقدار
لا تقع لك قَطاعه فى اصطباح

ما بين القوسين (ينبغى) مصحف عن (يَنْبَع > ينباع = يُباع) والدليل على أنها (ينبع المرى) هو أن ابن سعيد حين أورد هذه المقطوعة فى المغرب (ج ١ ص ٢٨٤) أثبتها :

---

(١) أضافها الناسخ بين السطرين (لس) .
(٢) فى الأصل : بالاقلال .

إنما بِـعْ لِ المُـرِى[1] بالنهار

وقد ورد فى الزجل ١٤٣ مق ٣ من ديوان ابن قزمان نفسه :

وفقيــه النـوّار ، إنما هو الخِيرى
بالنهار يورى وقار[2] ، ويُرِى بيع مُرِى

وهذه الصيغة (بيع المرى) والسياق يدل على أنها كناية عن النفاق والرياء . وردت عند مدغليس[3] .

فاش يُفِدْنى بالنبى ، بيع المُـرِى

أما قوله (ارخ شفه) فيبدو أنها كناية عن عدم المبالاة ، وقد جعلها الأستاذان نيكل وجارثيا مصحفة عن (شقه) بالقاف . ولكنها بالفاء فى المغرب أيضاً . ووردت فى زجل للبحبضة (المغرب جـ ١ ص ١٧٣) بما يؤكد أنها فاء ، إذ أنها جاءت فى قافية (نرخى شفّا ... فيه عِفّا) .

ب — المقطوعة ٢٠

كل يوم فى الـكرم يَزيد حُبّ
فَهُ يُعطيك ممــا عطى ربّ
(تحتــه) هُ الذهب على قلبُ
فـاذا قِـلّ قد عُطى استراح

وصواب ما بين القوسين — فيما نعتقد — هو (تُخْمَة) ويزكى هذا استعمال ابن قزمان اللفظ نفسه مقترناً بلفظ (الراحة) كما هو الحال هنا . فى زجل ٩ مق ٤ .

---

(١) رسمت خطأ فى المطبوع (يالمرى) وما أثبتناه عن الأصل المخطوط .
(٢) هنا زيادة مقطع ولعلها : بالنهار أى وقار .
(٣) سفينــة ابن مباركشاه — العاطل الحالى — ص ٢٠٩

ونْتَ تجلى الراحَ من ذا التُّخَم

والمراد أن هذا الممدوح يشكو من بقاء الذهب عنده بما يشكو من تصيبه تخمة حتى تزول .

زجل ٩٥

المقطوعة ٢

الذى اِن (صنع) قلم فى حَبَرْ

صواب الرسم (صَبَغْ) أى غمس القلم فى الحبر فاصطبغ بلونه .

الزجل ٩٧

المقطوعة ٦

مَنْ طلب كَسْبَ (المعانى) ، وامتنع من أن يزورك
هذا هُ بحال من اسقط ، فالصلاه تكبيرَ الاحرام

العادة فى مثلها أن يقال (المعالى) .

الزجل ١٠٢

المقطوعة ٧

(اختفى) كل شاعرا (مُفْلق)

الصواب (احتفى) أى استعد وتهيأ . وقد جعلها الأستاذ جارثيا (اختلف) . وأحسبه أراد أن يتم عدد المقاطع أحد عشر . ونحن نرى أن وزن مثل هذا الزجل يقبل نقصان مقطع ، وسنعرض للمسألة عند حديثنا عن قضية الوزن .

الزجل ١٠٦

أ — المقطوعة ٢

انا من عشقُ (من) خُمار
مثل من يشرب العُقار

الصواب (فى) . والخمار السكر .

ب — المقطوعة ٦

رفيعَ الهمّ هُ نزيه
كل (من لا) غُلام يجيه
وخصال وَلْدُ خِلق فيه
مَنْ شَبَه وَلْدُ ما ظلمْ
لم يرِثْ خَصْلَ من بعيد

صواب الكلمة (مَوْلى) والمعنى أن كل مولًى يجىء إليه غلاما ، أى أن كل سيّد يصير بين يديه عبداً ، فهو مولى الموالى .

وقد رسمت الكلمة بالألف (مولا) فى مواضع من الديوان — انظر زجل ١٤ مق ١٢ :

وزير آمولا نعدّك

الزجل ١١٠

أ — المقطوعة ٢

رَغبت إلى قَلْبى أن يَسْلو ، عَن الهَوى
مِن بَعد ما لم نَدَعْ حِيله ، ولا دَوا

فَلم يَكنْ (طيب) أو تَرْكُ ، إلاّ سوا
إذا اقتراحُ بذا[1] خَلّيه ، يَمْشى مَشِيه

واضح أن الرسم الصحيح هو (طِبِّى) أى معالجتى للشفاء . و (تركُ = تركُهُ) أى ترك الطب سواء .

ب — المقطوعة ٣

أَىْ طِيْبَ ـهِ ذا (الاقـذار) ، مع ذا الغَزال
والكاسْ فى يدُّ بحال الشمس ، أو[2] الهلال

صواب الرسم (إلاّ فدارِ = الاّ فى دارى) . وقد قرأها الأستاذان نيكل وجارثيا (الأقدار) .

الزجل ١١١

المقطوعة ٣

وقلِّ قلبِ الكتاب أبلغ ، مِن الرسول
سَوّيت بطاقَه ولم نَدْرِ ، لُ ما نقول
طوّلت فى وصف أحزانى ، [و] فالنُّحول[3]
وأنّى للقِبْلَه من حُبّك ، على (مُصَلاّك)

الصواب : على هَلاكْ . ولا معنى لكلمة مصلى مضافة إلى كاف الخطاب فى هذا السياق — ومن حبك أى بسبب حبك — والقبلة هى قبلة المسلمين لا قبلة الحبيب ، وإليها يوجه من فى النزع .

(١) ربما لو كانت (كذا خليه) لكانت أليق .
(٢) فى الأصل : والهلال وقد أصلحها الأستاذ جارثيا (أو ...)
(٣) الواو بين المعقوفتين يستلزمها الوزن . وقد أضافها الأستاذ جارثيا .

زجل ١١٨

أ — المقطوعة ١

يعلن الزجال أنه لم يجد خروفا ينحره للعيد ، فذبح عوضاً عنه رأسا من بصل ، وأخذ يصف ما لقيه فى سلخه :

جِتْ لسَلْخُ فلم نَجِدْ لُ كُراعْ
وسلختُ بيدِّ فالمَوْضع
والُجلَيَّد (يحلف) ويَتْقَطّع
ان ذكرتم دباغُ (ينتقل)

اللفظ الاصطلاحى فى الأولى (يَجْلَف) بالجيم أى يتقشر . وفى الثانية (ينتغل) بالغين . يقال : نَغَل الأديم أى عفن وفسد فى الدباغ .

الزجل ١٢٢

المقطوعة ٢

يَضْحك جَمالُ على عُوَيناتُ
أقرب هى الشمس مِن شُفَيفاتُ
ومَن لا يدريه ويجهل اشياتُ
لم يُفْكر الاّ (فى فعل عمان)

أعتقد أن الصواب هو « فى حلّ هِمْيَانُ » يريد الزجال أن المحبوب يبدو لمن يجهله ولا يعرف تصرفاته ، أنه سهل المنال فيفكر ويأمل فى اللذة الغليظة ، على حين أن الشمس على بعدها أقرب إليه من شفة هذا المحبوب ، فضلا عما وراء ذلك .

والهميان هو السروال وقد ورد اللفظ فى أزجال أخرى لابن قزمان (ز ٤٩ مق ٨ وذكر معه لفظ (عُقَد) مما يزكى الفعل (حلّ) هنـا — وفى زجل ١٢٣ مق ٤ رسمت الكلمة هيمان تصحيفاً — صعب الهيمان — وزجل ١٣٧ مق ٩) .

ويجوز أن ترسم الجملة هنا (فَحَلّ هميان) باسقاط (فى) وقراءة (فعل — فَحَلّ) — ويجوز (فى حل هميان) .

وقد قرأ الأستاذ نيكل الكلمة الأخيرة (عثمـان) وكذلك الأستاذ جارثيا مفترضـاً أن تكون فيها إشارة إلى عثمان بن عفـان . ولا نجد ذلك مقبولا .

الزجل ١٢٤

المقطوعة ٤

أَىْ وَحْلَه واى نُشْبَ جات الانسان
(نفشوا) وفى طَبْـعِ قط الـكتمان
صُبَى اجمـل ما يكون فالصبيان

نرجح أن الفعل هو (نَعْشَق) .

الزجل ١٢٦

أ — المطلع

نعشق مليح لم يُرى قَط مِثْـلُ
يَنْـفر لواَنك ترى من (ذل)

الصواب (ظِلّ) أى خياله ، مبالغة فى نفار المحبوب . وقد نبـه إليها د. محمد بن شريفة فى تحقيقه للمثل ٢١٠٥ من أمثال العوام فى الأندلس .

زجل ١٣٥

المقطوعة ٤

حُبّك فَقلبي عَمَلْ ويَعْمل
عَسَى (نجر) قَط أو نُسّل

اعتقد أن الكلمة (نُجَنُّ) أى يصيبنا الجنون . وبها يستقيم عدد المقاطع . وبذلك نتجنب التصرف فيها على الوجه الذى لجأ إليه الأستاذ جارثيا حين رسم الفقرة (وجسمى ينحل قط ويسلل) ولفظ (عسى) فى هذه الجملة مع (أو) فى تصوير احتمال الجنون أو الإصابة بالسلّ سليم الاستعمال فيما نرى .

وبقية المقطوعة :

فَكلّ ما مضى قلبِ انحَلّ
وكل ما مضى عشقُ يَشْتد

ونحن نرى أن الفعل (انحل) ليس من النحول وإنما من الانحلال أى الذوبان والضعف ، وتكون بذلك مقابلة للفعل (يشتد) . وهى بهذا لا تتنافى مع ذكر (القلب) . وكان حق المقابلة أن يقول (ينحلّ) بدلا من (انحل) . والفعل (مضى) فاعله مقدّر يراد به الزمن أو الوقت .

زجل ١٣٦

المقطوعة ٤

قَلبِ يَطلب لُعوقُ
اِن مَضَى كاسْ (يسوق)
اِذ لا نَقْوى نَذوقُ
نَشُمّ

ربما كان الفعل (يَشُوق) بالشين أليق بهذا المقـام . والزجال هنا يذكر بقول أبى نواس

كل حظى منها إذا هى دارت أن أراهـا وأن أشم النسيما

الزجل ١٣٨

المقطوعة ٦

يا مَنْ لِقـاه ، (حبى) من بَعدْ حَينْ
ممّـا رَجـع ، اسمك لزجـلِ زَينْ
كررت فيـه ، كـما تـرى مَـرْتَـينْ

لس فالبلد ، أجمل من العباس ، ابن أحمد

يبدو أن كلمة (حبى) مصحفة عن (حياتى) ربما رسمت (حَيتى) أمام الناسخ . والمراد أن لقاءه (أى المحبوب) حياة للزجال بعد موت يتعرض له أثنـاء غيابه . وهو معنى مألوف . أما (حبّى) بكسر الحـاء أو فتحها فليس لها وجه .

الزجل ١٤٤

المقطوعة ٤

انا نَدُور أَسْفَـــل ، وانــــا مُحَيَّرْ
رَيْتُ [كُوى] الأَقْصاب ، تُضى بالاقمار
يرْمُـونَ (يـدا ثم) ، بغُنج الاشفـار

مِصْوابَ لَسْ يَخْطوا ، لحَـدّ مَقْتـل

ربما كان النقص فى الفقرة الثانية هو ما أثبتناه — والكُوى جمع كُوَّه أى النـافذة — أما الفقرة الثالثة فربمـا كان صواب التصحيف هو (يَدْ أَسْهُم)

— (يَذْ) المشهورة . وأسهم جمع سَهْم عبّر بها عن النظرات التى ترسلها العيون (الأشفار) . ويلاحظ أنه أثبت (يرمون) والعادة عنده (يرموا) . ونفترض أن الأقصاب جمع قصبة يريد بها المنازل .

وقد جعل الأستاذ جارثيا الفقرة الثانية والثالثة :

[إذا] ريت الكوكب ، تُضي بالأقمار
يرمون يذّ ثَمْ ، بغنج الاشفار

وترجم الأولى بما يعنى (. . . الكوكب يضىء بين الأقمار) وذلك مما لا تؤديه الصياغة .

الزجل ١٤٩

المقطوعة ٥

جماله البارع ، فى (خده) الشارع ، قد انثنا

أرجح أنها (قدُّه) فذلك أليق بالانثناء . وربما كانت (الشارع) مصحفة عن (الفارع) بمعنى الطويل ، وإن كانت الأولى تحمل هذا المعنى أيضاً . من شرع الرمح . ولكن الثانية أشهر .

« ب »

مواضـــع مشكـلة

فى الزجل ١٢

من المواضع المبهمة فى هذا الزجل المقطوعة الثانية التى نصها :

قَنَّعــوا لى قَرّ ، بقنـــاعٍ مَايِلْ
وهو لابِسْ خُلْدى ، بِعَــلامٍ كامل
وعليهْ حَـــزازير ، كما جتْ من بابل
لا تقيلوا بالله ، فأنا نَدْرِيكم

لقد أثبتها الأستاذ نيكل كما هى . أما الأستاذ جارثيا فرأى فى كلمـــة (قرّ) تصحيفاً ، فجعلها (زُهْرَ) اسم امرأة ذكرها ابن قزمان فى نفس الزجل المقطوعة التالية :

زُهْرَ مريم عَيْشَ ، أينكم اهتزو

كما ذكر الزجال هذا الاسم فى زجل آخر . ولكن العقبـة التى تقف فى سبيل هذا هو أن الضمائر والصفات جاءت مذكرة (وهو لابس) ثم (وعليهْ) وذلك لا يجوز ما دام قد سمّى المرأة (زُهره) .

فهل يجوز أن نفترض أن الزجال لا يتحدث هنا عن امرأة ، وأنه إنما يتحدث عن زق الخمر مستخدماً اللفظ الاسبانى (Cuero — قُرُّ) وهو كما ترجمه .Alc ص ١٦٢ (ظَرْف) بعد إذ شرحه بأنه زق الخمر odre de vino ؟ واللفظ مذكر فى الاسبانية .

إن هذا التخريج يبدو غريباً ، ولكن هنالك ما يؤيده بعض التأييد ، فذكر بابل فى التراث الأدبى العربى مقترن بالخمر ، وإلى بابل ينسبون الخمر ويسمونها البابلية ، ويقولون خمر بابل .

وورود كلمة بابل فى هذا النص الذى بين أيدينا — وإن كنت لا أعرف المراد تماماً بكلمة حزازير ولا أجدها فى موضع آخر — يرجح عندى أن الحديث عن الخمر .

وأمر ثان هو ما أميل إليه من أن ابن قزمان كان يتحدث عن الخمر فى الزجل ١٦ مق ٢ لا عن امرأة فى قوله :

أى مليح تعشق ياقُزْمانى ، لو كان حَريص
بألف مثقال لس لو جانى ، الاّ رخيص
يلبس الخُلْدى رُمّانى ، تحتَ القَميص
فوقُ ديباجا رقيق ، ياملاحة رونقُ
لو رأيتم صحبة الخلدى ، كتتحمّقُ

وعندى أن ابن قزمان يتصور فى الموضعين الخمر بصورة امرأة معشوقة ، فيحيل لون الخمر إلى ثوب حريرى رقيق (أى الخلدى) تلبسه المرأة ، ويجعل الإناء حولها قميصاً والحبب فوقها ديباجاً . وهذا النوع من التشخيص شائع عند قزمان وعند غيره من الشعراء .

وقراءة الزجل ١٦ وأنه قيل بمناسبة مجيء شوال وانتهاء الصيام ، والمقطوعة الأولى منه — وقد أوردناها فى مقالتنا الأولى ص ٥١ — تؤكد أن القصد فى هذه المقطوعة الثانية هو الحديث عن الخمر . وورود لفظ (الخلدى) فى الزجلين ، مضافاً إلى لفظ بابل ، وإلى الالتزام برسم كلمة (قرّ) كما وردت فى الأصل ، هو حجتنا فيما نذهب إليه فى تأويل هذه المقطوعة .

أما دعوته أصحابه لأن يقنعوا وعاء الخمر فيبدو أنه من مظاهر الزينة والتأنق فى مجالس الشراب ، بأن يغطوا أوعيــة الخمر بمنـاديل رقيقة . وليس لدينا نصوص عن هذا ولكن لدينا ما يفيد ذلك فيما يتصل بأطباق المـأكولات . جاء فى الذخيرة (ق ١ ج ٢ ص ١٧٧) : « . . . ولا أنفس من أطباقها ، وقد غطى جميعها بمناديل شَرْب تبين صورها من تحتها فتصور الأعين والقلوب إليهـا » ووصف القناع بالمائل ربما أيّد أنه قناع وعاء لا امرأة .

وربما كان المراد بالحزازير الأربطة على أفواه الزق جاءت من بلد الخمر بابل للدلالة على أنها معتقة .

أما قوله (لا تقيلوا) بمعنى لا تناموا ظهراً . فيخيل إلىّ أنه قلق فى هذا السياق ، ولم أهتد إلى حل له .

فى الزجل ٣٨

يتطرق ابن قزمان فى هذا الزجل الطويل للحديث عن المرابطين ، ويتذكر معركة الزلاقة وما تم فيها من نصر على يد يوسف بن تاشفين ، وما لقيه المسيحيون من هزيمة . وفى هذا السياق تجيء المقطوعة ١٤ ونصها :

جَبَدَ النَفْسَ فاللُبـان جَبَـدْ
طلبَ الشرَّ مَعْـنَى شَرّ وَجَـد
ترى الاسلام هُبوط أَسَد فى أَسَد
والنصـارى خنزير وَرَا خنزير

وقد رسمها الأستاذ نيكل كما وردت . أما الأستاذ جارثيا فقد أوردها على هذه الصورة :

[مَنْ] خَيَّر النَّفَسْ بالخِيـــارْ حَبَد
[ومَنْ] طلب الشَّر مَعْنَى [ال] شر وَجَد

ولا شك فى أن كلمة (مَعْنى) الواردة فى الفقرة الثـانية هى رسم لحرف الجر (مع) متصلا بضمير المتكلمين ، أى (مَعَنا) بتسكين العين (مَعْنا) أى مع المسلمين فلا إشكال عندى فى الفقرة الثانية . وإنمـا الإشكال فى الفقرة الأولى . فالفعل (جَبَد — أو — جَبَذ) ومعناه فى العامية الأندلسية وفى غيرها ، بل وفى الفصحى أيضاً : جَذَبَ ، يحتاج إلى فاعل ، وأستبعد أن يكون الفاعل ضميراً يعود على لفظ (علج) فى المقطوعة السابقة التى أولها

وترى عِلْج قد طعن لا غَيْر

ولو افترض أنه الفـاعل وأن (النَّفْس) هى المفعول وأن (فاللبان = فى اللبان) متعلقة بفعل (جبد) لما فهم المراد .

ولهذا أفترض أن لفظ (النفس) هذا مصحف ، وأن صوابه (أَلْفُنْسُ) وهو اسم ملك قشتالة (Alfonso) يراد به ألفونس السادس ، الطرف الثانى فى معركة الزلاقة . وهو يرسم فى النصوص العربية (اذفونش — اذفنش — الفنش — الفنس) .

فاذا صح هذا الافتراض وجب أن يكون المعنى فى هذه الفقرة متفقاً مع المعنى فى الفقرة التالية ، أى أن يصور خيبة الأمل وسوء الجزاء الذى أصاب الملك المسيحى فى حربه مع المسلمين . وعلى ضوء هذا التصور أفترض أن المعنى المراد هو أن الفونس حاول أمرا فخـذل ولم ينجح فيه ، وتشبث بما لا ينفع ولا يفيد ، وعلى هذا الأساس وجب توجيه كلمة (فى اللبان) إلى ما يدل على ذلك . ولا أجد فى كلمـة (لُبان) بالضم أو الفتح أو الكسر ما يفيـد المراد لغة . ولذلك اقترح كلمـة (لِيانَ — ليـانة) أى الشىء اللين . وقد وردت

صيغة (لِيـانه) فى Voc ص ٤٨١ فى ترجمة الفعـل اللاتينى Mòlificare وأقرأ الفقرة (جَبَد الفُنْسُ ، فالليانَ جَبَدْ) أى أنه أراد التشبث والتعلق بما هو صلب فأصاب ما هو رخو لين ، فلم يغنه شيئاً ، والجار والمجرور (فاللیانه) متعلق بالفعل (جبد) الثانى لا الأول . وعندى أن الضمائر فى الفقرة التالية (١٥) تعود على الفونسو :

صارت المِحْنا ماءُ أَيْما صَارْ ... الخ

فى الزجل ٤٩

جاء نص المقطوعة ٦ من هذا الزجل كما يلى :

مَحَّ ذا الرفيعَ ، بَدَنْ كالخِـــلال
والنِّسا بعلمك ، سَبيـد الرجـــال
راتنى فى المحجَّ ، قالت : اشْ تَسال ؟
دودةَ الحرير ، تَفْزَع مِن رَعَد

جاء فى حياة الحيوان للدميرى (جـ ١ ص ٤١٧) فى الحديث عن دود القز قوله :

« . . . وفيه من أسرار الطبيعة أنه يهلك من صوت الرعـــد وضرب الطست والهاون ومن شم الخل والدخان . . . » .

وبناء على هذا النص فان كلمـة (رَعَد) فى نص ابن قزمان صحيحة ، وليس من حاجة إلى افتراض أنها مصحفة عن (وَعَد) كما رأى الأستاذ جارثيا . وكأن الزجّال يشبه حدّة صوت هذه المرأة وهى تنهره وتزجره إذ تسأله عن مراده بالرعد ، وأنه فزع لهذا فزع دودة الحرير من الرعد الذى فيه هلاكها .

وإشكال ثان هو كلمـة (سَبيد) فى الفقرة الثالثة ، فقد أثبتهـا الأستاذ

جارثيا (تَسُبّ) لأنه لم يجد فى مادة (سبد) العربيـــة ، كما لم نجد نحن أيضاً ما يصلح للسياق . فهل تكون الكلمـة (شَبِير) المستعملة لدى المغـاربة بمعنى منخس أو مهماز (انظر دوزى ج ١ ص ٧١٩) ؟ وهـل الحديث عن نحافة بدن تلك المرأة وتشبيهه بالخـلال (هو الدبوس فى العامية المصرية) هو الذى أوحى بمعنى شبير ؟ إن ابن قزمان يصف المحبوب بالنحافـة على سبيل المديح أحياناً . جاء فى زجل ٥٩ مق ٦

ماعُ ذا المعشوق متاعى بَدَن . . .
فى قَوام الـزُّرْزُر الشَّرَفى[١]

وحين ننظر إلى جمـــلة (ماعُ ذا المعشوق . . . بدن) ونقيسها بأول مقطوعتنا هذه ، نجد أننـا فى غنى أن نقرأ (ويح ذا الرقيعَ) وهو ما فعـله الأستاذ جارثيا[٢] . و (محَّ) هى نطق للكلمة (معها) . وقد رسمت بهذه الصورة فى مواضـع أخرى (زجل ١١٢ مق ١) وكذلك فى أمثال الزجالى رقم ١١٨

أما لفظ (الرفيع = الرفيعة) فهى جائزة وكذلك (الرقيع) التى آثرها الأستاذ جارثيا . والرفيعة بمعنى الممتازة ، من الرفعة .

بقى أن نقول إن كلمـة (شَبير) إذا صح افتراضها هنا ، فستكون كلمة أعجمية تقابلها فى الاسبانيـة Espuera التى من الأصل القوطى Spora . وقد رسمت الكلمة فى كتاب الفلاحة لابن العوام الإشبيلى ، سابير (دوزى — نفس الموضـع) مما يدل على استخدامها فى العامية الأندلسية ، وأنهـا ليست محـدثة لدى المغاربة اقتباساً عن الفرنسيـة Eperon . ونطقهـا فى الجزائر : شبور وشابير وجمعها شوابير . وفى تونس : شبور .

(١) أى العصفور المنسوب إلى منطقة الشرف باشبيلية .
(٢) يرى الأستاذ جارثيا أن وصف البدن بالنحـافة يراد به بدن الزجال لا المعشوقة (بدنى) ولهذا لم تستقم لديه كلمة (مع) . وربما كان الأستاذ مصيباً .

فى الزجل ٦١

نص المقطوعة ٤ كما رسمت فى الأصل وكما ضبطت :

كُلّ مَنْ لم يَنَلْ فى عَقْلُ عُمْر بُلى
لا صَديق يَكشفَ الكُرْبَ ولا وَلى
ولذا الرّجَال الصُرَّف يُعْطيهَ لى
مَنْ شَكا عِلَّة قَطع فبمال ينفعُ

وهذه المقطوعة هى المدخل إلى المديح بعد غزل فى غلام . وهى عندنا من مشكلات الديوان . ونبدأ بالقفل ، الفقرة الأخيرة . إن لفظ (فبمال) يحتمل على ضعف أن يقرأ فى الأصل (فيمال) بالياء وبها قرأها الأستاذان نيكل وجارثيا . وعندنا أنها (فبمالُ) أو (بماله) مع الفاء الرابطة لجواب (مَن) . ونحن نرى أيضاً أن قوله (عِلَّة قَطع) هى مضاف ومضاف إليه ، والقَطع يراد بها النقود . وعلّة القَطع هى الفقر . فالمعنى : أن من شكا من الناس فقرا ، نفعه (الممدوح) بماله . وهذه الفقرة ككل أقفال هذا الزجل من ١٤ مقطعاً ، لا ١٣ كما عدّها الأستاذ جارثيا ، وهى ذات شطرين

مَنْ شَكا عِلّةْ قَطْعْ ، فَبِمالُ يَنْفَعُ

وعلى هذا الأساس نرى أن اسم الممدوح قد ورد فى الفقرة الثالثه ، حيث عاد عليه الضمير فى هذا القفل ، وفيما يستقبل من مقطوعات الزجل التى لم يرد فيها اسمه .

وعندنا أن (ولذا الرّجَال) محرفة عن (وَلَدَ (الزجّالى) وهو نفس الممدوح الذى ذكره فى الزجل ٨٩ مق ٨ حيث قال :

وَلَدَ الزجّالِ نمدح ، واسترحتُ من صداعى

وربما كانت الكلمة التالية التى ضبطت (الصُرَّف) هى وظيفة الممدوح وأن صواب نطقها (الصَرَّاف) ويكون أيضاً هو نفس الشخص الذى ورد فى مطلع الزجل ٩٦

قل وزد يالسانى الوصاف
فالبلنسى ابْجَعفر الصرَّاف

فإن صح هذا الافتراض فالممدوح فى الأزجال الثلاثة هذا أبو جعفر أحمد الزجالى البلنسى المعروف بالصرّاف . ويكون رسم الفقرة الثالثة كاملة ، والأغصان فى هذا الزجل من ١٣ مقطعاً :

ولد الزجَّالِ الصرّاف ، يُعْطِيه لى

فاذا سألنا عن الشىء الذى يعطيه ولد الزجالى لابن قزمان وجب أن نجده فى الفقرة الأولى ، لأن الفقرة الثانية واضحة بغير مشكلات .
والأمر فى الفقرة الأولى عسير ، ولكننى أقترح أن تقرأ الفقرة هكذا :

كلّ مَنْ لم يَنَلْ شُقَرْ فى ، عَقْلُ بُلى

أى أن كلمة (عُمُرُ) محرفة ومؤخرة الموضع عن (شُقَرْ) التى يراد بها فى نصوص كثيرة لابن قزمان الدنانير . أى أن من لا يجد الدنانير يختل عقله ، وولد الزجالى هو الذى سيعطى هذه الشقر لابن قزمان مادحه .

وأوزان الأغصان فى هذا الزجل مختلفة من حيث التنغيم عن الاقفال التى يمكن خضوعها — أى الاقفال — لتفعيلتين هما : فاعلاتن فاعلن . أما الأغصان فمن ١٣ مقطعاً فقط . وعلى هذا نقرأ الفقرة الثانية :

لا صديقاً يكشِف الكُرْبَ ، ولا وَلى

بتنوين (صديق) وفى الأغصان وقفة قبل المقاطع الأربعة الأخيرة فيما يبدو .

فى الزجل ٧٨

جاءت المقطوعة ٥ على هذه الصورة :

نَكبَر كلّ يوم سَنِين ، ومَنْ عاش كَبَر
ويَخْشى يموت الانسان ، ويَرْجع خَبَر
ولابد للخُبز[1] من فُرن ، اذا ما اختمر
اِنْ لم يَعتريه حَواله ، ويفرن تطير

والجزء الأخير من القفل هو موضع الإشكال . وقد قرأه الأستاذ نيكل (و بِفُرْنْ تَطِير) وقرأه الأستاذ جارثيا (وبالفُرْنْ يطير) . وأحسب أن طيران الخبز أو الفرن لا يستقيم ولا يفهم .

وأعتقد أن صواب القراءة أن تظل كلمة (يفرن) بالياء كما هى ، وأن كلمة (تطير) مصحفة عن (فَطِير) . ويراد بالفَطِير الخبز أو العجين غير المختمر ، وهذا هو المعنى اللغوى على أن تكون (يُفْرَن) فعل مضارع مبنى للمجهول بمعنى (يُوضع فى الفرن) .

ويكون المعنى المراد أن الإنسان لابد أن تنتهى حياته بالموت كما ينتهى الخبز المختمر بوضعه فى الفرن ، إلاّ أن يحدث تغيّر أو مفاجأة (حوالة)[2] أى تحوّل ، فيموت الإنسان قبل بلوغ السن الطبيعى للموت ، كما يحدث أن يلقى الخبز قبل اختماره — أى وهو فطير — فى الفرن .

والاعتراض على هذا التخريج ، الذى يستقيم به المعنى والوزن ، هو هل يوجد فعل (فَرَنَ) أو (أفرَنَ) من هذه المادة ؟

---

(١) فى الأصل : الخبز وقد أصلحها الأستاذ جارثيا

(٢) ورد اللفظ بهذا المعنى فى طوق الحمامة لابن حزم ص ٣٨ نشرة L. Bercher الجزائر ١٩٤٩

جاء فى Voc ص ٤٠٣ أمام مادة Furnus فُرْن ... نَفْرِن أفْرَنت إفران مفرون كـ يَنْفَرَن انْفَرَن . وقد فسر دوزى ج ١ ص ٢٦٢ الفعل بأنه صار فَرّانا معتمدا على Alc ص ٢٦٩ hornear .

ومع ذلك فأحسب أن هذا الفعل — وقد وجد فى العامية الأندلسية — يتسع حين يبنى للمفعول (يُفْرَن) لأن يؤدى معنى (يُخْبَز) أى يوضع فى الفرن . وأرى أن رسم الكلمة فى نص ابن قزمان يؤيد ذلك . وورود صيغة (انفرنَ ينفرن) فى Voc ترجح هذا .

فى الزجل ٨٠

وهو الزجل الذى يرحب فيه بالقمح الجديد ويدعوه لزيارته . جاءت المقطوعة الأخيرة (٥) مخاطبا القمح على هذه الصورة :

ما حَبِّيت(١) زمان ، الاّ زَمانَكْ
اوريني أخـير ، عند مكانك
او عَمّى الفَـقى ، يَمُر فى شانك
والله لا نَزول ، حتى نَجِيبك

قرأ الأستاذ جارثيا أول الفقرة الثالثة (وَعِمّى الفَقى) مقدّرا حسب ما ورد فى تقدمته وفى ترجمته أن للزجّال عمّا سيتولى استلام القمح من مكانه البعيد(٢) وتسليمه إلى ابن قزمان .

---

(١) فى الأصل : ما جيت . وهو تصحيف . وصيغة (حبيت) أقرب من (أحبيت) التى أثبتها الأستاذ جارثيا . ونفس الصيغة جاءت فى زجل ٨٣ مق ١٧ ف ٢ وقرأها جارثيا (وجيتك) خطأ .

(٢) انظر حديثنا عن المقطوعة الأولى من هذا الزجل فى القسم الأول من مقالتنا هذه .

وأحسب أننا هنا أمام تحذير من الزجال للقمح من أن يتدخل الفقيه فى الأمر ، والفقيه عند ابن قزمان مثال للجشع والنفاق ، وهو كذلك فى الأمثال الأندلسيـة[١] . ولذلك لا أرى صواب حذف الهمزة من (أو عمى) ولا أفترض أن أحد أعمام ابن قزمان له شأن بالموضوع . وإنما نحن أمام فعل أمر من (وَعَى يَعِى) فى صيغته الشائعة فى العاميات المشرقية (اوْعَ مِنْ) والتى معناها (احذر من) كتبت طبقـاً لنطقها (اَوْ عَمِّى الفَقِى) وقد أثبت دوزى جـ ١ ص ٨٢٣ هذه الصيغة اعتماداً على نصوص مشرقية . ولكننا لا نستبعد أن توجد فى العامية الأندلسية ، وان لم أعثر عليها فى نص آخر ، ونرى أن هذا التخريج أقرب إلى وضع ابن قزمان المادى والمعنوى وعلاقته بالفقهاء ، فضلا عن أن مثل ابن قزمان يكون دائمـاً فى خدمة الفقيه ولو كان عمه ، من أن يكون الفقيه فى خدمته .

ونرى أيضاً أن الفقرة الثـانية غير سليمة الصياغة . وقد أدرك الأستاذ جارثيا هذا فأثبتها هكذا :

أوْذَانى : أَخْبِرْ ، عندى مكانك

وأحسب أن صواب القراءة ، أو على الأقل أفضل أن أقرأها :

اَوْ رَيْتْ انا خَيْر ، فغَيْرْ مَكانك

أى (فى غير) لتتفق سياقاً مع :

ما حبيت زمـان ، الاّ زمانك

فيكون تفضيلا للزمان وللمكان اللذين يلقى فيهما القمح المشتهى .

---

(١) أمثال العامة بالأندلس ص ٢٦٢

فى الزجل ٨٢

يقول الزجّال متحدثاً فى المقطوعة ٥ عن كبش العيد وعن جزءه من أن يخلو بيته منه :

الله يَكـفينى ياخ ، لو بَقَى دارِ دُونُ
ولا يَنْـفر بمَرَّه ، وحَبَـل فى قرونُ
أو يكون فاسطوانى ، رُبّمـا دُفّ دُونُ
اسمع اش قَالْ لك الفَال ، يُعطِى عندُ ويقدر

تثير عندنا هذه المقطوعة عدّة قضايا : الأولى معنى الكلمتين (دفّ دُونُ) إذ لو كانت كلمة (دونُ) فيها هى (دونَهُ) العربية فقد وقـع ابن قزمان فيما يسميه العروضيون الإيطاء وهو اتفاق قافيتين فى نفس الكلمة لفظا ومعنى . وكلمة (دون = دونه) جاءت قافية للفقرة الأولى . والثانية : أىّ فأل يتحدث عنه فى هذه المقطوعة ؟ والمعروف أو الغـالب أنه يستخدم هذه الكلمة حين يسمع لفظ يوجه توجيهاً يحدث التفاؤل (١) . فما هو هذا اللفظ ؟ والثالثة : أن لفظ (عندُ) فى الجزء الثانى من القفـل تبدو كأنها مصحفة عن (عَبْدُ = عبدهُ) لتستقيم مع يعطى استقامة لا تحققها كلمة (عنده) .

فهل تفاءل ابن قزمان بكلمة (دونُ) العربية لأنها بالأعجمية تعنى (عَطيّة dono التى هى فى الإسبـانية الحديثة don (٢)) أو أن عبـارة (دُفّ دُونُ) أعجمية ؟ وبذلك يبرأ الزجل من الايطـاء ، فضلا عن أن معنى العبارة إذا كانت عربية لا يستقيم تماماً . إن ترجمة الأستاذ جارثيا للعبارة يفهم منها أنه جعل كلمة (دُفَّ) بمعنى أغلق البـاب ، فعل مشتق من (الدُّفَّة) التى هى

(١) انظر زجل ٧٨ — مق ١٠
(٢) انظر الجزء الثالث ص ٣٥٠ من نشرة الأستاذ جارثيا للديوان فى الحديث عن زجل ١٩

بمعنى المغلاق (انظر دوزى ج ١ ص ٤٤٧ — وانتقلت إلى الاسبانية adufe) وقد جاء الفعل (دفَّ) بهذا المعنى فى Voc ص ٥٢٩ . ولكن كلمة (ربما) فى هذا الموضع تضعف المعنى أو لا محل لها . ثم إسناد الفعل إلى الأسطوان لا الباب فيها نظر .

فهل (دونُ) الثانيه ى donno — dueño التى معناها (سَيِّد)[1] ؟ وبذلك تنسجم مع (عبده) كما نفترضها ، على أن يكون ما قبلها (دَفّ) بمعنى (دفع) أى أن هذا الكبش وهو مربوط بالحبل ينفر فجأة ، وهو مطلق فى الاسطوان يدفع أو ينطح ربّ البيت . ومن هنا كان تفاؤل الزجال بكلمتى dono ثم donno . ويكون لفظ (ربما) له محل ؟

إنها كلها مجرد خواطر أثارتها كلمة (الفأل) بحثاً عن مبرر لها ، اللهم إلاّ أن يراد بكلمة (الفأل) المثَل ، وأن قوله (يعطى عبدُه ويقدر) من أمثالهم ، يراد به (يُعطى الله عبدَه ويقدر) .

فى الزجل ١١٩

يعلن فى مطلع الزجل أن شهر الصيام انتهى وجاء شوّال فأبيح له الشراب وتجيء المقطوعة الأولى

مِنْ ذَابَ نَشْرَبْ ولَسْ نَسَلْ ، عن الصيام
ان القَوام دون شراب عندى ، لسُّ قوام
حرام هُ ! مَنْ قَلْهَا ؟ لا تكذب ، لسُّ حرام
اليومَ عاد قَالْ ابِنْ قَمْنَال ، اِنُّ حلال

(١) انظر المصدر السابق ج ٣ ص ٣٤٢ وما بعدها فى الحديث عن زجل ١٠٢

وفى الواقع أننا لا نجد إشكالا فى هذه المقطوعة ، ولكننا رأينا الأستاذ جارثيا يثبت (بِنْ قُزْما نال) فى الجزء الثالث من القفل باعتبارها تصغيراً على أسلوب اللغة الأعجمية لاسم الزجال صاحب الديوان ويعلق على ذلك فى القسم الخاص بالأعجميات من الجزء الثالث من تحقيقه للديوان ص ٤٢٩

والذى نعرفه من مقالة للأستاذ S. M. Stern فى مجلة Al-Andalus مجلد ١٣ عدد ٢ ص ٣١٧ أن طبيبا يهوديا مشهورا كان فى بلاط المرابطين اسمه أبو الحسن ماير بن قمنال Qamniel . ولا شك أنه المراد هنا — وهو معاصر لابن قزمان — وسخرية ابن قزمان تجىء من أنه أعطى للطبيب اليهودى حق الفتوى فى مسألة إسلامية وهى تحليل الخمر . ولعل وراء هذه السخرية شىء من التعريض بالدولة المرابطية . فلسنا إذن فى حاجة إلى تغيير النص إلى (قزما نال)

عبد العزيز الأهوانى

رواية جديدة عن

فتح المسلمين للأندلس

دعوة إلى ترديد النظر فى الموضوع

منذ أكثر من ٦٠٠ سنة قال لسان الدين بن الخطيب (رجب ٧١٢ — ربيع الثانى ٧٧٦ / نوفمبر ١٣١٣ — سبتمبر ١٣٧٤) متحدثاً عن فتح الأندلس : « وحديث الفتح ، وما من الله به على الاسلام من المنح ، وأخبار ما أفاء من الخير ، على موسى بن نصير ، وكتب من جهاد لطارق بن زياد ، مملول قصاص وأوراق ، وحديث أفول وإشراق ، وإرعاد وإبراق ، وعظم امتشاش ، وآلة معلقة فى دكان قشاش »[1] .

ولا شك فى أن التوفيق لم يصاحب عالم لوشه العظيم فى هذه العبارة التى أرسلها وزوقها فى أسلوبه الساذج المنمق وفى تصوره أنه بلغ من العلم منتهاه ، وهو تصور يثير فى نفوسنا الإعجاب بذلك الرجل أحياناً والحب والرثـاء له أحياناً أخرى .

فإننا لا زلنا إلى يومنا هذا نبدى ونعيد فى تفاصيل فتح الأندلس ، وكلما حسبنا أننا انتهينا إلى قول فصل جاءنا ما يذكرنا بالحقيقة العلمية التى تقول ان العلم لا يعرف قط ذلك الشىء الذى نسميه بالكلمة الأخيرة فى أى موضوع . . .

---

(١) رواه المقرى فى نفح الطيب (تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨) ١ / ٢٣٠

وقد تراكمت الأبحاث لدينا عن فتح الأندلس بصورة تدعو إلى العجب حقاً ، وقد بلغ الأمر بواحد من أجلاء الباحثين وهو إميليو غرسيه غومس أن ألقى ظلا كثيفاً من الشك على الموضوع كله فى بحث طريف له(١) نشره عن كتاب « فتح الأندلس » لمؤلف مجهول نشره من نحو قرن العلامة الإسبانى خواكين دِ جنثالث ونعيد نحن تحقيقه اليوم .

ولكننا نلاحظ أن هذه الأبحاث كلها تقوم على تفسيرات جديدة لنفس النصوص التى كانت بين يدى ادواردو سابدرا عند ما قام ببحثه القيم عن فتح العرب الأندلس(٢) فيما عدا بعض نصوص كانت قد غابت عن التفات الباحثين فأبرزناها وأعطيناها حقها فى دراستنا للفتح فى كتاب « فجر الأندلس »(٣) ، وفيما عدا تفاصيل جديدة وجدها أحمد مختار العبادى فى الجزء الذى عنى بتحقيقه ونشره من كتاب « الاكتفاء فى تاريخ الخلفاء » لأبى مروان عبد الملك بن الكردبوس الخاص بتاريخ الأندلس ، وفى الشروح الضافية التى كتبها محمد بن على بن محمد بن الشباط المصرى التوزرى (ت ٦٨١ / ١٢٨٢) للمدحة النبوية المعروفة باسم « القصيدة الشقراطيسية » التى نظمها أبو عبد الله محمد الشقراطيسى (ت ٤٦٦ / ١٠٧٣) وهى شروح مطولة أدرج فيها ابن الشباط معلومات كثيرة عن فتوح الاسلام تضم الكثير من التفاصيل الجديدة حقاً عن فتح الأندلس ووصف بلاده . وقد قدم أحمد مختار العبادى للنصين بمقدمة ضافية تناول فيها فتح الأندلس من جديد وأبدى آراء وملاحظات ذات قيمة كبيرة سنشير إليها فى سياق هذا البحث(٤) .

---

(١) Emilio García Gómez, *Novedades sobre la Croniea anónima titulada «Fatḥ al-Andalus»*, apud, Annales de l'Institut d'Etudes Orientales de la Faculté des Lettres d'Alger; Tome XII, 1954, pp. 31-42.

(٢) Eduardo Saavedra, *Estudio sobre la Invasión de los Árabes en España.* Madrid 1882.

(٣) حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، القاهرة ١٩٥٩ .

(٤) أحمد مختار العبادى : تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط . نصان جديدان . صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد ، مجلد ١٣ ، مدريد ١٩٦٥ ص ٧ — ١٢٦ ومجلد ١٤ ص ٩٩ — ١٦٤ . والمقدمة التى ذكرناها توجد فى مجلد ١٣ ص ٢٠ وما يليها .

ولكن نقطة البداية لكل الدراسات المعاصرة لفتح المسلمين للأندلس هى كتاب سابدرا الذى استوفى فيه دراسة كل ما سبقه من أبحاث فى الموضوع بما فى ذلك بحث راينهارت دوزى الذى نشره فى الجزء الأول من «أبحاثه» المشهورة.

والنقطة الرئيسية التى ميزت دراسة سابدرا وجعلت له مكاناً فريداً بين مؤرخى اسبانيا الاسلامية هو قوله بأن القضاء على قوة القوط تم على مرحلتين لا مرحلة واحدة كما كان الناس يظنون : الأولى تتمثل فى اللقاء الكبير المعروف بين قوات طارق بن زياد وقوات لذريق ابتداء من ٢٨ رمضان ٩٢ / ١٩ يوليو ٧١١ فى السهل الواقع بين جبل رتين Sierra del Retin وبحيرة الخندق Lago de la Janda ومجرى نهير البرباط ، وفى هذا اللقاء على رأى سابدرا انكسرت شوكة القوة القوطية وأبيد معظم رجالها ، ولكن لذريق نجا بحشاشة نفسه وعبر نهر البرباط مخلفاً وراءه ثقله وذخائره . وأراد عبور النهر فلصق نعله بالطين فتركه ومضى على وجهه . فلما عثر العرب على النعل ظنوا أن الرجل قد قتل . ثم انطلق نحو الشمال وتلاحقت به فلول الناجين ، ومضوا حتى استقروا فى موضع جنوبى سلمنقه وقرب بلدة تمامس الحالية .

أما المرحلة الثانية فكانت بعد أن نزل موسى الأندلس وسار فى خط فتوحه المعروف ، فلما اقترب من طلبيرة غربى طليطلة ، وكان طارق ينتظره هناك ، ظن لذريق ومن معه من القوط أن الفرصة قد سنحت لمباغتة جيش موسى قبل أن يلتقى مع جيش طارق ، فانقضوا على جيش موسى عند موضع يسميه صاحب « فتح الأندلس » السواقى أو السوانى فى حين تسميه الترجمة الاسبانية لنص الرازى Saguyue . وقد وقف سابدرا وقفة طويلة عند سجوية Saguyue هذه ، ولاحظ أولا أنها قريبة الشبه من لفظ السواقى فان مفردها ساقية ، إذا كتبت بالافرنجية كانت Saquia ، ثم مضى يبحث عن سجوية فوجد أن بعض مؤرخى الاسبان الذى كتبوا عن لذريق (ويسمونه الدون رودريجو آخر ملوك القوط Don Rodrigo el último rey godo) يطلقون على الموضع الذى قتل فيه اسم Sanguyuela أو Sangonera فرأى فى ذلك ما يؤيد ظنه . ثم انه قرأ فى حوليات الفونسو الكبير أن بعضهم

رأى قبر لذريق فى بلدة بازو أو بيزيو Viseu قرب تماس عند موضع يسمى Saguyuela de los Cornejos وعليه كتابة باللاتينية تؤكد موته هناك ، فقطع بأن ما ذهب إليه صحيح ، وقرر بصورة نهائية أن المعركة الأخيرة بين لذريق والمسلمين وقعت فى هذا الموضع ، وهناك انتهت حياة آخر ملوك القوط (١) .

ولم يبتكر سابدرا نظريته هذه ابتكاراً بل اعتمد فى القول بها على ما ذهب إليه مؤرخ إسبانى قديم هو بدرو دل كورال الذى اعتمد على « مدونة الفونسو الثالث التى تذكر اسم الموضع الذى قتل فيه لذريق فى صورة Saguyue وتربط بينه وبين ما جاء فى نفس المدونة من العثور على قبر يحمل شاهده عبارة تدل على أنه قبر لذريق وذلك فى مدينة بازو التى تكتب فى الإسبانية أحياناً Viseu (٢) وقد ورد نفس الخبر فى هذه المـدونة نقلا عن مدونة تسمى بمخطوط روطة Codice Rotense ونشرت فى مجموعـة تسمى « المدونات الأولى الخـاصة بالاسترداد » ظهرت في مجلة أكاديمية التاريخ الاسبانية .

Las Primeras Crónicas de la Reconquista en *Boletin de la Academia de la Historia,* t. C. Cuaderno II, pp. 562-628.

وهذا النص يقول :

Nostris temporibus quum Civitas Viseo et Suburbio ejus jussum nostrum esset populatus in quidam ibi basilica monumentus inventus est ubi desuper epitafion hujusmodi est conscriptus: Hic requuiescit Rudericus ultimus rex gotorum.

وهو نص باللاتينية الدارجة التى كان يكتب بها الكثيرون من رهبان العصور الوسطى ، ونستطيع ترجمته كما يلى : وفى أيامنـا هذه وفى مدينة بازو وما حولها يذيع بين عامة الناس القول بأن فى كنيستها قبر عليه شاهد يقول : « هنا يرقد رودريكوس (لذريق) آخر ملوك القوط » .

---

(١) عرضنا ذلك بالتفصيل فى كتابنا « فجر الأندلس » ص ٩٨ وما يليها .

(٢) Pedro del Corral, *Crónica del Rey Don Rodrigo con la Destrucción de España,* p. 145.

وعن مدونة الفونسو الثالث هذه أخذت هذا النص المدونة الإسبانية العامـــة الأولى التى صنفت للملك العالم الفونسو العاشر المعروفـــة باسم *La Primera Crónica General de España* وفى هذه المـدونة التى كان الفراغ من كتابتها سنة ١٢٨٩ نجد خبر وجود قبر لذريق هذا فى مدينة بازو . وتلك المدونة تنقل فى جزئها الخاص بفتح العرب لاسبانيا عن تاريخ أحمد بن محمد الرازى وتضيف إليه معلومات أخرى ترجع إلى عصر تحريرها ، ومن الواضح أن القول بوجود هذا القبر لا يوجد عند الرازى ، لأن الرازى توفى فى القرن الرابع الهجرى بل هو من الإضافات التى أدخلها المـترجمون الإسبان على الأصل ، وهو خبر مشكوك فيه ، ويزيد شكنا أنه يقول بعد ذلك أن لذريق قتل عند نهر وادى الطين Guadalentin وهو أحد نهيرات نهر شقورة Segura وهو نهر مرسية ، فأين بازو التى تقع قرب سلمنقـه من وادى الطين فى ناحية مرسية ؟ ولا بد أن نلاحظ هنا أن اسم وادى الطين يرد فى صورة Guadalet وهى صورة تحتمل أيضاً أن يكون المراد بها وادى لكه الذى يكتب أحياناً عن طريق الخطأ Guadalete .

وورد ذكر قبر لذريق وشاهده كذلك فى المدونة البرتغالية المعروفة باسم *Crónica General de Espanha* de 1344 . وهذه المدونة تعتمد أساساً على مدونة الفونسو العاشر التى ذكرناها ، ولكنها تقتبس من تاريخ الرازى وجغرافيته فقرات أكثر مما نجد فى مدونة الفونسو العاشر ، ولهـذا فان لها أهمية خاصة بالنسبة لنا .

ومعنى هذا أن نظرية سابدرا تبدو مقبولة فى جملتها ، فقد اعتمد الرجل فى القول بها على أصول قديمة موثوق فيها وانتفع بها انتفاعاً سليما ، وكيف كان يمكنه مثلا أن يهمل ذلك الخبر الذى يقول بوجود قبر لذريق فى بازو ؟ ولم يكن الرجل يجهل أن ذلك الخبر أضيف على نص الرازى على يد مترجمى الفونسو العاشر ، ولكنه حقق الأمر تحقيقـاً علمياً صحيحاً ، واجتهد حتى حقق اسم موضع Saguyue الذى ورد فى بعض مخطوطات الترجمة الاسبانية السيئة حتى وصل إلى أنه يقابل قرية Saguyuela de los Cornejos وهى قرية غير

بعيدة عن بازو ، فهى من توابع مدينة تماس Tamames فى محافظة سلمنقة وكل هذا جعله يؤكد القول بهذا اللقاء الثانى الأخير بين لذريق والمسلمين .

وقد اتجهت إلى الأخذ بهذا الرأى فى كتابى « فجر الأندلس » اقتناعاً منى بما أورد سافدرا من البينات ، ثم اننى عند ما تتبعت سير الفتح استوقفتنى المقاومة الشديدة التى أبدتها حامية ماردة فى مقاومة موسى بن نصير وما تحمل المسلمون من خسائر فى فتح ذلك البلد مما رجح فى رأيى لجوء أعداد كبيرة من فلول القوط إلى غرب الأندلس وترصدها للمسلمين هناك ، وقد تحدث عن ذلك فرانثيسكو خابيير سيمونيت وأعطانا تفاصيل قيمة عن المقاومة فى نواحى قورية وماردة وما يليها شمالا ، ومن المعروف أن سيمونيت أخذ برأى سابدرا واعتبره قضية مسلمة لا شك فيها .

ومع ذلك فقد رفض الأخذ بهذا الرأى مؤرخ اسبانى كبير هو خوان مننذث بيدال Juan Menéndez Pidal ابن أخى العلامة المشهور دون رامون مننذث بيدال(١) . أما ليفى بروفنسال فقد قال عن رأى سابدرا أنه استنتاج فيه غرر كثير une conclusion assez hasardeuse(٢) ولكنه مع ذلك لم يقطع برأى فى الموضوع .

ثم إن هناك مؤرخين آخرين كثيرين قبلوا ذلك الرأى ومنهم كما قلنا فرانثيسكو سيمونيت الذى حقق كل الفقرات التى استند إليها سابدرا تحقيقاً بالغاً وقرر أن نظريته صحيحة بل أيدها بأصول أخرى(٣) ، وقد انتفعت بالمادة الغنية

---

(١) Juan Menéndez Pidal, *Leyendas del Último Rey Godo*, pp. 141-142.

(٢) Lévi-Provençal, *Historia de l'Espagne Musulmane*, I, 25.

(٣) Francisco Javier Simonet, *Historia de los Mozárabes de España*, (Madrid, 1897-1903), pp. 23-29.

التى أتى بها سيمونيت وراجعتها كلها على أصولها عند مؤرخينا العرب وفى المدونات النصرانية وأتيت بذلك كله مفصلا فى « فجر الأندلس » (١)

ولكن سانشيث البورنوث رفض رأى سابدرا رفضاً باتا ، وقرر فى بحث مطول ممتع له ان المعركة بين لذريق والعرب كانت واحدة هى التى دارت عند بحيرة الخندق ، وقرر أن لذريق قتل قرب شذونة غير بعيد عن موقع المعركة . وخلاصة كلامه أن لفظ Saguyue الذى يرد فى الترجمة الاسبانية الرديئة لتاريخ الرازى يرد فى نسخ أخرى من نفس الترجمة فى صور مثل Sigonera أو Sagonera وعلى هذا فلا يجوز التمسك بقراءة واحدة للفظ وهى Saguyue ثم القول بأنها قرية Saguela de los Cornejos قرب تماس فى محافظة سلمنقه . ثم يقول ان Sigonera أو Sagonera ما هما إلا تحريف لاسم شذونة اللاتينى القديم وهو Gigonza أو Saguntia ، وهذه الصورة الأخيرة

---

(١) وواضح أننا نقوم بهذا الجهد فى دراسة تاريخ الأندلس خدمة للحقيقة والتاريخ ، ونحن لا نرجو من وراء ذلك إلا مجرد الذكر ، وهو أقل ما نطلبه من دلائل العرفان . ولكن زميلا معاصراً هو د. السيد عبد العزيز سالم أخذ ثمرات الجهد الطويل والقراءات المضنية فى مدونات لاتينية وكتب إسبانية عتيقة لا توجد إلا فى المكتبات الاسبانية فى مدريد والاسكوريال وشانت مانقش Simancas وأدرجها فى كتابه عن « تاريخ المسلمين وحضارتهم فى الأندلس » دون أن يفكر فى الإشارة إلينا إلا إذا تصور أننا وقعنا فى خطأ . ولن أعلق على ذلك بشىء ، ولكنى أستأذنه فى أن أعينه على الأخذ عنا — فلهذا نكتب الكتب — وذلك بتصحيح شىء أخذه منا وأساء استعماله .

فقد أوردت فى ص ١٠١ من فجر الأندلس النص اللاتينى لأول عملة ضربها موسى بن نصير فى الأندلس وذلك النص لاتينى وهو :

In Nomine Domini. Non Deus nisi Deus. Solus Sajiens, Non Deo Similis alius.

فأخطأ فى نقل الفقرة الأخيرة من العبارة فجاءت عنده Non Deus Alios وقد كنا تركنا ترجمة هذا النص لسهولته ووضوحه لمن يتجشم مثل هذه الأبحاث ، ولكن الدكتور السيد سالم أراد أن يتم عملنا فترجم النص هكذا : الله واحد والله عالم والله ليس له كفوا .

ونستطرد عن الخطأ اللغوى العربى الذى وضعنا تحته خطاً مع فداحته ونستطرد كذلك عن قوله تعليقاً على ترجمته : وهى اختصار من الآية الكريمة (ثم يورد نص سورة الاخلاص) لأن الآيات لا تختصر ، وإنما تضمن أو تقتبس ، ولا يجوز الاختصار فى كلام الله ، ثم ان سورة الاخلاص ليست آية كما قال بل هى سورة . أما صحة الترجمة فهى :

بسم الله . لا إله إلا الله . واحد عليم . ليس كمثله إله غيره .

فانظر — هداك الله — كم خطأ وقع فيه فى إكمال سطر واحد مما كتبناه !

لاسم شذونة هى أصل التسمية العربية والحالية : (Sadunna = Saguntia = شذونة = Sidonia) ويرى سانشيث البورنوث أن لفظ Saguyue وصوره الأخرى التى ترد فى الترجمة الاسبانية لنص الرازى إنما هى تحريفات للفظ السوانى أو السواقى الذى ورد فى « فتح الأندلس » لمؤلف مجهول نقلا عن أصل الرازى ، وعبارة « فتح الأندلس » هى : « وأفلت لذريق إلى موضع يقال له السوانى ، فقيل إنه وجد قتيلا وهو لا يعرف ، وقيل إنه أراد العبور فى الوادى فغرق فيه . ووجد فى ذلك الموضع خف منظوم بالدر والياقوت قد سقط من رجله » .

ولفظ السوانى هذا يمكن قراءته السواقى ، وهى القراءة الأصح ، ومخطوطة الكتاب بين أيدينا الآن نعدها للنشر(١) .

وعاد إلى الموضوع مرة أخرى بحاثة إسبانى آخر معروف بالدقة البالغة والاصالة فى الرأى والمعرفة بتحقيق الاعلام الجغرافية هو فيلكس إيرنانديث . ففى نهاية مقال له عن « مخاضة الفتح »(٢) التى يرد ذكرها فى بعض النصوص العربية وقف عند لفظ السوانى او السواقى الوارد فى « فتح الأندلس » وردد النظر فى آراء سابدرا وسانشيث البورنوث . فقال أنه لا يرى الأخذ بكلام سابدرا ، ويرفض القول بقيام معركة ثانية بين لذريق والمسلمين عند تماس ، ويرى أن الحجج التى استند إليها بدرو دل كورال فى ذلك القول غير مقنعة . وهو يستند فى ذلك إلى أننا عثرنا على الترجمة البرتغالية لنص الرازى فى وصف الأندلس وفتحه ، وهذه الترجمة البرتغالية هى الأصل الذى عملت منه الترجمة الاسبانية الرديئة التى نشرها بسكوال جايانجوس سنة ١٨٥٢ وكتب بحثاً فى اصالتها وقيمتها العلمية رغم رداءتها(٣) . وهذه الترجمة البرتغالية ترد فى سياق

---

(١) مخطوط المكتبة الأهلية فى الجزائر ، رقم ١٨٧٦ من فهرسة فانيان ص ٣ .
انظر Claudio Sánchez Albornoz: *¿Dónde y cuándo murió don Rodrigo?* en *Cuadernos de Historia de Hispana*. III, p. 5-105. Buenos Aires, 1945.

(٢) Félix Hernández Giménez, *Acerca de Majāḍat al Fatḥ y Saguyue*. Al-Andalus, XXIX, fasc. 1, 1964, p. 18 sqq.

(٣) Gayangos, Pascual de, *Memoria sobre la autenticidad de la Crónica denominada del Moro Rasis.* Memorias de la Real Academia de la Historia. Madrid, 1852.

المدونة البرتغالية المعروفة باسم مدونة ١٣٤٤؛ التى نشر لويس فيليب لندلى سينترا الجزء الثانى منها فى لشبونة ١٩٥٤ (١) .

يقول فيليكس إيرناندث أن هذه الترجمة البرتغالية تعطينا إسم الموضع الذى قتل فيه لذريق فى الصور التالية : Sagoneira ، Sigonera ، Sagaynera و Sogoynera ولا نجد من بينها صورة Saguyne التى جعلت بدرو دل كورال يفترض وجود موضع قريب الاسم منهـــا فى ناحية بازو ، وهذا هو الأساس الذى استند عليه سابدرا .

ثم تناول لفظ السوانى الذى ورد ذكره فى « فتح الأندلس » فقال إن قراءته الأصح هى السواقى ، ثم ان حرف الواو الوارد فى اللفظ إذا كتب بالاسبانية على طريقة قدامى المترجمين الاسبان جاء فى صورة gu فهم إذا قالوا « وادى » قالوا guadi فالوادى الكبير هو Guadalquivir والنويرى هو al-Noguairi وهكذا ، فلفظ السوانى يصير Saguani والسواقى يصير Saguaqui وهاتان الصورتان قريبتان من الصور الواردة فى الترجمة البرتغالية ، وليس بينها واحدة تقرب من Saguyue وإذن فلا محل للقول بوقوع معركة عند Sogoyuela de los Cornejos (كما يقول سابدرا) ولا محل للقول بأن هذه الصورة تحريف للفظ Saguntia وهو الاسم القديم لشذونة (وهذا رأى سانشيث البورنوث) . وأما العبارة الخاصة بقبر لذريق فى كنيسة فى بازو فيرى فيليكس إيرناندث أنها ليست من كلام الرازى وإنمـا أقحمها المترجم نقلا عن أصل آخر .

ودرس أحمد مختار العبادى ذلك كله فى بحثه الذى أشرنا إليه فى مفتتح هذا المقال ، وقد أداره كما قلنا على ما ورد عند ابن الكردبوس وابن الشباط عن اللقاء بين لذريق والمسلمين ، فاما أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزرى الذى عاش فى النصف الثانى من القرن السادس والنصف الأول من القرن

---

(١) *Crónica General de Espanha* de 1344, volume II, ediçao critica do texto Portugues por Luis Filipe Lindley Cintra. Lisboa 1954. p. 330 spp.

السابع المهجريين ، فيقول : « ثم لم يكن له (أى للذريق) بد من المقابلة (المقاتلة ؟) فالتقيا يوم الأحد ، وصدق المسلمون القتال ، وحملوا حملة رجل واحد على المشركين ، فخذلهم الله وزلزل أقدامهم ، وتبعهم المسلمون بالقتل والأسر ، ولم يعرف لملكهم لذريق خبر ، ولا بان له أثر ، فقيل انه ترجل ، وأراد أن يستتر فى شاطىء الوادى ، فصادف غديراً ، فغرق فيه فمات ، ولهذا وجد فيه فرد خفه ، وهو مرصع بالدر والياقوت عليه الحمل ، فانسل من رجله ، وقوم فى المغنم بمائة ألف دينار . وانتهبت محلته ، وانتشر عسكر المسلمين فى الجزيرة يميناً وشمالا . . . » (١) .

وهذا النص لا يتضمن تحديداً لتاريخ أو مكان .

أما نص محمد بن على بن الشباط المصرى التوزرى المتوفى سنة ٦٨١/١٢٨٢ فأكثر تفصيلا وتحديداً ، فهو يقول فى الفصل الذى أداره على ما سماه « صفة قضية فتح الأندلس » :

« . . . ثم زحف طارق بجميع أصحابه حتى نزل قريباً من عسكر لذريق فتلاقوا يوم الأحد لانسلاخ شهر رمضان ، فاقتتل المسلمون والمشركون ثمانية أيام قتالا شديداً ، وصبر الفريقان جميعاً صبراً عظيما . ثم أنزل الله عز وجل نصره على المسلمين ، فانهزم أبناء الملك (٢) بأهل الميمنة وأهل الميسرة من عسكر لذريق ، فقتل العجم قتــلا ذريعاً ، وقتل أبناء الملك ، ولم يغن عنهما كيدها (كذا) وأفلت لذريق إلى موضع يقال له السواقى ، فقيل إنه قتل وهو لايعرف ، ويقال أيضاً انه أراد الاستتار بسهار الوادى فغرق فيه وهلك . ووجد فى ذلك المكان خف منظوم بالدر والياقوت قد سقط من رجله . وأصاب المسلمون من السبى ما لا عهد لهم بمثله . وكان يعرف أشراف العجم فى القتلى بخواتيم الذهب توجد فى أصابعهم ، ومن دونهم بخواتيم الفضة ، والعبيد

---

(١) أحمد مختار العبادى : تاريخ الأندلس لابن الكردبوس . صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد ، مجلد ١٣ ، مدريد ١٩٦٥ ، ص ٤٨ .

(٢) يريد أبناء غيطشه Witiza الذين حالفوا المسلمين على لذريق .

وأمثالهم بخواتيم الصفر . وكانت الوقيعة على المشركين يوم الأحد لسبع خلون من شوال ، وليومين مضيا من تشرين الأول . وجمع طارق الغنائم ، فأخذ منها الخمس ، وقسم غيرها على تسعة آلاف سوى العبيد ، ثم تقدم طارق حتى نزل بأهل مدينة شذونة » (١) .

وهذا نص عظيم القيمة يقول ابن الشباط نفسه انه نقله عن « مختصر تاريخ الطبرى » ويذهب العبادى إلى أن المراد بذلك « ذيل تاريخ الطبرى » لعريب ابن سعد القرطبي المتوفى سنة ٩٨٠/٣٧٠ لأننا لا نعرف مختصراً لتاريخ الطبرى ، وإنما المعروف هو ذيله المعروف بصلة تاريخ الطبرى ، ولم نجد من هذه الصلة إلا القطعة التى نشرها دى خويه اكمالا لتاريخ الطبرى سنة ١٨٩٧ ، وقد نشرت أيضاً ذيلا على الطبعة المصرية القديمة لتاريخ الطبرى . ويبدو أن ذلك الذيل كان يتكون من قطعتين : الأولى استدرك عريب فيها على الطبرى ما فاته من تاريخ المغرب والأندلس ، والثانية واصل فيها حوادث المشرق حتى سنة ٣٢٠ ، وتلك هى التى نشرها دى خويه .

أما القطعة الأولى فلم نعثر عليها كاملة وإنما وجدت منها قطع اختلطت بالجزء الثانى من البيان المغرب لابن عذارى (وهو الخاص بالأندلس ، وقد نبه على ذلك دوزى فى تحقيقه لهذا الجزء الذى نشره سنة ١٨٤٨ فى لايدن ، ووجدت كذلك قطع اندرجت فى سباق مؤلفات أخرى مثل صلة السمط لابن الشباط وهو التعليق الذى أشرنا إليه على القصيدة الشقراطية .

ومعنى هذا ان نص ابن الشباط يعطينا قطعة من ذيل تاريخ الأندلس لعريب بن سعد ، وهذا فى حد ذاته أمر عظيم القيمة ، ونلاحظ منه أن عريبا اعتمد على تاريخ أحمد بن محمد الرازى فيما أكمل به تاريخ الطبرى ، وذلك يزيد فى قيمتها فى نظرنا ، فهى تعطينا فقرات من الصورة العربية لنص الرازى الذي لم نعثر عليه إلا فى ترجمتيه البرتغالية والاسبانية .

---

(١) وصف الأندلس لمحمد بن الشباط المصرى التوزرى ، قطعة من كتاب صلة السمط وسمة المرط لابن الشباط . بتحقيق أحمد مختار العبادى . صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، مجلد ١٤ (١٩٦٧ — ١٩٦٨) ١٠٦ — ١٠٧ .

وقد درس العبادى هذا النص دراسة تعمق وتحليل وقارنه بغيره من النصوص ، واستعرض آراء الباحثين قبله وخرج من دراسته بالقول بأن لذريق لم يلق العرب إلا فى معركة واحدة هى التى كانت جنوبى شذونة وقتل فيها لذريق ، أى انه لا يؤيد رأى سابدرا ومن تابعه .

وهو يؤيد رأيه بالقول بأن الرازى نفسه فى وصفه للأندلس يحصر منطقة الارحاء والسواقى المائية فى جبل مشرف على شذونة يسمى كما ورد فى الترجمات المختلفة للرازى باسم Montebir أو Montebyr وقد ذهب جايانجوس إلى تحديد مكان الموضع المراد بذلك بين شريش وأركش .

وقد راجعنا نص الرازى الذى أشار إليه جايانجوس فى ترجمته البرتغالية فوجدناه لا يذكر السواقى أو النواعير عند شذونة ولكنه يشير إلى كثرة العيون ذات الماء الغزير هناك .

E ha hy hún móte a que chama Montebyr e este monte jaz sobre xodulha et sobre Terecune; e em este monte ha fontes que deytam muytas aguas e ha hy muy bóos logares e boos almargées e delle nace hún ryo a que chama Let(1).

وترجمتها : « وهناك جبل يسمى منتبير ، وهذا الجبل يقوم فوق شذونه وفوق تركونه(٢) وفى هذا الجبل توجد عيون تعطى مياهاً كثيرة وتوجد هناك مواضع غاية فى الطيب وغابات جميلة ومنها ينبع نهر يسمى ليت » .

وقد استنتجنا من هذا النص ان الذين ترجموا نص الرازى إلى البرتغالية قرأوا لفظ « السواقى » المختلف حوله فى صورة السوانى ، لأن السانية هي البئر أو عين الماء التى تقام عليها عجلة الساقية .

وبناء على ذلك النص تكون الواقعة الواحدة التى دارت بين لذريق والعرب قد وقعت فيما بين شذونة وتاكرنا لا بين شريش واركش كما يقول جايانجوس .

---

(١) *Crónica General de Espanha de 1344*. II, 73.

(٢) الصور الأخرى لهذا اللفظ فى المخطوطات قريبة من هذه وواحدة منها Terrecone تسمح لنا بالقول بان المراد هنا تاكرنا .

ويتضح من القراءة الدقيقة لنص الرازى فى ترجمتيه الاسبانية والبرتغالية ان العبادى على حق فى القول بأن عريبا بن سعد الذى ينسب إليه ابن الشباط هذه العبارة قد اعتمد على نص الرازى فيما أورد من الأخبار التى أكمل بها فوات تاريخ الطبرى .

وأعتقد الآن بعد هذه الدراسات القيمة التى قام بها هؤلاء الأساتذة الأجلاء لما ذهب إليه سابدرا عن المعركة الثانية بين لذريق والعرب عند تماسس أنه لم يعد هناك ما يدعو إلى التمسك بهذا القول ، وإن كنا كذلك لا نستطيع إنكاره كلية ما دامت هناك نصوص قديمة ترجع إلى نهاية القرن الثالث عشر الميلادى تقول بأنه كان هناك بالفعل قبر للذريق فى كنيسة فى مدينة بازو Viseu فى محافظة سلمنقة .

ومن الواضح أن العبادى على حق فى قوله أن المعركة الحاسمة بين قوات لذريق وقوات طارق لم تقتصر رحاها على جنوب شذونة أو شمالها ، بل شملت جميع أنحاء هذه المنطقة ، فهى معركة كورة شذونة بأسرها وليست معركة مدينة شذونة قاعدتها ، ومن هنا جاز لنا أن نقول بأن ما ورد فى كتب التاريخ من تسميات مختلفة لهذه المعركة مثل « البحيرة » ووادى بكة ووادى البرباط ووادى لكه وشريش والسواقى ما هى فى الواقع إلا تسميات لتلك الأماكن التى دارت وتشعبت عندها تلك المعركة الكبيرة فى أراضى كورة شذونة »(١) .

ونضيف هنا أن هناك من يرون أن لفظ Sagonera الذى يرد فى بعض المخطوطات على أنه تحريف لاسم الموضع الذى قتل فيه لذريق هو الاسم القديم لنهر وادى الطين Guadalentin وهو أحد روافد نهر شقورة وهو يجرى فى مقاطعة مرسية ، وعلى هذا يكون لذريق قد فر من مكان المعركة واتجه نحو الشرق وتتبعه المسلمون حتى أدركوه ، فأراد عبور نهر وادى الطين فغرق فيه قرب لورقه . وسنرى بعد قليل أن هذا الفرض محتمل .

---

(١) تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ، مقدمة البحث في المرجع المشار إليه آنفاً ، ص ٤٠ — ٤١

وصاحب الكتاب المجهول فى جغرافية الأندلس وتاريخه يؤيد القول بأن لذريق فر إلى الشرق وقتل عند نهر وادى الطين . وكان أول ما مال بى إلى قبول هذا الفرض أننى وجدت صاحب مخطوط وصف الأندلس وتاريخه ، وهو أحد الذخائر التي تكشفت عنها خزائن المغرب فى السنوات الأخيرة ، وقد سبق أن تحدثت عنه فى كتاب « تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس » ثم فى بحث نشر فى هذه الصحيفة تحت عنوان : وصف جديد لقرطبة الاسلامية (١) وقلت اننا مع جهلنا باسم مؤلف هذا الكتاب وعصره إلا أننا نعتقد أن هذا المؤلف اعتمد فى القسم الجغرافى من كتابه على وصف الرازى للأندلس و « ترصيع الأخبار » لأحمد بن عمر بن أنس العذري (٢) ، أما فى القسم التاريخى منه فعماده الأصلى على أحمد بن محمد الرازى وهو يشير إليه دائماً بقوله : « قال صاحب التاريخ » ، وقد درست ما يقوله عن فتح الأندلس فوجدته مطابقاً إلى حد كبير لما لدينا من فقرات نص الرازى وترجمتيه البرتغالية والاسبانية ، وسآتى بالقطعة الخاصة بالفتح منه ذيلا على هذا البحث ، ولكننى اجتزىء هنا بالفقرة التى تتحدث عن موت لذريق ، وهى : « وفر لذريق ، فأدركه المسلمون بوادى الطين ، فقتل هو ومن كان معه . وقيل إنه غرق فى النهر لأن المجاز كان وعراً ، وفرت الروم وقد فقدوا لذريق ، ووجد خفه فى النهر ، وصار طارق إلى قرطبة » .

وهذا النص واضح فى القول بأن لذريق فر من معركة شذونة وان المسلمين أدركوه عند وادى الطين ، فلما أراد العبور لم يستطع وغرق في الماء ووجد المسلمون خفه فى الماء .

ولا ذكر هنا للسواقى أو السوانى ، أى لا محل لذكر Saguyue التى طالما حيرت الباحثين ، ولكن إحدى صور ذلك اللفظ فى مخطوطات الترجمة

---

(١) انظر : حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس ، مدريد ١٩٦٧ ، ص ٥٩٦ وما يليهـا و « وصف جديد لقرطبة الاسلامية » صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد (ص. م. د. ا. م.) مجلد ١٣ (١٩٦٥ - ١٩٦٦) ص ١٦١ وما يليها .

(٢) نشر قطعاً منه معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد بعنوان « نصوص عن الأندلس » بتحقيق د. عبد العزيز الأهوانى ، مدريد .

البرتغاليـة تؤيد القول بأن موت الرجل كان عند وادى الطين ، فهى ترسمه Sagonera أو Sagoneira وهو اسم هذا النهير قبل أن يسميه العرب وادى الطين .

ويؤيد هذا الرأى نص فريد فى بابه وجدته عند مطـالعتى لكتـاب تاريخ افريقية والمغرب المنسوب إلى ابراهيم الرقيق الذى نشره السيد المنجى الكعبى فى تونس سنة ١٩٦٨ وقال انه قطعة من تاريخ افريقيـة والمغرب لأبى اسحاق ابراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق القيروانى ، الأديب الكاتب الشاعر الذى تولى ديوان الإنشاء لنصير الدولة باديس بن أبى الفتح المنصور (٣٨٦ — ٤٠٦ / ٩٩٦ — ١٠١٥) ثالث الأمراء من بيت بنى زيرى الصنهاجيين فى افريقية ثم لابنه المعز بن باديس (٤٠٦ — ٤٥٣ / ١٠١٥ — ١٠٦٢) إذ أنه توفى بعيد سنة ٤١٧ / ١٠٢٦ بعد عمر طويل حافل بالعمل والتأليف والمتع والرحلات .

وقد كنا من زمن طويل ننتظر العثور على كتاب الرقيق هذا فى تاريخ بلده افريقية ، وقد تمنيت هذه الأمنية من أكثر من ربع قرن عندما كنت أعد بحثى عن « فتح العرب للمغرب » (نشر سنة ١٩٤٧) ، فقد قلت فى الفصل الأخير من ذلك الكتاب وهو الخاص بالمراجع ان تاريخ الرقيق مرجع هام اعتمد عليه كل من ابن الأثير وابن عذارى والنويرى وغيرهم ممن كتب بعد القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، وقلت اننا لو عثرنا عليه لحصلنا على أصل لا تقدر قيمته عن تاريخ الغرب الإسلامى كله ، وقلت فى كلامى عن القطعة الخاصة بتاريخ المغرب من نهاية الأرب للنويرى (ص ٣١٠ من فتح العرب للمغرب) انه كان هناك كتاب فى مغازى افريقية للواقدى يرد ذكره عند البلاذرى وأبى عبيد البكرى ثم اختفى بعد ذلك فلم يعد أحد من مؤرخى القرن السادس وما بعده يذكره إلا نادراً .

وقلت كذلك ان الواقدى يعتمد فى الكثير مما يورد من أخبار فتح افريقية على رجل يسمى المسور بن مخرمة بن نوفل الزهرى « اشترك فى فتح المغرب وروى أخبار ما رأى وأخذ عنه الواقدى ، وقد أكد لى حسن حسنى عبد الوهاب ان مغازى الواقدى هذا كان من المراجع الأساسية التي اعتمد عليها

ابراهيم الرقيق ومحمد بن يوسف الوراق وأبو بكر المالكى من أهل المغرب الذين كتبوا فى تاريخ بلادهم ، وقد حلت مؤلفات هؤلاء محل مغازى الواقدى الخاص بالمغرب ، ولهذا خمل أمره واختفى . ومن القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى نجد أن هذه الأصول المغربية إلى جانب فتوح عبد الرحمن بن عبد الحكم قد أصبحت هى الأصول الرئيسية التى يأخذ عنها الناس تاريخ المغرب والأندلس » .

والقطعة التى بين أيدينا من التاريخ المنسوب إلى الرقيق تؤيد هذا القول ، فهى تنقل عن الواقدى وعن عبد الرحمن بن زياد بن انعم المعافرى وعن يوسف ابن هشام وعمر بن سهل ، فأما أبو خالد عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (٩٥— ١٦١ / ٧١٤ — ٧٧٧) فلا شك فى أنه كان من أعلام أهل افريقية ومن كبار رجال الفقه فيها فى عصر الولاة ، وأما يوسف بن هشام فهو نفسه يقول ان جده كان من خاصة موسى وأصحابه ، وكذلك كان عمر بن سهل من موالى موسى ، وموالى موسى كانوا مغاربة وأندلسيين ولهم شأن عظيم فى تاريخ المغرب حتى نهاية العصر الأغلبى . فنحن هنا أمام رواة من أهل المغرب ممن أخذوا الأخبار التى يروونها بالتواتر أو كتبوا بعض ما وصل إليهم ، ثم تجمع ذلك كله فى المؤلفات الأولى التى كتبها أهل المغرب عن تاريخ بلادهم وعلى رأسهم أبو العرب تميم وأبو بكر المالكى وابراهيم الرقيق ومحمد بن يوسف الوراق .

ولكن قطعتنا هذه تذكر أخباراً كثيرة مقدمة لها بعبارة « قال » فحسب ، وهذا هو ما نجده فى بداية القطعة الخاصة بفتح الأندلس ، والأخبار التى يرويها بعد ذلك لا تشبه فى شىء ما لدينا من الأخبار التقليدية عن فتح الأندلس ، فمن هو صاحبها ؟ إنها تختلف عن أخبار ابن عبد الحكم وابن القوطية و « الأخبار المجموعة » و « فتح الأندلس » وغيرها مما نعتبره أقدم ما لدينا وأولاه بالثقة فى رواية أخبار فتوح المغرب والأندلس ، ولكن عليها رغم ذلك طابع الاصالة وخاصة فيما يتصل بعلاقات أهل طنجة بقوات طارق ابن زياد التى عسكرت فيها ، وما كان لذلك من أثر فى فتح الأندلس . والقطعة

تعطى صورة جديدة لليليان (تسميه أليان) وحقيقة علاقته بلذريق من ناحية وبالعرب من ناحية أخرى .

ونحن لا نستطيع القول بأن هذه هى رواية الواقدى التى ضاعت مخلفة فقرات واقتباسات فى الكتب التى ألفت بعد ذلك . وجدير بالذكر أن ابن عذارى عندما ذكر مراجعه فى مقدمته لم يذكر الواقدى من بينها مع أنه يروى له أخباراً فى صلب تاريخه . وواضح أنه أخذ عبارات الواقدى تلك عن مراجع ألفت بعد ذلك واعتمدت عليه ، وأهمها فيما يخصنا هنا : مختصر عريب بن سعد القرطبي[١] وتاريخ افريقية والمغرب لابراهيم الرقيق[٢] وكتاب العبر لأبى بكر أحمد بن سعيد بن أبى الفياض الاسبجى (ت ٤٥٦ / ١٠٦٦)[٣] وكتاب الذيل لمحمد بن شرف القيرواني[٤] وتاريخ الأندلس لأحمد بن محمد الرازى[٥] والمقتبس فى تاريخ الأندلس لأبى مروان بن حيان[٦] وتاريخ افريقية لمحمد بن يوسف الوراق الكاتب . وهذه فى رأينا هى الكتب التى تتساوى فى الاصالة

---

(١) عريب بن سعد القرطبي (ت ٣٧٠ / ٩٨١) انظر عنه تاريخ الفكر الأندلسى بترجمتنا (الفهرس) وبونس بويجس ص ٨٨ — ٨٩ والمقدمة التى كتبها دوزى لكتاب البيان المغرب لابن عذارى وجعلها دراسة لمؤرخى المغرب والأندلس وهي مشهورة باسم Introduction du Bayan ، وانظر كذلك نفح الطيب للمقرى ٢/٢٧٥ و ٣/١٣٤ و ١٨٢ من طبعة محي الدين عبد الحميد . وقد سبق أن تحدثنا عن مختصر عريب لتاريخ الطبرى .

(٢) انظر عن أبى إسحاق ابراهيم الرقيق المقدمة الشاملة التى ساقها المنجى الكعبى بين يدى تحقيقه للقطعة التى نسبها إليه ، وهى موضوع حديثنا هنا . وانظر كذلك مقدمة كتاب « قطب السرور فى وصف الخمور » من تأليفه ، وقد كتب هذه المقدمة محقق الكتاب .

(٣) عن ابن أبى الفياض انظر كتابنا « الجغرافية والجغرافيون فى الأندلس» ص ١٠٦ — ١٠٧

(٤) المرجح فى رأى د. محمود مكى أن المراد هنا أبو الفضل جعفر بن محمد بن شرف المتوفى سنة ٥٣٤/١١٣٩ وهو من مواليد مدينة برجة فى شرق الأندلس ، وهو ابن الأديب الأندلسى أبى عبد الله محمد بن شرف الذى ترجم له ابن بسام فى الذخيرة (قسم ٤ — ١ / ١٣٣ — ١٨٦) وعن أبى الفضل جعفر المراد هنا انظر المغرب لابن سعيد بتحقيق شوقى ضيف ٢/٢٣٠ والمراجع المعطاة هناك .

(٥) عن أحمد بن محمد الرازى ، انظر كتابنا « الجغرافية والجغرافيون » ص ٥٦ وما بعدها .

(٦) عن ابن حيان انظر المقدمة الوافية التى ساقها د. محمود مكى بين يدى تحقيقه لقطعة من المقتبس تشمل جزء من عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط وعصر الأمير محمد ، القاهرة ١٩٧١ ، وانظر كذلك تاريخ الفكر الأندلسى ، الفهرس .

والأهمية ، وأصحابها باستثناء أحمد بن محمد الرازى أبناء عصر واحد تقريباً والمغاربة منهم (ابراهيم الرقيق ومحمد بن يوسف الوراق ومحمد بن شرف القيروانى يتعادلون فى القيمة والمستوى ، ويحتمل جداً أن تكون القطعة التى نشرها الأستاذ المنجى الكعبى من تأليف أى واحد من هؤلاء . وقد أداه اجتهاده إلى القطع بنسبتها إلى إبراهيم الرقيق ، ونحن لا نملك دليلا بيناً يمكننا من تأكيد هذا القول أو نفيه . فلنترك هذه النسبة لصاحبها على مسئوليته إلى أن تصل إلى أيدينا براهين أنصع مما بأيدينا اليوم .

أقول هذا وأنا أعلم أن الأستاذ الدكتور محمد الطالبى كتب بحثاً ممتعاً فى « كراسات تونس » التى تصدرها كلية الآداب فى الجامعة التونسية أنكر فيها صحة نسبة هذه القطعة إلى إبراهيم الرقيق ، وبذل جهداً مشكوراً فى مقارنة نص هذه القطعة بنص ابن عذارى فيما يتعلق بحوادث الفتح ، ولاحظ أن أسلوب القطعة ركيك فى بعض الأحيان وغير واضح فى أحيان أخرى ، وهو لهذا يستبعد أن يكون هذا هو أسلوب إبراهيم الرقيق الكاتب الأديب الشاعر . ثم ان الطالبى عثر فى تلك القطعة على بعض التفاصيل الخاصة بحياة القاضى أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن غانم (١٢٨ — ١٩٦ / ٧٤٥ — ٨١١) موجودة فى كتاب رياض النفوس للمالكى المتوفى بعد سنة ٤٥٣ / ١٠٦١ و «مدارك» القاضى عياض المتوفى سنة ٥٤٤ / ١١٤٩ واستبعد أن يكون هذان قد نقلا عن ابراهيم الرقيق ، وقال إن العكس هو الممكن ، أى أن يكون صاحب القطعة التى نشرها المنجى الكعبى قد نقل عن هذين الفقيهين المؤرخين . ولا ندرى لماذا يستبعد الطالبى أن يكون المالكى قد أخذ عن الرقيق دون أن يشير إلى ذلك ، أو لماذا لا يكون الإثنان قد أخذا عن أصل واحد ؟

وبهذه المناسبة هل لى أن ألاحظ أن د. الطالبى كان قاسياً القسوة كلها فى نقده لعمل السيد المنجى الكعبى فقد اتهمه بالجهل والتسرع وقلة الضبط ، ثم زاد فرماه بأنه نسب هذه القطعة إلى الرقيق التماساً لرواج الكتاب بنسبته إلى الرقيق ، وأعتقد أن الطالبى لو راجع نفسه لوجد أنه جاوز الحد فى العنف ، فما عسى أن يكسب إنسان من نشر قطعة من كتاب ابراهيم الرقيق حتى

يدفعه ذلك إلى التدليس ؟ وما عسى أن يبيع من نسخ هذا الكتاب ؟ ولهذا فإننا نرجوه شيئاً من الرفق فى نقد أهل البحث فهو أدرى من غيره بقلة جزاء العاملين على العلم فى بلدنا وليس من الإنصاف أن تقسوا عليهم ونحن زملاؤهم وشركاؤهم فى قلة الجزاء .

قيمة هذا النص المنسوب إلى الرقيق بالنسبة لتاريخ الأندلس

وقد حكم محمد الطالبى على هذه القطعة المنسوبة إلى الرقيق بأنها لا قيمة لها ولا تعطينا جديداً يتناسب مع ما كنا ننتظره من إبراهيم الرقيق وقال :

En resumé, l'ouvrage de N. (= attribué a Ibraim al-Rakīḳ) me presente aucun de ces avantagis substantiels que l'on se plait généralment à attribuer à l'histoire d'Ibn al-Raqīq. Sa valeur informative, tout compte fait, avec son apport certes, mais aussi avec ses omissions, ses confusions et ses incohérences, ne tranche pas, pour le moins que l'on puisse dire, sur nos textés classiques (1).

ولكن هذه القطعة تقدم لنا لحسن الحظ مادة طيبة وعظيمة القيمة فى أكثر من موضع رغم إنكار د. الطالبى نسبتها إلى الرقيق ، وإذا كانت قيمة مادتها فيما يتصل بأحداث فتح العرب للمغرب قد بدت له مألوفة ومعروفة فالسبب فى ذلك فيما نرى أننا درسنا هذا الفتح دراسة شاملة فى كتابنا عنه بحيث لم نترك فيه غامضاً ، ووقع فى ظن الناس أن كل تفاصيل هذا الفتح معروفة كل المعرفة وخاصة بعد أن أضفنا إلى ذلك ترجمتنا للدراسة القيمة التى قدم بها ليفى بروفنسال لنص عبيد الله بن صالح عن فتح المغرب . وتحقيق هذا النص منسوب إلى ليفى بروفنسال ، ولكنه ترجمه فحسب إلى الفرنسية أما تحقيق النص ونشره فقد قمنا به نحن وعلقنا عليه فى صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد .

---

(١) Mohamed Talbi, *Un nouveau fragment de l'histoire de l'Occident Musulman*· *L'Epoque d' Al-Kāhina*. Extrait des *cahiers de Tunisie*; tome XIX, 1971. nu. 73-74, p. 51.

ولكن الأمر جد مختلف فيما يتصل بفتح الأندلس ، فلا زال الغموض يكتنف الكثير من التفاصيل رغم كثرة الأبحاث التى دارت حول هذا الموضوع .

هنا تقدم لنا القطعة التى نشرها السيد المنجى الكعبى شيئاً جديداً فعلا ، فإن رواية النص الجديد لأخبار فتح الأندلس تختلف كل الاختلاف عن كل ما لدينا فى أكثر من موضع . وهذا الاختلاف يدعونا إلى أن نعيد النظر فى الكثير مما لدينا من المعلومات عن فتح ذلك القطر الكبير . ولو أننا عرفنا مؤلف الكتاب ورواته معرفة صحيحة لزاد ذلك فى قيمة المعلومات التى يقدمها . ولا بد أن نقرر أننا إذا كنا لا زلنا نتردد فى قبول نسبة القطعة إلى إبراهيم الرقيق فاننا نقرر فى نفس الوقت أنها قطعة من كتاب أصيل ذى قيمة تاريخية كبيرة ، وحتى إذا تبين أنها لمؤلف من عصر متأخر — مثل عصر ابن عذارى مثلا — (كما يقول د. الطالبى) فإن ذلك لا يشينها ، وها هو تاريخ ابن عذارى نفسه يعتبر رغم تأخر زمانه من أمهات مصادرنا وأولاها بالثقة .

وسأورد فيما يلى ما ورد فى هذه القطعة عن فتح الأندلس ليطلع عليه أهل العناية بذلك الشأن ، ثم أعلق عليه بما يوضح ما ورد فيه من معلومات وما يمتاز به من جديد .

ولا بد أن أنبه إلى أن تحقيق السيد المنجى الكعبى فى هذا الجزء بالذات من النص الذى تفضل بنشره يحتاج إلى تصويب ومراجعة وإعادة نظر ، ومن الواضح أن خبرته بعمل التحقيق قليلة ومعلوماته عن الأندلس أقل ، ومن ثم فقد لاحظت فى النص المنشور ما يقتضى التصويب والتعديل ، فقمت بذلك منبهاً إلى ذلك فى كل حالة . وأرجوا أن يحمل السيد المنجى الكعبى ما أبديه من الملاحظات على أحسن المحامل ، فأنا مقدر جهده معترف بفضله وعارف بصعوبة الإقبال على مثل هذا العمل ، والتجربة بعد قليلة وميدان التجويد وإتقان الصنعة بعد ذلك أمامه طويل .

ولاية موسى بن نصير (١)

وكتب الوليد بن عبد الملك — رحمه الله — إلى عبد العزيز بن مروان (٢) يأمره بأن يوجه إلى افريقية موسى بن نصير من قبل الوليد وقطع افريقية عن عبد العزيز (٣) .

فقدمها موسي فوجد أكثر مدنهـــا خالية باختلاف أيدى البربر عليها ، فكان ينقل العجم من الأقاصى إلى . . . (٤)

---

(١) ص ٦٨ من المطبوع . ولم يحدد الناشر دائماً ما يقابل صفحات المخطوط كما جرت العادة .

(٢) علق المحقق على هذا الاسم بقوله : كـذا فى الأصل وهو خطـأ ، وإنما هو عبد الله بن مروان كما جاء فى البيان ٤١/١ الفقرة الأخيرة .

والملاحظة كلها خاطئة وابن عذارى نفسه أخطأ هنا ، لأن عبد الله بن عبد الملك بن مروان الذى خلف عبد العزيز بن مروان فى ولاية مصر فى جمادى الأولى سنة ٨٦ كان أخا الوليد بن عبد الملك . وكان موسى بن نصير فى ذلك التاريخ والياً على افريقيـة والمغرب بالفعل منذ عام (٧٠٤/٨٥) فلم يكن هناك ما يدعو إلى تعيينه من جديد .

(٣) توفى عبد العزيز بن مروان قبل وفاة عبد الملك بن مروان ، فلم يكن واليـاً على مصر عندما تولى الخلافة الوليد بن عبد الملك . الخطأ هنا من ابن عذارى .

(٤) العبارة موجودة أيضاً عند ابن خلدون (٢٢٠/٦) قال: «وقدم موسى بن نصير القيروان والياً على افريقية ، ورأى ما فيها من الخلاف ، وكان ينقل العجم من الأقاصى إلى الأدانى ، وأثخن فى البربر ودوخ المغرب ، وأدى إليه البربر الطـاعة . . . » وقد فسرنا هذه العبارة فى مقالنا « التنظيم الادارى والمـالى لافريقية والمغرب فى عصر الولاة » صحيفة كلية الآداب بجامعة الكويت ، ج ١ ، ١٩٧٣ ص ٨٨ بقولنـا : فبدأ موسى باخراج الروم من المدن والنواحى الداخلية ، وإسكانهـم فيما قرب من مراكز الحكم .

أما عبارة : « فوجد أكـثر مدنهـا خالية (باختلاف أيدى البربر عليها) الواردة هنا فموجودة أيضاً عند ابن عذارى (٤١/١) قال : وكانت أكثر مدن افريقية خالية باختلاف البرابر عليها » وقد فسرتها فى نفس البحث ص ٨٧ عمود ٢ بقولى : وأظن أن المراد أن معظم البلاد خلت من العمال لأن البربر الذين أسلموا تقاسموا البلاد فيما بينهم وتنازعوا فى ذلك ، ووقعت الحروب فيما بينهم واختلفت أيديهم عليها ولم يعد للعرب عليها سلطان أى أن صحة قراءة العبارة (وخلت أكثر البلاد [من العرب والعمال] فاضطر موسى إلى إعلان الحرب عليهم فأثخن فى البربر ودوخ المغرب ، وأدى إليه البربر الطاعة كما يقول ابن خلدون (٢٢٠/٦) .

قال : ان كنيسة كانت بشقبنارية[(١)] كان فيها عجب . . . منها مرآة فى سلطان الروم ، فاذا اتهم الرجل امرأته [نظر إلى] [(٢)] المرآة فرأى المبتلى بالمرأة . وكانت البربر قد تنصرت . فكان رجل بربرى قد أظهر اجتهاداً فى النصرانية حتى صار شماساً . واتهم رجل امرأته ، فنظر فى المرآة فإذا هو بوجه الرجل البربرى الشماس . فدعا به الملك فقطع أنفه وطرده من الكنيسة ، فلما رأى ذلك قومه طرقوا المرآة فكسروها ، وأرسل الملك إلى حيهم فاستباحه . . .

وخرج موسى من إفريقية غازياً إلى طنجة ، فوجد البربر قد هربوا من المغرب خوفاً من العرب ، فتبعهم ، وقتلهم قتلا فاحشاً ، وسبى منهم سبياً كثيراً ، حتى بلغ السوس الأدنى لا يدافعه أحد . فلما رأى البربر ما حل بهم استأمنوا وأدوا الطاعة ، فقبل منهم وولى عليهم والياً .

ثم استعمل موسى بن نصير على طنجة طارق بن زياد مولاه ، وتركه بها فى سبعة وعشرين رجلا من العرب واثنى عشر ألف فارس ، وهى العدة التى جعلها عليهم حسان بن النعمان[(٣)] . وكانوا قد دخلوا الإسلام وحسن إسلامهم

---

(١) علق السيد المنجى الكعبى على هذا اللفظ بقوله : « شمبنارية (بالميم) مدينة بيزنطية معناها « الكف الحالية » وصحة اللفظ شقيفاريه وقد أتينا برسمها عند البيزنطيين Sicca Vaneria وعرفنا بها فى « فتح العرب للمغرب » ص ٢٢٥

(٢) ترك الناشر موضع الكلمتين بياضاً . فأثبتنا هذين اللفظين بين حواصر فاستقام السياق . وأعتقد أن الأمر اختلط عليه لأنه رسم اللفظ الذى بعد الفراغ : « المرأة » ولو قرأه « المرآة » لاستقام له السياق .

(٣) العبارة واردة عند ابن عذارى (٤٢/١) بخلاف : « .. واستعمل موسى طارقاً على طنجة وما والاها فى سبعة عشر ألفاً من العرب وإثنى عشر ألفاً من البربر ، وأمر العرب أن يعلموا البرابر القرآن وأن يفقهوهم فى الدين ، ثم مضى موسى قافلا إلى افريقية » .

ويعود ابن عذارى فيصحح العبارة فى نهاية نفس الصفحة : « وترك موسى بن نصير سبعة عشر رجلا من العرب يعلمونهم القرآن وشرائع الاسلام » .

وابن خلدون يجعل عدة العرب ٢٧ ألفاً (٢٢٠/٦) .

فما هى عدة العرب الذين تركهم موسى بطنجة : ٢٧ أو ١٧ ألفاً أو ٢٧ ألفاً ؟

فاذا كان قد ترك ١٧ ألفاً أو ٢٧ ألفاً فهى حامية . وإذا كان قد ترك ٢٧ رجلا فهم معلمون للقرآن والاسلام .

وقد علق المنجى الكعبى على هذه العبارة بقوله : فى البيان ، الموضع السابق س ٤ قبل الأخير : عقبة بن نافع وهو خطأ .

وأظن أن ابن عذارى لم يخطىء ، وأرجو السيد المنجى أن يعيد قراءة العبارة ليرى أنها صواب .

فتركهم موسى وانصرف بعسكره من العرب خاصة ، وأمر العرب السبعة والعشرين الذين ترك عند طارق بن زياد أن يعلموا البرابر القرآن ويفقهوهم فى الدين .

ثم مضى إلى إفريقية فمر بقلعة مجانة (١) ، وانحصر صاحبها منه ، فرأى موسى بن نصير ... ... (٢) فلم يعرض له ، فلما نزل القيروان دعا بشر بن ارطاة فعقد [له] على أعنة الخيل ، وأمره أن يمضى إلى صاحب قلعة مجانة ، فلما أناخ عليهم عظم عليهم أمر القتال . ونظر الروم من العرب صبراً لم يُرَ مثله قط ، فملأهم ذلك رعباً ، فألقوا بأيديهم ، فدخلها ، فقتل المقاتلة وسبى الذرية ، وغنم منها أموالا كثيرة ، فكانت تسمى باسمه قلعة بشر ، لا تعرف إلا به ، لأنه هو الذى افتتحها ، فأصاب عدداً من ولائد ووصفاء وذهباً وفضة ، فخمس ذلك ، وبعث بالخمس إلى موسى بن نصير وبعث موسى الخمس إلى الوليد ، فكانت قيمة ذلك الخمس عشرين ألف دينار .

---

(١) ذكر البكرى مجانة وقال انها على الطريق من فاس إلى القيروان وهى المحلة السابقة على باغاية . وقد أضاف البكرى أيضاً خبر فتح بسر بن أبى ارطاة لها ، ص ١٤٥ . والأصح فى اسم الرجل بسر لا بشر .

(٢) وضعنا مكان البياضات نقطاً بعدد الكلمات بحسب ما ذكر السيد المنجى الكعبى ، وكل ثلاث نقط تعدل كلمة .

فتح الأندلس(*)

١ — [طارق والحامية البربرية فى طنجة]

قال : وتحامل أصحاب طارق بن زياد ، عامل موسى بن نصير بطنجة ، على أهل البلد ، وأساءوا إليهم ، وجاروا عليهم ، فكتبوا إلى أهـــل الأندلس يعرفونهم بما يلقونه من جهة البربر وسوء سيرتهم .

٢ — [أليان]

فكان طارق يوماً بطنجة إذ طلعت مراكب ، فأكمن لهـا المسلمين فلما أرست خرجوا إليها ، وأنزلوا أهلها ، فقال أهلها : إنا إليكم جئنا عامدين ، فاذا هم يعظمون غلاماً حدثاً منهم يقال له أليان ، فقال له طارق : ما جاء بك ؟ فقال : أنا ابن ملك الأندلس(١) ، وليس بينك وبينها إلا هذا [الزقاق وأشار](٢) إلى جبالها يريه إياها . قال طارق : ما جاء بك ؟ قال له : إن أبى مات . ووثب على مملكتنا بطريق يقال له لذريق ، وبلغنى أمركم ، وجئت إليكم أدعوكم إليها ، وأكون دليلكم عليها(٣) .

٣ — [عبور طارق]

ومع طارق إثنى عشر ألفاً من البربر . فعزم طارق على غزو الأندلس ، واستنفر البربر . فجعل أليـــان يحمل البربر فى مراكب التجار التى تختلف إلى

(*) من هنا فصاعدا قسمت النص إلى فقرات أعطيتهـــا أرقاماً وجعلت بعضها عناوين ليسهل التعليق عليه .

(١) علق السيد المنجى الكعبى على ذلك بقوله (ص ٧٠ هامش ١) : وهذا يخالف ما اجتمعت عليه المراجع من أن يليان هو ملك الأندلس .
والذى نعرفه أن واحدا من المراجع لم يقل إن يليان ملك الأندلس ، فمن أين ياترى أتى بذلك ؟
وقد ورد نفس الخبر بتفصيل أقل عند ابن عذارى ٢ / ٦ رواية عن عيسى بن محمد من ولد أبى المهاجر « فى كتابه » .

(٢) ذكر المنجى الكعبى ان هنا خرماً بقدر ثلاث كلمات فأكملته بين حواصر للسياق . وقد أخذت لفظ الزقاق من كلام على بن سعيد عند المقرى . نفح . (تحقيق إحسان عباس) ١/ ١٤٥

(٣) بمراجعة هذه الفقرة مع ما ورد عند ابن عذارى ٢ / ٦ نستطيع القول أنها مقتبسة أو منقولة من كتاب عيسى بن محمد من ولد أبى المهاجر .

الأندلس ، ولا يشعر بهم أهل الأندلس ، ولا يظنون إلا أنها تختلف بمثل ما كانت تختلف به من معايشهم ومتاجرهم ، فجعل ينقلهم فوجاً فوجاً إلى الأندلس . وقد تقدم أليان إلى أصحاب المراكب ألا يعلموا بهم ، وقال لقومه : اني توثقت لكم ، فاعلموا أنها دولة العرب ، وهم يملكون الأندلس ، ودعاهم إلى أن يأخذوا نصيبهم منها ، فأعجبهم ذلك ورغبوا فيه ، وكتب لهم طارق بالأمان على أنفسهم وذراريهم وأموالهم . فلما لم يبق لهم إلا فوج واحد (١) ركب طارق ومن بقي معه ، فجاز إلى أصحابه ، فنزل بهم جبلا من جبال الأندلس حريزاً منيعاً ، فسمى ذلك الجبل من يومئذ جبل طارق ، فلا يعلم إلا به (٢) .

٤ — [اللقاء بين لذريق والمسلمين]

وموسى بن نصير بافريقية لا يعلم شيئاً من هذا ، فلما بلغ ملوك الأندلس خبره نفروا إلى الملك الأعظم ، وهو لذريق ، وكان طاغياً فى جموع عظيمة على دين النصرانية ، وزحف إلى طارق فى عدة عظيمة ، [فدعا] (٣) بسرير مكلل بالدرر والياقوت ، فشد السرير على [بغلين] (٤) ، وحفت به الرجال ، وقعد لذريق على سريره ، وعلى رأسه تاج ، وعليه قفازان مكللان بالدر والياقوت وجميع الحلية التي يلبسها الملوك قبله ، فلما انتهى إلى الجبل الذى فيه طارق خرج إليه طارق وجميع أصحابه رجالة ليس فيهم راكب ، فشمروا للموت ، فقال لرجاله : ليس هم أحق بالموت منكم ، قد دخلوا عليكم بلادكم ! . ونادى بالنزول .

---

(١) المطبوع : لوح وصحته فوج للسياق ، وراجع ابن عذارى ٢/٦

(٢) هذه القطعة مقتبسة من الواقدى برواية أحمد بن محمد الرازى . انظر ابن عذارى ٢/٦ (الفقرة الأولى) .

(٣) المطبوع (ص ٧٤) «وعا بسرير» وفوق وعا رقم تعليق ، والتعليق يقول : موضع كلمة مأروضة . فاذا كانت مأروضة فمن أين أتى المحقق بـ (وعا) ؟ والصحيح الذى يستقيم به السياق — دون قطع منا بذلك — ودعا أو فدعا .

(٤) المؤلف يروى هنا عن نفس المصدر الذى أخذ عنه ابن عذارى فى هذا الموضع ، وهو كتاب عيسى بن محمد من ولد أبى المهاجر ، وعنده فى هذا الموضع على بغلين يحملانه (ابن عذارى ، ٢ / ٧) .

فنزل العسكر . . . فمشى بعضهم إلى بعض بالسلاح ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فوقع الصبر حتى ظن الناس أنه الفناء ، وتواخذوا بالأيدى ، وضرب الله عز وجل وجوه أعدائه ، فانهزموا . وأدرك لذريق فقتل بوادى الطين .

وركب [المسلمون] (١) آثارهم ، وكان الجبل وعراً ، فكان البربر أسرع منهم على إقدامهم . فسبقوهم إلى خيلهم ، فركبوا (٢) خيولهم البربر ، ووضعوا فيهم السيف وأبادوهم ، ولم يرفعوا عنهم السيف ثلاثة أيام ولياليها (٣) .

٤ — [فتح قرطبة]

فمكثت جيفهم دهراً . وبقيت عظامهم إلى حديث من الزمان ، وأمر طارق فرسان المسلمين أن يسبقوهم إلى قرطبة ، فأتوها وقد وقف المسلمون حولها فقتلوهم ، فكانت قرطبة مدينة لذريق (٤) . . .

ودخل طارق قرطبة فأصاب فيها من الدر والياقوت والذهب والفضة ما لم يجتمع مثله قط ، وأصاب من الحرير . . . والنساء والذرارى ما لا يحصى ولا يعد . فكانت جملة السبي عشرة آلاف رأس (٥) ، وذلك سنة اثنين وتسعين (٦) .

---

(١) أضفنا هذه الكلمة للسياق . والجملة فى الأصل بدون فاعلها .

(٢) كذا فى الأصل وهو خطأ أتى فى الغالب من الاستملاء .

وأخطاء كهذه فى النص حفزت د. طالبى على القول بأن الأسلوب ركيك وأن الكاتب لا يعرف العربية معرفة جيدة ، ومن ثم فليس هو إبراهيم الرقيق . وواقع الحال أن أخطاء كهذه تقع من الناسخين والمملين والمستملين .

(٣) المؤلف هنا يتابع كلام عيسى بن محمد من ولد أبى المهاجر . قارن هذا بما عند ابن عذارى ٢ — ٧

(٤) الرواية هنا فيها شبه كبير من رواية الواقدى (انظر ابن عذارى ، ٢ — ٧) وقد أخذها الرازى وزاد عليها كثيراً . انظر رواية الرازى كاملة عند المقرى (نفح : ١ ، ٢٥٩ وما بعدها) . والجملة هنا على أى حال ناقصة وربما كان تمامها : فكانت قرطبة مدينة لذريق قبل دخول المسلمين .

(٥) بهامش الأصل : خمسين ألفاً .

(٦) ينفرد النص بهذا القول فى فتح قرطبة على يد طارق . والأغلبية على أن الذى فتحها مغيث الرومى أرسله إليها طارق وهو فى طريقه إلى طليطلة . انظر : فجر الأندلس ، ص ٨٠ وما بعدها . وقد ذكرنا الأمر هناك بتفصيل وأتينا بكل المراجع .

٥ — [عبور موسى]

وبلغ موسى بن نصير أن طارق بن زياد فتح الأندلس ودخلها ، نخاف أن يحظى بذلك عند الخليفة ، فغضب غضباً شديداً ، وكتب إليه يعنفه إذ دخلها بغير أمره ، وأمره ألا يجاوز قرطبة ، وأمر موسى الناس بالرحيل ، ورحل معه وجوه العرب . وكان مخرجه فى رجب سنة ثلاث وتسعين ، واستخلف على القيروان ولده عبد الله وكان أسن ولده .

وسار حتى إذا كان بطنجة عبر البحر منهـا إلى الخضراء ، وهى على مجاز الأندلس . فكره طـارق أن يخرج إليه من المدينة لكثرة العدو ، فوجه إليه بالخف والحافر والهدايا والجوارى وغير ذلك[١] .

٦ — [موسى ورجاله يغيرون على سقيوما فى المغرب الأقصى]

ولما كان موسى بن نصير بطنجة قبل جوازه مال عياض بن عقبة إلى قلعة يقال لها سقيوما ، وكان فيها بقية قتلة عقبة ، ومال معه سليمان بن أبى المهاجر وسألا أن يميل معهما ، فكره ذلك وقال : هؤلاء قوم فى الطاعة ، فأغلظا له الكلام حتى يرجع ، فقاتل أهل سقيوما قتالا شديداً حتى أخذوا لواء من ألوية العرب ، فكانوا يقاتلونهم به حتى تسور عليهم عياض بن عقبة من خلفهم فى قلعتهم ، فانهزم البربر واشتد القتل عليهم . . . التى دخل عليهم منها عياض ، فمات القوم وبادرهم . . . إلى اليوم[٢] . وذكر ابن أبى حسان ان موسى لما فتح سقيوما كتب إلى الوليد بن عبد الملك : انه صـار لك من سبي سقيوما مائة

---

(١) وهذا شيء جديد لا وجود له إلا هنا .

(٢) العبارة من « وبادرهم . . . إلى اليوم » غير سليمة ، وأظن أن صحتها ، بناء على نص أبى عبيد البكرى ص ١١٧ : « فبادوا وفلت أورية إلى اليوم » .

ألف رأس ، فكتب إليه الوليد : ويحك إنى أظنها من بعض كذباتك ، فإن كنت صادقاً فهذا محشر الأمة[١] .

٧ — [لقاء موسى وطارق فى قرطبة]

فلما وصل موسى إلى قرطبة استجار طارق بابنه عبد العزيز ، فشفع له عند أبيه ، ودخل موسى قرطبة ، فأتاه طارق بن زياد فترضاه وقال : إنما هذا الفتح لك وإنما أنا مولاك . فقبل منه وعفا عنه . فتكاملت بقرطبه الجيوش من العرب والبربر ، فصاروا فى خلق عظيم ، فلما رأى موسى بن نصير ذلك دعا بطارق بن زياد فوجهه على أعنه الخيل إلى طليطلة[٢] .

٨ — فتح مدينة طليطلة[٣]

وهى مما يلى الافرنج . فانتخب له الرجال[٤] . وسار طارق حتى وقف عليها وأناخ بها ، وبها أشراف الأندلس وأموالهم وذخائرهم ، فقاتلهم قتالا

(١) روى ابن عذارى هذا الخبر مختصراً (١ / ٤١) وهو يسمى الموضع سجومة ، وعند البكرى (ص ١١٧) سقوما ، وهاتان القراءتان أصح مما فى النص المنسوب إلى الرقيق . والخبر كله منقول عن الامامة والسياسة لابن قتيبة (صفحة ٧٦) . وقد روى الخبر أيضاً عبيد الله بن صالح (نص جديد ، صفحة ٢٢٤) . وهذه الحملة كانت فى ظاهرها انتقامية . ولهذا لم يشأ موسى أن يشترك فيها من أول الأمر ، وكان هدفها الانتقام من قتلة عقبة بن نافع الذين أوقعوا به عند تهودة ، ولهذا فقد قام بها أولاد عقبة وأولاد ابن أبى المهاجر دينار ولكن الحقيقة أنها كانت عملا سياسياً على أكبر جانب من الأهمية إذ أن وجهتها كانت منازل قبيلة أوريه ـ قبيلة كسيلة بن لمزم وقلعتهم المسماة سجوما (على مقربة من فاس كما يقول البكرى) وهى فى قلب إقليم طنجة الذى كان إلى ذلك الحين خارجا عن سلطان المسلمين وإن كان محالفاً لهم . فكانت حملة موسى هذه قضاء على استقلال مرطانية الطنجية وإيذاناً بإنشاء ولاية طنجة ، وسنفصل الحديث عن ذلك .

وقد اختلط الأمر على السيد المنجى الكعبى ، فبحث عن سقيوما فى « كتب تاريخ الأندلس » كما يقول فلم يجدها (صفحة ٧٧ هامش ٢) وهذا طبيعى لأنها ليست فى الأندلس أصلا ، بل فى المغرب الأقصى على رافد من روافد نهر الملوية غير بعيد عن فاس .

(٢) لا نجد ما يؤيد هذه الرواية إلا خبر غير واضح عند ابن عبد الحكم (القاهرة ١٩٦١) صفحة ٢٧٨ .

(٣) هذا العنوان وارد فى الأصل .

(٤) المؤلف يؤيد هنا ما يقوله آنفاً من أن موسى أقام فى قرطبة وأرسل طارقاً لفتح طليطلة خلافاً لما هو معروف .

شديداً حتى افتتحها ، فأصاب فيها كنوزهم وأموالهم ، وغنم منها من الجوهر ما لا يجد(١) له قيمة . وأصاب فيها مائدة سليمان بن داود ، عليهما السلام ، وكانت من ذهب مكللة بالدر والياقوت وضروب الجواهر .

٩ — تاريخ المائدة

وكان سبب وصولها إلى طليطلة أن الروم أخذوا ما كان فى بيت المقدس من مكارم الأنبياء ، عليهم السلام ، حملوها إلى مدينة رومية ، وحمل أساقفة النصارى مائدة سليمان إلى الإسكندرية ، فلما غزا عمرو بن العاص مصر هربوا إلى مدينة طرابلس ، فلما نزل عمرو بن العاص لبدة هرب بها الروم إلى قرطاجنة ، فلما دخل المسلمون إفريقية هربوا بها إلى مدينة طليطلة ، ولم يكن لهم أمنع منها(٢) .

فلما ظفر بها طارق نظر إلى عجب لم ير مثله قط ، فأمر بزبرجدها فقلع ، وهى مكللة بالدر والياقوت ، وعمل لها رجلا غيرها(٣) ، ونهض بجميع ما معه من الجوهر والأموال إلى موسى . ونظر من المائدة إلى عجب لم ير مثله ، وذلك سنة أربع وتسعين .

فأتى موسى بن نصير شيخ كبير(٤) قد عصب على حاجبيه من الكبر ، فقال له موسى : من أنت ؟ فقال : رجل من أهل هذه البلاد . قال : ما لنا

---

(١) كذا فى الأصل ، والأصح هنا : يوجد .

(٢) هذا أيضاً خبر طريف جديد علينا لا نجده عند ابن حيان (نفح الطيب ، ١ / ٢٧٢) الذى وافانا بأوفى خبر عن مائدة سليمان هذه . ولكننا نجده فى الامامة والسياسة .

(٣) فى العبارة شىء ساقط ، لأنه واضح من السياق أن طارقاً خلع رجل المائدة ولا ذكر لهذا هنا .

(٤) هذا الشيخ مذكور فى نص عبد الملك بن حبيب عن فتح الأندلس . نشره د. محمود على مكى ذيلا على مقاله عن مصر وأصول علم التاريخ فى الأندلس . ص. م. د. ا. مجلد ٥ ص ٢٢١ من القسم الافرنجى .

من العلم عندك ؟ قال : افتتحتم قمونية[١] ؟ قال : نعم . قال : فإنكم لا بد أن تنتهوا من هذه البلاد إلى منتهاكم !

١٠ — [موسى يستكمل فتح الأندلس]

فنهض موسى يفتح مدائن الأندلس مدينة بعد مدينة حتى انتهى إلى مدينة أربونه ، فأراد لقاء ملك افرنجة ، فأخذ حنش الصنعانى بلجامه وقال : سمعتك أيها الأمير تقول حين فتحت طنجة : لم يكن لعقبة ولا لأبى المهاجر من ينصحهما حتى أتيت أنصحك اليوم ، فارجع فقد توغلت بالمسلمين[٢] .

١١ — [يابنى اسماعيل ، هذا منتهاكم]

وعن يوسف بن هشام قال : كان جدى من خاصة موسى . فأخبرنى ، قال : انتهينا إلى صنم ، فوجدنا فى صدر ذلك الصنم : « ارجعوا يابنى اسماعيل ، فإلى هذا منتهاكم ! وإذا سألتم إلى ماذا ترجعون أخبرتكم أنكم ترجعون إلى الاختلاف فى ذات بينكم حتى يضرب بعضكم بعضاً ، وقد فعلتم »[٣] .

وذكر عمر بن سهل مولى موسى بن نصير قال : لما أراد موسى الانصراف من ثغر الأندلس وضعت أكوام الذهب والفضة والجواهر بين يديه ، فأمر بالنيران فأوقدت ، ورمى فيها الجوهر والزمرد والياقوت وغير ذلك ، فما صلب على النار ولم يتفرق عزله ، وما تفرق منه تركه . وأتى بالمائدة فوضعت .

---

(١) هذا الاسم محرف قطعاً ، لأن قمونية فى افريقية ، وهى تكتب أيضاً قبودة ، تعريب لاسمه اللاتينى Caput Vada .

(٢) علق المنجى الكعبى على ذلك بقوله (ص ٨١ هامش ١) : أورد هذا الخبر باختلاف ابن القوطية ، « تاريخ افتتاح الأندلس » ط. بيروت ص ١٥٢ .

والصواب أن ذلك ورد فى قطعة من الامامة والسياسة لابن قتيبة كان خليان ريبرا قد نشرها ذيلا على تحقيقه لتاريخ ابن القوطية وجعل عنوانها : الرسالة الشريفية . انظر ص ١٥٢ — ١٥٣ . وقد ورد هذا الخبر مع خلاف يسير فى رواية عبد الملك بن حبيب منسوباً إلى عبد الحميد بن حميد من موالى موسى بن نصير . انظر مقال د. مكى الآنف الذكر ، ص ٢٢٧ .

(٣) الخبر وارد بنفس المسند عند ابن عذارى ، ٢/١٧

١٢ — [عود إلى المائدة]

وذكر لموسى شيخ كبير فدعا به ، فإذا شيخ قد وقعت حاجباه على عينيه . قال له موسى : أخبرنى كم أتى عليك من السنين ؟ قال : خمسمائة سنة . قال له موسى : ما هذه المـــائدة ؟ فقال : هذه مائدة سليمان بن داوود ، عليهما السلام ، قال : وكيف وقعت إلى . . . النصرانية عن اليهود قتـل عيسى عليه السلام . . . بها إلى بيت المقدس وحلف بطروش الملك ليردمن البيت ، . . . . . . فحمـل عدو الله الذيل من الأندلس (١) فى مراكب حتى رماه فى بيت المقدس . وغزت النصرانيـــة من كل مكان ، واقتسموا ما فى بيت المقدس ، فصار لأهل الأندلس الدرارى والمائدة ، وصار لأهل رومية تابوت داوود وعصا موسى ، عليهما السلام ، والتوراة وحـــلة آدم ، عليه السلام ، وصار لأهل قسطنطينية الياقوتة ، فقال موسى : وما تلك الياقوتة ؟ قال ياقوتة ذى القرنين التى كان يهتدى بها فى الظلمات ، وهذه (٢) أول ما رجع إلى بيت المقدس ، وسيرجع كله (٣) .

١٣ — [عودة بالمغانم]

فاجتاز موسى بالأموال والذهب والفضة والجوهر والمراكب إلى طنجة ، ثم حملهـــا على العجل ، فكانت وسق مائة عجلة وأربع عشرة عجلة ، تبدل عليها الأزواج فى كل مرحلة .

---

(١) العبارة هنا مضطربة اضطراباً شديداً ، والخبر وارد بالتفصيل فى « فتح الأندلس » لمؤلف مجهول ص ١٨ و ١٩ ، وبناء عليه اقترح تصويب العبارة كما يلى :

قال : وكيف وقعت إلى [بلاد] النصرانية ، [قال لمـا اد] عت اليهود قتل عيسى عليه السلام [حميت النصرانية حيث كانت وجمعت جيوشاً وسارت] بهـا إلى بيت المقدس . وحلف بطروش الملك ليردمن البيت [بزبل الأندلس] فحمل عدو الله . . . الخ .

(٢) أى أن هذه اليـاقوتة أول ما رجع إلى بيت المقدس من الذخائر . وانظر تفاصيل أخرى عنها فى » فتح الأندلس » ص ١٩ .

(٣) هذه العبارة تدل على أن أصل هذه الأسطورة مسيحى ، فان كاتبها يرجو أن تعود هذه الذخائر إلى بيت المقدس .

وقيل لرجل من أصحاب موسى يقال له أبو حميد[١] : كيف كانت المائدة ؟ قال : كانت من ذهب مشوب بشيء من فضة ملون بحمرة وصفرة ، وكانت مطوقة بثلاثة أطواق : طوق من ياقوت وطوق من زمرد وطوق من لؤلؤ . قلت : فما كان يحملها ؟ قال : لما كنا بباغاية أفلت بغل لرجل من أهل العسكر [و] قطع قيده [وجال بين] الأخبية ، وإذا من فى العسكر [... ...] موسى بن نصير ، [فقال] احملوا عليه حمائلا [فحملوا عليه المائدة] ، فما بلغ المرحلة حتى تفسخت قوائمه[٢] . قال[٣] إن موسى دعا ذلك الشيخ فقال له أين بلدك ؟ فقال : قرطاجنة ، قال موسى : كم أقمت بها ؟ قال : عمرت به ثلاثمائة سنة وبالأندلس مائتى سنة .

١٤ — [خبر قرطاجنة ومن بناها][٤]

فقال[٥] كيف كان خبر قرطاجنة ومن بناها ؟ قال : قوم من بقية آل عاد الذين هلك قومهم بالريح ، وبقيت بعدهم خراباً ألف عام ، حتى أتى الزبير

---

(١) الخبر وارد فى الإمامة والسياسة ، واسم الرجل هناك عبد الحميد (انظر ملحق ابن القوطية ، ص ١٥٤ وهو فى الحقيقة عبد الحميد بن حميد الذى ذكره عبد الملك بن حبيب .

(٢) الخبر كله وارد فى الامامة والسياسة ، انظر ملحق ابن القوطية (بيروت) ص ٥٦ وسياق الأصل هنا مضطرب جداً فاجتهدت فى إكماله بعبارات من أصل الخبر وضعتها بين حواصر . وهو وارد أيضاً عند ابن عذارى باختصار منسوباً إلى الرقيق (١/٤٣) وقد اعتبر المنجى الكعبى هذا الاقتباس من الأدلة على أن النص الذى نشره من تأليف ابراهيم الرقيق . والحجة هنا ليست قاطعة ، لأنه لا يستبعد أن يكون الرقيق وهذا الرجل قد أخذا الخبر عن الامامة والسياسة خاصة وأن هذا الجزء من الإمامة والسياسة مأخوذ من كتاب الفه واحد من آل موسى بن نصير فى فضائل جدهم . ويؤخذ ذلك أيضاً أن أخبار موسى مروية هنا على ألسنة رجال من موالى بيته أو جنده الذين رافقوه مثل عبد الرحمن بن سالم وابن صخر ويزيد بن سعيد بن مسلم مولى موسى و « محمد بن سليمان وغيره من مشايخ مصر » وعبد الحميد بن حميد الذى يسمى فى الامامة والسياسة عبدا لحميد (ص١٥٤) ويسمى النص المنسوب إلى ابن الرقيق أبو حميد وهو يوصف بأنه من أصحاب موسى (ص ٨٢) وهناك أيضا يوسف بن هشام وعمر بن سهل مولى موسى بن نصير (ص ٨١) . انظر عن بعض هؤلاء بحث د. مكى المشار إليه آنفاً .

(٣) الغالب أن الراوى هنا هو نفس أبو حميد عبد الحميد بن حميد .

(٤) العنوان وارد فى الأصل . وهذا الخبر خاص بقرطاجنة افريقية ، ولكن فيما يليه اشارات كثيرة هامة إلى موسى وعلاقته بطارق وبالوليد وسليمان ابنى عبد الملك ، فرأيت إيراده استكمالا لهذه الرواية المنسوبة إلى الرقيق .

(٥) السائل هنا موسى والراوى هو هذا الشيخ الذى يزعم أن عمره ٥٠٠ سنة ، ٣٠٠ منها فى افريقية و ٢٠٠ فى الأندلس !

ابن لاوذ بن تمود الجبار ، فبناها على البناء الأول . ثم احتاج إلى المـــاء العذب ، فبعث إلى أبيه ، وكان أميراً على الشام ، وعمه على السند والهند ، وكان ملكه من قرطاجنة إلى الأندلس ، فأرسل إليه أبوه المهندسين ، فهندسوا له الماء حتى وصلوا إلى قرطاجنة . قال : وكم كان عمره ؟ قال : سبعمائة سنة . فارتادوا له مجرى القنـــاة أربعين سنة . وكان لمـــا حفر أساسه وجد حجراً مكتوباً فيه : هذه المدينة علامة خرابها إذا ظهر فيها الملح . فبينما نحن ذات يوم فى غدير قرطاجنة إذ بان الملح على الحجر ، فعندها رحلت إلى هنا .

١٥ — [موسى يولى ابنه عبد العزيز الأندلس]

ثم إن موسى بن نصير ولى على الأندلس ابنه عبد العزيز . وخلى معه حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع(١) . وشخص موسى قافلا إلى الشام فوصل إلى مدينة القيروان فى آخر سنة خمس وتسعين ، فلم ينزلها ، ونزل منها على ميل من القيروان .

١٦ — [موسى فى منتهى مجده]

فحكى شيخ من أهل افريقية [. . .] الهمدانى(٢) : ان موسى بن نصير قعد فى مجلسه ، وجاءه العرب ممن سافر معه ، وممن خلفه مع ابنه عبد الله بإفريقية ، فلمـــا احتفل المجلس قال : قد أصبحت اليوم فى ثلاث نعم : اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين ، فقرأ كتاب الوليد بشكره والثناء عليه ، ووصف ما أجرى الله تبارك وتعالى من الفتوحات على يديه ، فحمد الله ، فقاموا إليه

---

(١) روى ذلك أيضـاً ابن عذارى (١/٢٣) وأضـــاف : وترك معه حبيب بن أبى عبيدة وزيراً ومعيناً وكلا ابن عذارى وصاحب هذا النص أخطـأ فجعله حبيب ابن أبى عبدة . . . وصحته ابن أبى عبيدة . انظر جمهرة الأنساب لابن حزم ، ص ١٧٨ ، ويقرر ابن حزم فى هذا الموضع أن حبيب ابن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع هذا هو الذى قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير .

(٢) الخبر وارد عند ابن عذارى (١/٤٤) بدون سنة . ولكن الخبر السابق عليه (١/٤٣) منسوب إلى الليث بن سعد ، وهو يقول : لم يسمع قط بمثـل سبايا موسى بن نصير ، وهذه العبارة واردة فى القطعة التى نشرها محمود مكى من تاريخ ابن حبيب .

فهنوه (١) بذلك . ثم قال : اقرأ كتاب ابنى عبد العزيز ، يصف ما فتح الله [على يديه] (٢) بعده فى الأندلس ، فقاموا إليه فهنوه . قال : وأما الثالثة فأنا أريكموها ، وأمر برفع ستر خلفه ، فإذا ببهو فيه جوار مختلفات الألوان ، من ملساء إلى ناهد إلى منكسرة (٣) عليهن الحلى والحلل فهنىء بذلك ، وعلى ابن رباح اللخمى ساكت ، فقال له موسى : يا على ، مالك لا تتكلم ؟ فقال : اصلح الله الأمير ، قد قال القوم ! قال : وقل أنت ! قال : أنا أقول وأنا أنصح الناس لك : إنه ما من دار ملئت حبره إلا امتلأت عبره ، ولا انتهى شىء إلا رجع . فارجع قبل أن يرجع بك ! قال : فانكسر موسى ، ثم التفت فقال : يا فلان ، جئنى بهؤلاء الجوارى . هذه ، قم . . . يا فلان نخذ هذه ، حتى ازفهن كلهن (٤) .

فأقام بعد عيد الأضحى بقصر المـــاء (٥) ثلاثة أيام بعسكره ثم رحل إلى المشرق ومعه طـــارق ، وقد قفل به وبكل ما أصاب من الأموال والجوهر والمائدة ، وخلف على افريقية عبد الله ابنه ، وكان أكبر بنيه ، وعلى طنجة ابنه عبد الملك (٦) .

---

(١) تفاصيل الخبر هنا منقوصة . راجعها عند ابن عذارى ١/٤٤
وقد صحح المنجى الكعبى لفظ فهنوه إلى فهنأوه وأشار إلى ذلك فى الهامش ، ولا داعى لهذا التصحيح .

(٢) زيادة من ابن عذارى (١/٤٤) لا يستقيم بغيرها السياق .

(٣) جاء فى لسان العرب (م. كسر) : « ورجل كاسر من قوم كسر ، وامرأة كاسرة من نسوة كواسر وكسر ، وشىء مكسور ، وفى حديث العجين : قد انكسر أى لان واختمر ، وكل شىء فتر فقد انكسر ، يريد أنه صلح لأن يخبز » . والمراد : ملساء أى صبية لم يظهر لهـا ثدى وناهد أى شابة فى مقتبل العمر ومنكسرة أى امرأة ناضجة .

(٤) العبارة فيها اضطراب ونقص ، ولكنها واضحة ، ويمكن إكمالها هكذا :
ثم التفت فقال : يافلان جئنى بهؤلاء الجوارى ، هذه ، قم [يا فلان وخـــذها ، وأنت] يا فلان نخذ هذه ، حتى أزفهن جميعاً .
أما ابن عـــذارى (١/٤٤) فقد أراح نفسه وقال : فانكسر موسى ، وفرق جواريه من حينه على الناس .

(٥) قال ابن عذارى أن موسى عندما اقترب من القيروان : فلم يدخلها ونزل بقصر المـــاء ، ثم قعد فى مجلسه . . . الخ .

(٦) ويفهم من ابن عذارى (١/٤٤) أن ابنه الثالث مروان كان على السوس ، وابنه الرابع عبد العزيز كان على الأندلس .

وسار فلما [. . . . . . .] ومر بخربة عادية ومدينة من مدائن الأولين نزل فركع ركعتين ، ومشى فيها ، وفكر فى معالمها وآثارها ، وبكى بكاء كثيراً .

١٧ — [موسى بين الوليد وسليمان]

ثم إنه ركب يريد الشام ، فلما كان بالعريش جاء كتاب الوليد يستعجله ، وجاءه كتاب سليمان يأمره بالتربص . وكان سليمان ولى عهده ، وكان الوليد مريضاً بدير من غوطة دمشق ، فأسرع موسى ولم ينظر فى كتاب سليمان ، ودفع الأموال إلى الوليد ، وأهدى إليه المائدة والدر والياقوت .

١٨ — [موسى وطارق أمام الوليد – غضب الوليد على موسى]

وذكر موسى للوليد أنه الذى أصاب المائدة وفتح طليطلة . فلما رأى ذلك طارق دخل على الوليد وهو مريض [و] أعلمه بالقصة ، وأخبره أن موسى تعدى فى أموال المسلمين وأنفقها . فبعث إلى موسى وجمع بينهما بين يديه ، وكذبه موسى ، فقال طارق : يا أمير المؤمنين ، ادع بالمائدة ، وانظر هل ذهب منها شيء ، فدعا بها الوليد ، ونظرها ، فإذا رجل من أرجلها لا يشبه بقية الأرجل ، فقال له طارق : سله عنها يا أمير المؤمنين ، فإن أخبرك بأمر الرجل ، وإلا استدللت صدقى على كذبه ، فقال موسى : هكذا وجدتها ، فقال طارق : الرجل عندى فلما دعا بها ونظرها [و] وضعها فى المائدة علم أنها منها ، فصدقه الوليد وقبل قوله واختاره ، ونزل منه أقرب مما كان ، وكذب موسى وأمر بحبسه ، واحضر من يعرف قيمة الجوهر ، فقومت تلك المائدة بمائتى ألف دينار ، ولم يلبث الوليد إلا ثلاثة أيام حتى مات .

١٩ — [موت الوليد بن عبد الملك . ولاية سليمان بن عبد الملك سنة ست وتسعين] (١)

توفى سلخ جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، وكانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر .

---

(١) هذا العنوان وارد فى الأصل .

وبويع لسليمان بن عبد الملك بالخلافة حين توفى الوليد ، فسخط على موسى وقال له : يا يهودى ! كتبت إليك فلم تنظر فى كتابى ، هلم مائة ألف ! قال : يا أمير المؤمنين ، قد أخذتم جميع ما فى يدى ، فمن أين لى بمائة ألف ؟ فقال لا بد من مائتى ألف ! فاعتذر إليه ، فقال : لا بد من ثلاثمائة ألف ! وأمر بتعذيبه وعزم على قتله ، فلجأ موسى بن نصير إلى يزيد بن المهلب ، فاستجار به ، وكانت ليزيد ناحية من سليمان ، فاستوهبه دمه ، فقال : يؤدى ما عنده .

* * *

تلك هى رواية ذلك النص المنسوب إلى ابراهيم بن القاسم القيروانى المعروف بالرقيق عن فتح الأندلس ، وقد اندرجت فيها بعض أخبار فتوح المغرب وأخبار موسى وطارق بعد عودتهما إلى المشرق ، وهى رواية فيها مشابه من رواية ابن عذارى ، ولكنها تنفرد بتفصيلات جديدة علينا وخليقة بأن تحفزنا على إعادة النظر فى بعض حلقات ذلك الفتح الكبير .

وسأكتفى هنا بالإشارة إلى أهم ما فى هذه القطعة من جديد .

المسلمون وإقليم طنجة

يفهم من الفقرة أن حامية طارق التى أرصدها موسى في طنجة أساءت إلى أهل البلد فكتب هؤلاء إلى أهل الأندلس يشكون من هذه المعاملة ويستعينون بهم .

ونرى من هذه القطعة كذلك أن طارقاً وحاميته كانوا يتخوفون من أهل الأندلس ، ولهذا فلم يكادوا يرون مراكب اليان قادمة حتى كمنوا لها وهاجموها فسارع اليان وأبلغهم أنه أتى عامداً إليهم مستعيناً بهم .

ويبدو أن هذا الخبر يلقى ضوءاً على وضع طنجة وإقليمها وعلاقتها بالمغرب الأقصى والأندلس .

والآراء المختلفة عن وضع هذه الناحية فى ذلك الحين تتلخص فى ثلاثة احتمالات : فهناك من يقولون : إن طنجة وسبتة وكل ما كان يعرف بولاية

مرطانية الطنجية Mauretania Tingtana كانت تابعة — ولو من الناحية الاسمية — للدولة البيزنطية ، وان هذه الناحية كانت بعض ما استعاده جستنيان (٥٢٧ — ٥٦٠) عندما نهض لاستعادة ما استولى عليه المتبربرون من أراضى الدولة الرومانية . وعلى هذا فيكون المسمى اليان أو يليان حاكماً بيزنطياً ، وهناك من أعطاه لقب الاجزرك أو البطريق[1] .

وهناك من يقولون : إنه زعيم بربرى ، كان شيخ قبيلة غمارة .

وها هو ذلك النص يقول : إن يليان ابن ملك الأندلس ، أى ابن من أبناء غيطشة الذى عقب لذريق عرشه ، ولا نجد فى مراجعنا ما يؤيد هذا القول ، وهو مستبعد ، لأننا نعرف آل غيطشة معرفة جيدة ، وليس فى أخبارهم ما يسمح بالقول بأن غيطشة كان له ولد يسمى اليان أو ما يشبه ذلك الاسم .

ولكن قول النص إنه كان غلاماً حدثا يدفعنا إلى التساؤل عما إذا كان أليان هذا هو نفس يليان الذى لقيه عقبة بن نافع على طنجة قبل ثلاثين سنة . ألا يمكن أن يكون هذا الحدث أليان ابن يليان القديم الذى لقيه عقبة ؟ لقد ذهبنا إلى هذا الافتراض فى بحث سابق قبل أن نطلع على هذا النص ، ومن الممكن الآن أن نقول : إن يليان الأول صاحب عقبة كان من أتباع غيطشة وأصحابه ، ولهذا اجتهد فى صرف عقبة عن غزو الأندلس ونصحه بالاتجاه إلى الجنوب ومواصلة غزو البربر وأصبح بعد ذلك حليفاً للمسلمين معاهداً لهم . فلما وثب لذريق بغيطشة وأولاده وأنصاره ، أسرع هذا الشاب أليان الذى نفترض أنه ابن يليان الكبير إلى العرب وحرضهم على غزو الأندلس ، واشترك معهم فى ذلك انتقاماً من لذريق . وسنرى بعد قليل أن العرب كانوا قد فتحوا إقليم طنجة وأنشأوا فيها ولاية إسلامية قبل ذلك .

أما ما يحدثنا به النص من أن أصحاب طارق (أى الحامية الإسلامية التى احتلت إقليم طنجة) تحاملوا على أهل البلد وأساءوا إليهم فيدل على أن طنجة

---

(١) قال بأن هذه الناحية كانت تابعة اسمياً للدولة البيزنطية . سابدرا فى كتابه عن فتح العرب للاندلس ، بل ذهب إلى أن يليان نفسه كان فارسى الأصل خدم الدولة البيزنطية . انظر كتابه عن فتح العرب للأندلس ، ص ٨ .

كانت أول الأمر جزءاً من مرطانية الطنجية التى كان يتولاها يليان نائباً عن ملك القوط أو عاملا له ، فلما جاء موسى استولى على طنجة وأدخل فيها حامية من الجند الإسلامى وأنشأ ولاية إسلامية جديدة هى طنجة أو المغرب الأقصى ، وجعل عليها ابنه مروان بن موسى والياً ، بعد أن أتم فتح جنوبى المغرب الأقصى وأنشأ فيه ولاية السوس أو سجلماسة الإسلامية وأقام عليها مولاه طارق .

وتؤيد هذا عبارة لابن القطان أوردها ابن عذارى تقول : الأكثرون يقولون إن مستقر طارق قبل محاولة الأندلس كان بطنجة ، ومنهم من يقول : كان بموضع سجلماسة ، وإن سلا وما وراءها من أرض فاس وطنجة وسبته كانت للنصارى [١] .

وعبارة « وان سلا وما وراءها . . . الخ » تؤيد ما قلناه من أن ولاية مرطانية الطنجية كانت لا تزال باقية عندما وصل موسى إلى طنجة . ومعنى هذا أن عقبة بن نافع لم يفتحها بل اكتفى بحلف يليان ثم اتجه إلى الجنوب لاستكمال فتح المغرب ، ثم جاء موسى فتح طنجة فى ظروف سنشرحها وجعلها ولاية إسلامية ، وأدخل فيها حامية إسلامية هى التى يقول النص إنها أساءت معاملة أهل طنجة فشكوا إلى أهل الأندلس ، وكان ذلك فى أيام الانقلاب الذى قام به لذريق وقضى فيه على غيطشة وآله وأصحابه ومنهم آل يليان ، ومنهم هذا «الغلام الحدث» أى الشاب اليان الذى ركب البحر وعبر إلى طارق لكى يدعوه إلى فتح الأندلس .

وهذه الحامية الإسلامية التى أقامها موسى فى طنجة تكونت من :

ا — الرهائن الذين أخذهم حسان بن النعمان من قبائل البربر بعد أن هزم الكاهنة وقتلها ، وعدد هذه الرهائن ١٢٠٠٠ فارس من مختلف قبائل البربر الذين كانوا يحاربون المسلمين مع الكاهنة ، وقد جعلهم حسان فرقتين ، كل فرقة ٦٠٠٠ فارس وأقام على الأولى يفرن بن الكاهنة وعلى الثانية يزديان

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١/٤٤

وانظر بحثنا : التنظيم الادارى والمالى لافريقية والمغرب خلال عصر الولاة . مجلة كلية الآداب بجامعة الكويت . مجلد ١ سنة ١٩٧٣ ص ٨٥ — ٨٦

ابن الكاهنة الثانى ، وترك مع هؤلاء ثلاثة عشر رجلا من علماء التابعين يعلمون لهم القرآن وشرائع دينهم . فرجع حسان إلى القيروان ، وذلك فى سنة ٨٢ للهجرة(١) .

ولم يذكر عبيد الله أين أرصدهم حسان ، ولكنه يقول فى نص سنأتى به بعد ذلك إنه جعلهم فى طنجة .

ولما كانت قبيلة جراوة — قبيلة الكاهنة — زناتية فيغلب على الظن أن هؤلاء الرهائن كانت غالبيتهم من الزناتيين .

ب — الرهائن الذين أتى بهم قواد موسى الذين أتموا فتح السوس (أى الجزء الجنوبى من المغرب الأقصى جنوبى حوض نهر فاس) وأهمهم مروان بن موسى وزرعة بن أبى مدرك ، فأخضعوا قبائل البربر الذين لم يأخذ حسان رهائنهم . وقد أشار إلى ذلك عبيد الله بن صالح بقوله « فأخذ (موسى) رهائنهم : رهائن كتامة وزناتة وهوارة ، فجمعهم مع رهائن حسان ، وولى عليهم طارق ابن زياد ورجع إلى افريقية »(٢) ومعظم هذا الفريق من الرهائن من الصنهاجيين المصامدة .

ج — يذهب ابن خلدون(٣) إلى أن موسى ترك معهم ٢٧٠٠٠ من العرب ، وفى قول آخر ١٧٠٠٠ ولكن الراجح والمعقول ما يقوله عبد الملك بن حبيب من أن عدد العرب الذين تركوا هناك كان ١٧٠٠ فقط . وهناك من يذهب

---

(١) نص عبيد الله بن صالح عن فتح العرب للمغرب ، نشر ليفى بروفنسال فى ترجمة فرنسية له فى مجلة أرابيكا ونشرنا نحن نصه فى صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد ، مجلد ٢ (١٩٥٤) ص ٢٢٣ وقمنا بترجمة الدراسة التى عملها المحقق من الفرنسية إلى العربية ثم علقنا على النص . أما قوله أن الثلاثة عشر الذين تركهم حسان عندهم كانوا من التابعين فغير صحيح فى الغالب .

(٢) نفس النص ، ٢٢٤ .

(٣) قال بان عدة العرب ٢٧٠٠٠ ابن خلدون (تاريخ ٦/٤٣٩) ، أما ابن عذارى فقد جعل عدتهم ١٧٠٠٠ (١/٤٢) وجعلهم عبيد الله بن صالح ابن عبد الحليم ١٧ فقط (ص ٢٢٤) . وذكر عبد الملك بن حبيب أن عددهم ١٧٠٠ فقط . انظر نصه الذى نشره د. محمود مكى ذيلا على مقاله عن مصر وأصول التأريخ للاندلس ، ص ٢٢٣ . ولكن ابن عذارى عاد فذكر أن موسى ابن نصير ترك سبعة عشر رجلا من العرب يعلمونهم القرآن وشرائع الاسلام » (نفس الصفحة) فهل يريد أن يقول انه كان هناك ١٧٠٠٠ عربياً من المقاتلين و ١٧ من المعلمين ؟ .

إلى أنهم كانوا سبعة عشر فحسب ، ولكن الغالب أن هذا عدد أهل العلم من العرب الذين تركوا هناك ليعلموا الناس الإسلام .

والمفهوم أن ما يسمى هنا بالرهائن يراد به أعداد من الجند تقدمها كل قبيلة دخلت فى الطاعة ضمانا لطاعتها ودليلا على ولائها للاسلام ودولته أى أنها جزية أو إتاوة على القبائل المواليـة فى صورة معاونات عسكرية للعرب . وقد استخدم طارق هذه القوات البربرية الزناتية والصنهاجية ومن كان معها من العرب القليلين فى فتح الأندلس ، قال عبيد الله بن صالح : « وبرهائن المصامدة جاز طـــارق بن زياد إلى جزيرة الأندلس ففتحوها ، وذلك فى آخر يوم من رمضان سنة ٩٢ من الهجرة ، وقتلوا لذريق ملك النصارى بجزيرة الأندلس . وذكر الرازى فى كتابه أعيان القبائل الداخلين مع طـارق بجزيرة الأندلس » (ص ٢٢٤) ويروى ابن عذارى نفس الخبر ، ولكن بصورة أكمل وأكثر اتفاقاً مع الواقع وذلك فى خبر طويل نورده فيما يلى مقسما إلى فقرات لتتضح أهمية المعلومات التى يتضمنها :

١ — ثم خرج موسى — رحمه الله — غازياً من افريقية إلى طنجة ، فوجد البربر قد هربوا إلى الغرب خوفا من العرب ، فتتبعهم ، وقتلهم قتلا ذريعاً ، وسبى منهم سبياً كثيراً .

٢ — حتى بلغ بلاد السوس الأدنى وهو بلاد درعة [١] .

---

(١) نلاحظ هنا أن موسى لم يهاجم أول الأمر إقليم طنجة ، أى ولاية مرطانية الطنجية وواليها هو يليان المشهور ، وكان محالفـــاً للعرب من أيام عقبة بن نافع . قال عبيد الله بن صالح فى كلامه عن أعمال عقبة : « فوصل عقبة إلى طنجة ، فوجد عليهـــا يليان ، فاستأمن معه يليان . فذهب عقبة حتى وصل مدينة وليلى بمقربة من الموضـــع الذى بنى فيه فاس قبل بنيان فاس ، فوجد فيه جمـــوع البربر ، فقاتلهم حتى هزمهم واتبعهم حتى إلى درعة » (صفحة ٢٦٨) .

ومعنى هذا أن عقبة اعتبر منطقة طنجة محالفة فلم يحاربها واتجـــه جنوباً حتى وصل إلى وليلى ومن هناك بدأ حرب قبائل البربر . أى أن خط وليلى يعين حدود منطقة طنجة التى لم يفتحها عقبة .

ونفهم من هذا كله أن العرب فتحوا إقلـــيم السوس وهو جنوبى المغرب الأقصى قبل أن يفتحوا شمـــاله ، وان ولاية السوس أو سجلماسة نشأت قبل أن تنشـــأ ولاية طنجة . ويؤيد ذلك قول ابن القطان (ابن عذارى ١/٤٤) ان مستقر طارق بن زياد أول الأمر كان فى سجلماسة وأن سلا وما وراءها من أرض فاس وطنجة وسبتة كانت للنصارى » أى حتى مجىء موسى بن نصير .

٣ — فلما رأى البربر ما نزل بهم استأمنوا وأطاعوا ، فولى عليهم والياً (١) .

٤ — واستعمل مولاه طارقاً على طنجة وما والاها فى سبعة عشر ألفاً من العرب واثنى عشر ألفاً من البربر ، وأمر العرب أن يعلموا البرابر القرآن ، وأن يفقهوهم فى الدين ثم مضى موسى قافلا إلى افريقية .

٥ — قال ابن القطان : وذكر أن موسى بن نصير بعث إثر بيعته للوليد فى هذه السنة المؤرخة (سنة ٨٦ / ٧٠٥) زرعة بن أبى مدرك إلى قبائل من البربر ، فلم يلق حرباً منهم ، فرغبوا فى الصلح منه ، فوجه رؤساءهم إلى موسى بن نصير ، فقبض رهونهم (٢) .

٦ — ثم عقد لعياش بن أخيل على مراكب افريقية ، فمشى فى البحر إلى صقلية . فأصاب مدينة يقال لها سرقوسة ، ففتحها [وغنم] جميع ما بها ، وقفل سالماً غانماً (٣) .

٧ — ولما حمل أبو مدرك زرعة بن أبى مدرك رهائن المصامدة ، جمعهم موسى مع رهائن البربر الذين أخذهم (٤) من افريقية والمغرب ، وكانو على طنجة ، وجعل عليهم مولاه طارقاً (٥) .

٨ — ودخل بهم جزيرة الأندلس (٦) .

٩ — وترك موسى بن نصير سبعة عشر رجلا من العرب يعلمونهم

---

(١) يفهم من التعليق السابق أن هذا الموالى كان طارق بن زياد .

(٢) هذه الفقرة كان ينبغى أن تأتى قبل المسابقة عليها (رقم ٤) ، أى أن موسى أعاد فتح السوس على يد قائده زرعة بن أبى مدرك وأقر عليه طارقاً ، ثم فتح إقليم طنجة ونقل إليها طارقاً .

(٣) هذا يدل على أن موسى قام بنشاط واسع فى الفتوح من مستقره فى القيروان ، فغزا زغوان ثم المغرب الأقصى الجنوبى (السوس) ثم صقلية ثم الاندلس .

(٤) تتضح هذه العبارة أكثر إذا جعلناها : وجمعهم موسى إلى رهائن البربر الذين أخذهم حسان ابن النعمان .

(٥) كان مع زرعة فى هذه الغزوة مروان بن موسى بن نصير وعاد منها ومعه سبى عظيم .

(٦) هذه الفقرة زائدة ولا محل لها هنا .

القرآن وشرائع الإسلام . وقد كان عقبة بن نافع ترك فيهم بعض أصحابه يعلمونهم [١] القرآن والإسلام ، منهم شاكر صاحب الرباط وغيره .

١٠ — ولم يدخل المغرب الأقصى أحد من ولاة خلفاء بنى أمية بالمشرق إلا عقبه بن نافع الفهرى ، ولم يعرف المصامدة غيره ، وقيل إن أكثرهم أسلموا طوعاً على يديه . ووصل موسى بن نصير بعده .

١١ — وفى سنة ٩٣ من الهجرة جاز طارق إلى الأندلس ، وافتتحها بمن كان معه من العرب والبرابر ورهائنهم الذين ترك موسى عنده والذين أخذهم حسان من المغرب الأقصى قبله .

١٢ — وكانت ولاية طارق على طنجة والمغرب الأقصى فى سنة ٨٥ .

١٣ — وفى هذا التاريخ تم إسلام أهل المغرب الأقصى ، وحولوا المساجد التى كان بناها المشركون إلى القبلة ، وجعلوا المنابر فى مسجد الجماعات وفيها صنع مسجد أغمات هيلانة .

١٤ — ونسب طارق هو : « طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو بن

---

(١) أعتقد أن ابن عذارى ترك هنا حادثة لها أهميتها ، وهى حملة سقوما التى ذكرناها . كانت سقوما داخل ولاية مرطانية الطنجية التى لم يفتحها العرب إلى ذلك الحين . وقد رأينا أن موسى أراد أن يحترم حلفه مع واليها ، ولهذا قال ان أهل سقوما قوم على الطاعة . وكان الذين ضغطوا عليه لفتحها أولاد عقبة وأولاد أبى المهاجر دينار . وقد فصل أمر الحملة ابن عذارى نفسه (صفحة ٤١) وعبيد الله بن صالح (صفحة ٢٢٤) والنص المنسوب إلى الرقيق (صفحة ٧٧) ولكن أحداً منهم لم يتنبه إلى أن هذه الحملة كانت نهاية استقلال مرطانية الطنجية ، فقد كانت هذه الناحية مستقر جزء كبير من قبيلة اوربة ، قبيلة كسيلة وحلفائه النصارى . وبعد هذه الحملة مباشرة احتل موسى طنجة وأصبحت بذلك ولاية عربية إسلامية جديدة تشمل شمال المغرب الأقصى ، تولى أمرها أولا مروان بن موسى ثم نقل إليها طارق بن زياد .

وبعد هذا الفتح انقطع الحلف مع يليان أو مع آله ، ولهذا نلاحظ من رواية النص المنسوب إلى الرقيق أن طارقاً ومن معه من المسلمين كانوا على حذر من أهل الأندلس ورجالهم . فلما أقبل رجال من الأندلس عليهم إليان كمنوا لهم ليوقعوا بهم فقال لهم إليان انه أتى هذه المرة صديقاً لهم مستعيناً بهم . ويظهر ان إليان الذى يوصف فى نص الرقيق بأنه غلام حدث كان ابن يليان القديم أو خليفته على مرطانية الطنجية .

ورفجوم بن نبرغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو ، فهو نفزى ، ذكر انه من سبي البربر . وكان مولى موسى بن نصير » [١] .

الخلاصة

إلى هنا ينتهى نص ابن عذارى ، وقد أتينا فيما سبق بالنص المنسوب إلى الرقيق مع نصوص أخرى وحللنا فى غضون هذا البحث كلام هذه النصوص فقرة فقرة ، ولهذا فإننا نرى أنه من المفيد فى ختام هذا البحث أن نوجز أهم الوقائع الجديدة التى انتهينا إليها فى هذا التحقيق خاصة بفتح العرب للمغرب والأندلس . وقد تكلمنا عنها كلها فى سياق بحثنا ، ولكننا نجمعها كلها هنا فى صعيد واحد على نسق مترابط :

١ — تولى موسى بن نصير المغرب سنة ٨٥ / ٧٠٤ بسعى عبد العزيز بن مروان عامل مصر . وكان غرض عبد العزيز من هذا السعى فى عزل حسان بن النعمان واستبداله بموسى أن يقوم بفتوح واسعة تعود على الدولة بخير عظيم سواء فى اتساع الرقعة أو فى المغانم والمكاسب السريعة التى تنتج عن الفتح .

٢ — وقد بذل موسى بن نصير بالفعل نشاطاً واسعاً فى فتوح افريقية ثم الأندلس تغيرت نتيجة لها صورة الغرب الإسلامى كله . وقد أثبت موسى بن نصير بذلك انه لا يقل قدره عن معاصريه الفاتحين فى الجناح الشرقى لمملكة الإسلام ومعظمهم من رجال الحجاج بن يوسف ، وكان لا يحب موسى بن نصير ولا يثق فيه ، فأثبت موسى أنه يضارع الحجاج ورجاله فى هذه الناحية وسنورد فيما يلى فتوحه مرتبة على قدر ما تيسر لنا :

ا — فتح قلعة زغوان وإقليمها على مرحلة — أى نحو ٤٠ ك م — من تونس غرباً ، وكانت قاعدة ناحية جبلية غنية ، وهى إحدى الجيوب التى لم يكن قد تسنى لحسان بن النعمان فتحها .

---

(١) عند عبيد الله بن صالح ان الذى صنع إذ ذاك منبر أغمات هيلانه ، وهذا أصح (فقرة ١٩ من نصه ، ص ٢٢٣) .

ومن المؤكد أن موسى فتحها بعد وصوله إلى القيروان مباشرة .

ب — فى نفس الوقت بعث كلا من ولديه عبد الله ومروان على رأس جيش لغزو ناحية ـ لم يحددها المؤرخون ـ مما لم يكن قد تم فتحه بعد من نواحى المغرب الأوسط فعـــاد كل منهما بغنائم كثيرة . وهذه الغزوات كانت ضربات يراد منها إخافة البربر أولا ثم العودة بالغنائم الكثيرة ثانياً حتى تثبت قدم موسى فى الولاية وقد تم لموسى ذلك فعلا .

ج — وقد اعتمد موسى فى أعمـاله على أولاده الكثيرين وأهمهم عبد الله ومروان وعبد الأعلا (أو عبد العلا فى الإمامة والسياسة) وعبد العزيز وعبد الملك ، ثم على عياض وأبى عبيدة ابنى عقبة بن نافع وعبد الجبار بن سلمة بن عبد الرحمن بن عوف والمغيرة بن أبى بروة وأبى مدرك زرعة بن أبى مدرك وسليمان بن بحر بن أبى المهاجر وعياش بن أخيل وطارق بن زياد ومغيث الرومى وحبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع وغيرهم ممن أثبتوا فيما بعد أنهم من كبار القادة وقادة الفتوح .

د — وفى هذا الوقت أيضاً نستطيع أن نضع الحمـلة البحرية التى أرسلها موسى إلى صقلية بقيادة عياش بن أخيل ، وهى بحرية ناجحة فى فتوح البحر فقد عاد المسلمون منها بغنائم وفـــيرة . وهذا النجاح سيكون السابقة التى ستشجع العرب على القيام بغارات مماثلة على الأندلس مثل غارة أبى زرعة طريف على جنوبى الأندلس وكانت طليعة لحملة طارق .

وقد قام موسى بكل هذه الغزوات لأول ولايته لكى يثبت لعبد الملك بن مروان ثم لابنه الوليد أنه جدير بولاية المغرب كما قلنا . ومن المعروف أن عبد الملك لم يكن راضياً أول الأمر عن تحامل أخيه عبد العزيز بن مروان على حسان بن النعمان واضطراره إلى الاعتزال لإحلال موسى بن نصير محله ، فاجتهد موسى فى الفتوح ليثبت أنه خير من حسان بن النعمان .

هـ — الحملة الكبرى التى أرسلها على السوس بقيادة زرعة بن أبى مدرك يرافقه ابنه مروان وطارق بن زياد وهى الحملة الحاسمة التي قضت على كل مقاومة لبربر المغرب الأقصى ، وقد ذكرها بتفصيل عبيد الله بن صالح (ص ٢٢٤

فقرة ٢٢) ، وتلك هى الغزوة التى افتخر بها موسى بن نصير وعدها واحدة من أكبر نعم الله الثلاث عليه عندما تحدث فى مجلس ذكره ابن عذارى (١ / ٤٤) وغيره .

وعقب هذه الحملة نشأت بصورة نهائية ولاية السوس أو سجلماسة . ونعتقد أن طارق ابن زياد كان أول ولاة هذه الولاية الجديدة . (انظر ابن عذارى ١ / ٤٤) .

و — بعد ذلك تجىء حملة سجوما أو سقومة أو سقيوما ، وكانت هذه البلدة كما قلنا معقل قبيلة أورية وبقية القبائل المغربية المحالفة للبيزنطيين ثم للقوط الغربيين ، وكانت هذه القبائل تؤيد يليان والنصارى أى أهل الأندلس . ومؤرخونا القدامي يقولون إن موسى قام بها بعد احتلال طنجة . ولكن منطق الحوادث يقول إنها كانت سابقة على ذلك ، بل قام بها موسى ورجاله لإنهاء استقلال منطقة طنجة وشمال المغرب الأقصى عن الحكم العربى ، وكانت فى نفس الوقت انتقاماً من هذه القبائل التى اشتركت مع الروم فى مقتل عقبة . هذه الغزوة تعين نهاية السلطان الحضارى للبيزنطيين على مرطانية الطنجية ونهاية السلطان السياسى للقوط الغربيين على نفس المنطقة . بعدها مباشرة احتل موسى طنجة ، وأنشأ ولاية طنجة أو المغرب الأقصى ، وأقام عليها ابنه مروان ثم طارق بن زياد .

احتل طارق طنجة بقوات بربرية بعضها من رهائن حسان وكل هذه الرهائن من قبيلة جراوة الزناتية (قبيلة الكاهنة) والقبائل الموالية لها ، وبعض هذه القوات من رهائن موسى وكلها من قبائل صنهاجية مصمودية .

هؤلاء جميعاً كانوا اغراباً عن منطقة طنجة ، ولهذا فقد ثقلت وطأتهم على أهل الإقليم ، فأرسلوا يستنجدون بسادتهم القدماء وهم قوط الأندلس . هذه هى الحقيقة الجديدة التى يكشف عنها النص المنسوب إلى الرقيق . أرجو أن يراجع القارىء الفقرة الأولى من ذلك النص وقد أتينا بها آنفاً .

هنا أيضاً نستطيع أن نقول إن ذلك الاحتلال كان نهاية العلاقات الحسنة التى قامت بين يليان أو خلفائه والعرب ، وساد بعد ذلك شعور عداء بين

المسلمين سادة إقليم طنجة والقوط الغربيين أو رجالهم فى جنوب الأندلس . والفقرة الأولى من النص المنسوب إلى الرقيق تؤيد ذلك ، فقد كان طارق وحاميته متخوفين متحرزين من ناحية القوط فى الأندلس .

أما عودة الاتصال والتعاون مع قوم يليان فتشرحه نفس الفقرة ، واليان الغلام الحدث الذى يحدثنا عنه النص ربما كان ابن يليان القديم ، ومجيئه إلى طنجة للاستعانة بطارق كان نتيجة لسوء تصرف لذريق الغاصب للعرش مع آل غيطشة وأنصارهم . (ومنهم آل يليان) . لقد أتى إليان الابن مستجيراً بالعرب ، ولم تكن فكرته مجرد الاستعانة بالعرب مؤقتاً على اعتبار أنهم أهل غارة ومغنم وانهم سيزيلون ملك لذريق ويغنمون ثم يعودون . بل كان يعرف أن العرب سيزيلون ملك القوط ثم يحلون محلهم . (اقرأ الفقرة ٣ من النص) .

أما ما يذكره النص من أن اليان الغلام الحدث قال لطارق إنه ابن ملك الأندلس ، فيمكن تفسيره على أن المراد به أنه ابن أحد رجال ملك الأندلس ، الشرعى (غيطشة) الذى غصب لذريق عرشه .

ثم تجىء بعد ذلك أحداث فتح الأندلس حسب الرواية الجديدة وأهم ما فيها من الجديد :

٢ — ما ذكرناه آنفاً من نوع العلاقات التى كانت بين أليان والعرب .

٣ — أن موسى بن نصير لم يعلم بعبور طارق إلا بعد أن تم هذا العبور .

٤ — تفاصيل جديدة تقدمها الفقرتان ٤ و ٥ من النص عن المعركة الحاسمة التى دارت بين المسلمين ولذريق .

٥ — فى الفقرة ٥ نرى أن لذريق فر إلى الشرق وأدركه المسلمون وقتلوه عند وادى الطين Guadalentín قرب لورقة فى ناحية مرسية .

هذا القول تؤيده بعض المراجع النصرانية كما رأينا ويؤيده أيضاً نص المؤلف المجهول الذى سنجعله ذيلا على هذا البحث .

٦ — الفقرة ٦ من النص تقدم لنا تفاصيل هامة عن طبيعة المعركة .

٧ — عقب الهزيمة هرب فل القوط فى اتجاه قرطبة ، فأمر طارق رجاله أن يسبقوهم إليهـا ، وبالفعل تم ذلك وتمكن المسلمون من منع القوط من دخول قرطبة والتحصن بها .

٨ — عقب ذلك دخل طـارق قرطبة . فهو إذن الذى احتلهـا وليس مغيثاً الرومى . وربمـا يكون القول بأن مغيثاً هو فاتحها ناتجاً من أن موسى وطارق تركاه والياً عليها عندما سارا معاً لفتح طليطلة وبقية اسبانيا .

٩ — عندما وصل الخـبر إلى موسى غضب على طـارق وخاف أن يفوز بالفتح وحده ، فأقبل مسرعاً مع جنده العربى وعبر الزقاق ونزل عند الجزيرة الخضراء ثم اتجه نحو قرطبة .

١٠ — ولم يخرج طـارق من قرطبة للقاء موسى ، إما لأنه خاف أن ينتقض البلد عليه كما يقول النص (فقرة ٥) أو لأنه خاف من غضبه . وأعتقد أن هذا هو الغرض الأصح ، لأن طـارقاً سارع بإرسال الهدايا والمغانم إلى موسى ليريه أن الفتح تم باسمه وان خيراته ومغانمه تعود إليه .

١١ — ويؤيد ذلك أيضاً أن النص يذكر أن طارقاً استجار بعبد العزيز ابن موسى فشفـع له عند أبيه حتى رضى عنه . وفى الفقرة ٧ نرى بوضـوح كيف أن موسى اطمأن بعد ذلك إلى أنه انـتزع شرف الفتح كله من طارق ورضى عنه . وتكاملت لديه الجيوش فأرسل طارقاً نحو طليطلة .

١٢ — أما هو - موسى - فقد استقر فى قرطبة واعتبرها مركزه وقاعدته فى البلد الحديث الفتح ، وربمـا كان هذا هو السبب فى أن قرطبة أصبحت عاصمة الأندلس ، الإسلامى فيما بعد .

١٣ — ويقرر النص (فقرة ٨) أن طارقاً هو الذى فتح طليطلة وحده ، وأرسل بالمغانم إلى موسى ومن بينها المائدة المشهورة .

١٤ — بعد ذلك نهض موسى للفتح واستمر فيه حتى وصـــل أربونه (فقرة ١٠) وأراد الاستمرار لفتح بلاد افرنجة لولا أن أوقفه حنش الصنعانى .

١٥ — المعلومات التي تقدمها لنا الفقرتان ١١ و ١٢ عن الغنائم والمائدة لا تخلو من قيمة تاريخية وإن لم تكن كلها جديدة علينا .

١٦ — كذلك الفقرتان ١٣ و ١٤ تقدمان لنا معلومات طريفة عن مائدة سليمان وعن قرطاجنة إفريقية .

١٧ — تقول الفقرة ١٥ إن موسى عندما ترك الأندلس ترك ابنه عبد العزيز والياً عليه وترك معه حبيب بن أبى عبيدة معيناً له . ربما يوضح لنا هذا مقدمات مأساة عبد العزيز ، فإن حبيبا بن أبى عبيدة كان طامحاً طامعاً غداراً وربما كان هو صاحب المؤامرات التى انتهت بمقتل عبد العزيز ويؤيد ذلك أن أيوبا بن حبيب اللخمى الذى ولى الأندلس بعد عبد العزيز أخرج حبيب بن أبى عبيدة من الأندلس فى جملة من أخرج من أهل الشقاق والفتنة .

* * *

تلك هى أهم النقط التى يأتينا بها هذا النص الجديد عن فتح الأندلس والمغرب ، وأعتقد أنها كلها تدعونا إلى إعادة النظر فى الأمر كله ومحاولة رسم صورة جديدة لفتوح المسلمين فى المغرب الأقصى والأندلس .

ويحق لنا هنا أن نعود فنسأل صاحبنا لسان الدين بن الخطيب إن كان فتح الأندلس كما ظن فى تماله الساذج : « مملول قصاص وأوراق ، وحديث افول وإشراق ، وإرعاد وإبراق ، وعظم امتشاش ، وآلة معلقة فى دكان حشاش ! » (١) .

---

(١) نفح الطيب (تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨) ١ / ٢٣٠ .

ضميمة

نص كتاب « وصف الأندلس وتاريخه لمؤلف مجهول » (*)

باب ذكر فتح المسلمين بلاد الأندلس ومن ملكها من أمراء العرب إلى أيام عبد الرحمن الداخل

[٤١ ا] لما انتهى ملك الأندلس إلى لذريق القوطى ، وانتهت خلافة المسلمين إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وكان الوليد حازمــاً فاضلا مواظباً (١) للجهاد ، ناظراً فى ضبط ثغوره ومصالح رعيته .

فلما ولى واستقام له الأمر أمر قواده بغزو الروم فى البر والبحر وولى على افريقية موسى بن نصير اللخمى .

فخرج موسى غازيا من إفريقية إلى طنجة ، فلما وصل إلى طنجة بلد فرت قبائل البربر أمامه إلى المغرب والسوس الأقصى (٢) خوفاً منه . فسار فى أثرهم يفتح البلاد والحصون ، ويؤمن من آمن ، ويقتل من كفر حتى فتح جميع بلاد السوس الأقصى . ثم رجع إلى افريقية [٤١ب] وقد استقام له أمر المغرب واستولى على طنجة وولى عليها طارق بن زياد وترك معه [... ...] من العرب واثنى عشر من البربر ، وكانوا قد أسلموا وحسن إسلامهم ، وترك معه جماعة من القراء والفقهاء يعلمون البربر القرآن وشرائع الإسلام .

فأقام طارق بن زياد بطنجة ، ففتح الأندلس . وكان طارق من البربر من قبيل نفزة ، وكان محباً فى الجهاد ، فعزم على غزو الأندلس .

فدعا برجل اسمه طريف ويكنى أبا زرعة ، فعقد له على أربعمائة راجل (٣)

(*) انظر صفحة ١١ من النص .

(١) الاصل : موافينا .

(٢) الاصل : الاقصا .

(٣) الاصل : رجل .

ومائة فارس ، وجوزه إلى الأندلس فى أربعة سفن برسم الجهاد والتطلع على أحوال الأندلس ومن بها .

فجاز أبو زرعة ، ونزل بطريف ، وبها عرفت طريف إلى اليوم .

فلما نزل بطريف أغار على الخضراء فغنم وسبي وقتل ، ورجع إلى طنجة ، فأخبر طارقاً بسعة البلاد وكثرة نعمها وخيراتها ، فأخذ طارق فى إنشاء السفن والاستعداد إلى الجواز إليها ، يعنى الأندلس برسم غزوها .

فجاز إليها فى شهر رمضان المعظم من سنة اثنتين وتسعين للهجرة فى جيش من اثنى عشر ألف مقاتل : عشرة آلاف من البربر والفين من العرب وسبعمائة من السودان .

[١٤٢] فلما جاز قدمهم بين يديه فى صورة مهولة ، فرأى القرطبيون صوراً مهولة أفزعتهم ، فكان السودان يأخذون الأسارى فيذبحون منهم ويطبخونهم ، ويورون من يبقى منهم حياً أنهم يأكلونهم ، فكان ذلك مما أوقع الرعب فى قلوب الروم ، فخافوهم .

وقيل إنه لما جاز طارق وجيوش المسلمين نزلوا فى أصل جبل طارق وهو جبل الفتح ، ثم صعد إلى أعلى الجبل ، فبنى بقنته حصناً منيعاً فتحصن به هو ومن معه . ولما بلغ ملوك الروم خبر نزول طارق بجبل الفتح نفروا إلى لذريق وكان جباراً غشوماً [... ...] (١) فاستنفر النصرانية وأقبل إلى طارق فى جيوش لا تحصى وأمر بسريره المكلل بالدر والياقوت فشد بين بغلين أشهبين ، وضربت عليه قبة من الحرير الأحمر مقصبة بالذهب ، وحفت به الرجال والجيوش والأبطال . وقعد لذريق على سريره وتاجه على رأسه وفى رجليه خفان من الذهب مكللان بالجوهر والياقوت .

فلما علم طارق بقدومه إليه تلقاه بجميع المسلمين ووقدت الحرب بينهم ، فبقى القتال بينهم ثمانية أيام حتى ظن أنه الفنا ، وصبر المسلمون صبراً جميلا ،

---

(١) لفظان مطموسان .

فمنحهم الله تعالى النصر بصبرهم ، فانهزم الروم وولوا الأدبار ، وتحكمت فيهم سيوف المسلمين .

[٤٢ ب] وفر لذريق ، فادركه المسلمون بوادى الطين ، فقتل هو ومن كان معه ، وقيل إنه غرق فى النهر ، لأن المجاز كان وعرا .

وفرت الروم وقد فقدوا لذريق ، ووجد خفه فى النهر وصار طارق إلى قرطبة بعد قتل لذريق ففتحها ، وأصاب بها من الذهب والفضة وأصناف الجواهر مالا يحصى ، وأخذ فيها من السبى اثنى عشر ألف امرأة ، ثم سار إلى طليطلة ففتحها ، وفتح بلاداً كثيرة ، وكتب بالفتح إلى موسى بن نصير .

فلما وصل كتابه إلى موسى كتب إليه يعنفه إذ جاز إلى الأندلس بغير أمره ، وأمره ألا يجاوز طليطلة . واستخلف ولده على افريقية .

وارتحل يريد الجواز إلى الأندلس ، ومعه بنوه عبد العزيز وعبد الأعلا ومروان ، ومعه وجوه قريش وأشراف العرب والبربر [١٤٣] فى نحو العشرين ألف فارس . فسار حتى نزل بساحل طنجة ، ثم ركب [......] (١) وذلك فى شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين للهجرة . فطلب دليلا من العجم يدله على بلاد لم يدخلها طارق ، فدله على اشبيلية وولبة وباجة وماردة .

فسار إليها ، وفتحها ، وسار فى بلاد الأندلس حتى بلغ إلى قلمة عوان (٢) ثم إلى البلاط ثم إلى فج موسى ثم إلى لقنت ، فاجتمع بطارق فى أحواز طليطلة . فخرج إليه طارق وتلقاه ، فعتب عليه موسى وبلغ به المبلغ الشنيع .

ثم رضى عنه وقدمه إلى افتتاح الثغور ، وانصرف موسى إلى قرطبة . فعيد بها الأضحى من سنة أربع وتسعين ، وقد أكمل الله للمسلمين فتحها ، وذلك فى أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان .

---

(١) كلمتان مطموستان ، ويلاحظ أن السطر الأول من كل صفحة من هذا المخطوط مطموس عسير القراءة .

(٢) المراد قلعة رعوان المشهورة ، وقد حقق أمرها فيليكس إرناندث فى بحثه الذى سبق أن ذكرناه .

ولما أراد موسى الرجوع إلى المشرق أمر بالياقوت والزمرد ، فكدس بين يديه ، ثم أمر بالنار فأوقدت عليها ، فكل ما صلب على النار ولم يتفلق عزله ، وما تفلق تركه .

وأتى بالمائدة والتيجان والذخائر ، فحمل ذلك على ثمانية وخمسين عجلة ، واستخلف على الأندلس ولده عبد العزيز . وكانت المائدة من ذهب مشوب بشىء من فضة يتلون فيها حمرة وصفرة . وكانت مطوقة بثلاثة أطواق : طوق بالياقوت وطوق بالزبرجد وطوق باللؤلؤ ، وارتحل بذلك إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان » .

انتهى النص الخاص بالفتح فى ذلك المخطوط .

حسين مؤنس

أضواء على مشكلة تاريخ بناء أسوار اشبيلية في العصر الاسلامى

كانت إشبيلية القديمة أو أشبالى « Hispalis »[1] قبل أن ينزلها يوليوس قيصر فيما بين شهري مارس وأبريل سنة ٤٥ ق.م فى أعقاب موقعة موندا ؛ لا تعدو قصبة تقوم على نشز من الأرض بالقرب من النهر ، يسميها بلنيوس (٢٣ ق.م — ٧٩ م) باسم أوبيدم Oppidum[2] ، ويتوسطها مجلس الشعب ، وبجواره يقع المسرح . وإذا كنا لا نستطيع أن نحدد على وجه اليقين الفترة التاريخية التى أسس فيها ذلك الأوبيدم وإن كانت تقع فى العصر الرومانى أو فى مرحلة تاريخية سابقة[3] ؛ فإننا على الأقل نعلم أن إشبيلية تحولت منذ أن نزلها قيصر ومصّرها وجدّد بنيان سورها ، من مجرد قصبة متواضعة إلى مركز عمرانى هام أقرب ما يكون إلى المدينة ، تتوسطه قلعتان

---

(١) لفظ « أشبالى » الوارد فى كتاب نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار للعذرى المعروف بابن الدلائي (تحيق الدكتور عبد العزيز الأهوانى ، مدريد ١٩٦٥ ص ٩٥) وفى جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك لأبى عبد الله البكرى (تحقيق الدكتور عبد الرحمن الحجى ، بيروت ١٩٦٨ ص ١٠٧) وفى صفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض المعطار (تحقيق الأستاذ ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٣٧ ص ١٨) تسمية قديمة لإشبيلية قبل العصر الرومانى ، وهو لفظ فينيقى الأصل معناه « منبسط أو سهل » (عبد العزيز الأهوانى ، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار ، ص ١٧١) ، أو على حد قول كل من العذرى والبكرى « المدينة المنبسطة » (العذرى ، ص ٩٥ — البكرى ، ص ١٠٧)

(٢) García y Bellido (A.): *La España del siglo primero de nuestra era,* según Mela y Plinio, *Colección Austral,* N. 744, Madrid, 1947, p. 117.

(٣) De Carriazo (Juan Mata): *Las Murallas de Sevilla,* Archivo Hispalense, 1951, N.° 48-49, p. 20.—Julio González, *el Repartimiento de Sevilla,* Madrid, 1951, t. I, p. 466.

تعرفان بالأخوين على حد قول البكرى الجغرافى [١] ، وأطلق عليها اسم Colonia Julia Romula [٢] نسبة إلى يوليوس قيصر الذى مصرها وأحدق عليها بأسوار من الصخر الصلد . ولم تتبق للأسف أية آثار معمارية من سور أشبالى الرومانى [٣] ، كما أن المصادر التاريخية لا تزودنا بمادة تعيننا على تحديد نطاق المدينة الرومانية ، وإن كان الكشف عن بعض أسس السور الرومانى فى شارع أورفيلا Orfila قد يسر إلى حد ما مهمة تحديد جانب منه .

وأيا ما كان مصير هذه الأسوار الرومانية ، فإنها أدت لأهل أشبالى خدمات جليلة ، إذ ردت عنهم هجمات ليوفخيلدو العنيفة فى سنة ٥٨٣ [٤] ، كما أرهقت قوات موسى بن نصير لعدة شهور قبل أن تستولى على إشبيلية . وظلت هذه الأسوار تؤدى وظيفتها بعد الفتح الإسلامى إلى أن اكتظت المدينة بسكانها العرب والمولدين والبربر ، وبمن نزلها من جند حمص الذين استقروا بها على أيام أبى الخطار حسام بن ضرار الكلبى [٥] . ومن المعروف أن أسوار أى مدينة فى العصور القديمة وفى العصور الوسطى كانت تعتبر الإطار الخارجى والواجهة ، وتشكل مناطق الاتصال مع العالم الخارجى ، بالاضافة إلى أنها كانت تقى المدينة من أخطار الغزو ، وتحميها فى أوقات الأزمات ، ولكن

---

(١) البكرى ، المصدر السابق ، ص ١٠٨ — الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٨ ، ١٩ — المقرى ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، محيي الدين عبد الحميد ، ج ١ ص ١٤٩ .

(٢) فى ذلك يقول البكرى : « وجعلها أم قواعد الأندلس ، واشتق لها اسما من اسمه ومن اسم رومية ، فسماها : رومية يوليش » (البكرى ، ص ١٠٨) .

(٣) نعتقد أن السور الاسلامى الأول لاشبيلية بنى من حجارة السور الرومانى ، فلما هدم هذا السور فى زمن عبد الرحمن الناصر وأعيد بناء السور الاشبيلى فى زمن الفتنة بالتراب استغل بنو عباد أحجار السور الرومانى فى بناء قصورهم ، أو على الأقل فى بناء أسوار هذه القصور ، فلما شرع المنصور الموحدى فى بناء الصومعة لجامع اشبيلية استخدم فى تأسيسها قطعا من الحجارة المختلفة من قصر ابن عباد ، وما زالت ترى فى أسس الصومعة كتل ضخمة من الحجر نقشت عليها كتابات من العصر الرومانى .

(٤) Carriazo, *op. cit.*, p. 21, 22.

(٥) عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، بيروت ، ١٩٦٢ ص ١٦١

أهمية هذه الأسوار تقل عندما يتسع نطاق المدينة العمرانى ، فيصبح وجودها فى هذه الحالة عقبة أمام التطور العمرانى للمدينــة واتساعها ، ويستلزم الأمر بالضرورة فتح ثلمات فى بنيـان هذه الأسوار لمد الدروب والشوارع بين قلب المدينة وأرباضها ، وبالتالى الربط بين مراكزها العمرانية .

وقد حدث ذلك بالنسبة لإشبيلية ، إذ ضاق نطاقها عن الاتساع لسكانها ، عندما تضخم عددهم واكتظت بهم وبات من المحتم أن يتجاوز العمران الإشبيلى نطاق المدينة ويفيض إلى ما وراء سورها الرومانى . وقد ترتب على ذلك أن تفتحت فى هذا السور ثغرات واسعة لتيسير الاتصال بين سكان المدينة وسكان الأرباض الخارجية ، وتطور الأمر إلى هدم قطاع أو أكثر من هذه الأسوار . ونعتقد أن القطـاع القبلى من سور إشبيلية كان أول ما ضحى به ، وأعنى به الجانب المواجه للمينـاء ، لاكتظاظ هذا الحى بالعمران من جهة ، ولأنه الموضع الذى تسلل منه النورمانديون إلى المدينة عندما أقدموا على احتلالها سنة ٢٣٠ (١) من جهة ثانية ، ثم لأنه أكثر مناطق إشبيلية نشاطاً وحركة من الناحية الاقتصادية من جهة ثالثة ، وأخيراً لأنه أكثر مواضع إشبيلية اتصالا بربضها القبلى طريانة من جهة رابعة . وكانت إشبيلية مدينة غنية بمنتجاتها ، عامرة بأبنيتها ، وكانت ميناء تصدر منه منتجات الاقليمين الجنوبى والغربى من الأندلس عبر الوادى الكبير والمحيط الأطلسى ، وعلى هذا النحو كانت مطمعاً للغـازين سيما وقد أصبحت مكشوفـــة مفتحة ، ميسرة للداخلين والخارجين ، نتيجة لسقوط جانب على الأقل من سورها (٢) .

---

(١) عبد العزيز سالم ، العمارة الحربية بالأندلس دائرة معارف الشعب ، عدد ٦٤ ، القـاهرة ١٩٥٨ ص ١٥٢

(٢) الظاهر أن هذا الجانب كان يقع قريباً من أكثر مناطق اشبيلية ازدحاماً بالسكان ، وأعنى به المرفأ ، فى الموقع الذى اختاره المرابطون فيما بعد بقيادة سير بن أبى بكر للهجوم على المدينة ، وقد حرص الموحدون فى سنة ١٢٢٠ م. على تدعيم دفـاعهم عن هذا الموضع بإنشاء البرج البرانى المعروف ببرج الذهب .

السور الاسلامى الأول

وحانت أكثر مراحل تاريخ إشبيلية الإسلامية تحرجاً عندما هاجمتها حشود النورمانديين فى سنة ٢٣٠ هـ (٨٤٤ م) من جهة البحر ولم تستطع الأسوار التسعة أن تمنع حشودهم من اقتحام المدينة ، إذ كانت إشبيلية — على حد قول ابن سعيد المغربى — عورة [١] ، وعاث النورمنديون فى المدينة فسادا ، وأقاموا فيها سبعة أيام أحرقوا خلالها سمدات المسجد الجامع الأول المعروف بجامع القاضى عمر بن عدبس ، ونهبوا المدينة ، وقتلوا الأهالى ، وسبوا النساء [٢] ثم تمكن الأمير عبد الرحمن الأوسط من استرداد المدينة بعد أن أوقعت جيوشه بالنورمانديين الهزيمة بالقرب من طلياطة فى ٢٥ من صفر سنة ٢٣٠ هـ ، وأحرق المسلمون نحو ثلاثين سفينة من سفنهم [٣] ، وعندئذ كتب عبد الملك بن حبيب إلى الأمير عبد الرحمن فى بنيان سور إشبيلية وتحصينها ، ووافق ذلك اشتغال الأمير ببنيان الزيادة المنسوبة إليه بجامع قرطبة (وذلك فى سنة ٢٣٤ هـ — ٨٤٨ م [٤]) ، فأشار عليه عبد الملك فى رسالته بأن « بنيان سور مدينة إشبيلية

---

(١) ابن سعيد المغربى ، المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، ج ١ ، القاهرة ١٩٥٣ ص ٤٩

(٢) ابن القوطية القرطبي ، تاريخ افتتاح الأندلس ، نشره دون خليان ريبيرا ، مدريد ١٩٢٦ ص ٩٦ — ابن عذارى المراكشى ، طبعة بيروت ١٩٥٠ ، ج ٢ ص ١٢٠

(٣) ابن عذارى ، ج ٢ ص ١٣١

(٤) يخطىء ابن القوطية فى تحديد سنة ٢٣٠ تاريخاً لبناء سور إشبيلية والجامع (نص ابن حيان الذى نشره الأستاذ ليفى بروفنسال فى مجلة Arabica المجلد الأول لعام ١٩٥٤ ص ٨٩ — ٩٢ ، وأورده الدكتور عبد الرحمن الحجى فى ملحق كتاب المقتبس الذى نشره ببيروت ١٩٦٥ ص ٢٤٤) والحقيقة أن الزيادة الثانية التى أجراها عبد الرحمن الأوسط بجامع قرطبة تمت وفقا لما ذكره الرازى ومعاوية بن هشام القرشى فى سنة ٢٣٤ هـ (راجع النصوص المذكورة فى : ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الدكتور الحجى ، ص ٢٤٤ وما يليها ، وراجع أيضاً مقالى : أضواء على مشكلة تأريخ بنيان المسجد الجامع بقرطبة ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد لعام ١٩٧٠ المجلد ١٥، ص ٧٥ — ٧٧).

أوكد عليه من بنيان الزيادة فى المسجد الجـامع »[١] ، فعمل الأمير برأيه فى بنيان سور إشبيلية فى نفس الوقت الذى تـابع أعمال البناء فى زيادته بجامع قرطبة ، وعهد ببنـاء السور إلى عبد الله بن سنان أحد موالى بنى أميـة السوريين ، فبناه بالحجر أحكم بناء[٢] ، ونقش اسمه على أبواب إشبيلية[٣] .

وينبغى أن نشير بهذه المناسبة إلى أن الأستاذ دون خليان ريبيرا قد تجاوز فى ترجمتـه نص ابن القوطيـة المتعلق بسور إشبيليـة ، فقد ذكر أن أسوار إشبيلية « بنيت وذلك بتوسيع نطاق المدينة[٤] » ، والحقيقـة أن عبارة توسيع النطاق العمرانى للمدينة لم ترد أصـلا فى النص العربى لا من قريب ولا من بعيد . وقد اعتمد الاستـــاذ كارياثو Carriazo على هذه الترجمـة وزاد عليهـا بقوله :

« إن السور أصبح يضم نطاقـاً أكثر اتساعـاً مما كانت تضمـه الأسوار القديـمة[٥] » ، كما اعتمد عليها الأستاذ خوسى جيريرو لوبيّو Don José Guerrero Lovillo عند ما أشار إلى أن عبـد الرحمن الأوسط « بنى بعـد غزوة النورمانديين نطاقاً جديداً من الاسوار تضم مسطحاً أكثر اتساعاً[٦] » ، وفعل الأستـاذ خوليو جنثالث نفس الشيء[٧] . ومع أن الاخذ بهذا القول

---

(١) Lévi-Provençal, *Documents et Notules: les citations du Muqtabis d'Ibn Hayyan, dans la revue Arabica*, t. I, fasc. I, Janvier 1945, p. 90.

ابن حيان ، المقتبس فى أخبـار بلد الأندلس ، تحقيق الدكتور الحجى ، الملحق ، ص ٢٤٤ — ابن القوطية القرطبى ، ص ٦٥

(٢) البكرى ، المصدر السابق ، ٢ ص ١١٢ — الحميرى ، ص ٢٠

(٣) ابن القوطية ، ص ٦٥

(٤) راجع الترجمة فى كتاب تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٥٢

(٥) De Carriazo, *op. cit.*, p. 22

(٦) Guerrero Lovillo (J.); *La puerta de Córdoba en la cerca de Sevilla*, al-Andalus, 1953, p. 178.

(٧) Julio González, *op. cit.*, t. I, p. 466.

ونسبته إلى ابن القوطية يعد تجاوزاً عن النص الذى أورده ، فإننا لا نشك فى أن النطاق العمرانى لإشبيلية قد اتسع داخل السور الجديد عما كان عليه بالنسبة للسور الرومانى القديم ، بمعنى أن الأسوار الجديدة أصبحت تحيط بمراكز عمرانية جديدة لم تكن داخلة فى النطاق القديم .

وكان هذا السور الإسلامى الأول — وقد ضاعت آثاره هو الآخر كما ضاعت آثار السور الرومانى — مبنياً من الحجر [١] ، وأعتقد أن نظام البناء فيه كان يماثل نظام البناء فى سور قصبة ماردة التى يرجع تاريخ بنائها إلى سنة ٨٣٥ م وأنه كان يماثل أيضاً نظام البناء فى صومعة مسجد القاضى عمر بن عدبس بإشبيلية التى بنيت فى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط ، ونشاهد هذا النظام فيما تبقى من الصومعة فى القسم الأدنى من برج سان سلفادور بإشبيلية [٢] . والظاهر أن هذا السور الإسلامى الأول بإشبيلية كان مزوداً من أدناه بزلاليق أو بشطفات مائلة إلى الخارج على النحو الذى نشاهده فى أسوار قصبة ماردة [٣] . ونعتقد أن هذا السور لم يكن مزودا بحزام برانى أو بسور أمامى «Barbacana» بخلاف ما يذهب إليه الأستاذ كارياثو استناداً إلى أن قصر الإمارة كان مزوداً بفصلان (جمع فصيل) حسب ما أورده ابن حيان [٤] . غير أننا نستنتج من وصف ابن حيان لحركة المولدين فى إشبيلية — زمن الأمير عبد الله ومهاجمتهم القصر ، وما تبع ذلك من أحداث — أن الفصيل فى القصر لا يعدو ممراً مسقوفاً

---

(١) ابن القوطية ص ٦٢ — ابن حيان ، قطعة من المقتبس نشرها الدكتور الحجى ، ص ٢٤٤ — ابن سعيد المغربى ، ج ١ ص ٤٩ — البكرى ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ١١٢ — الحميرى ، ص ٢١

(٢) Guerrero Lovillo, *op. cit.*, p. 178.

(٣) Carriazo, *op. cit.*, p. 22.

(٤) ابن حيان ، المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس ، تحقيق ملشور أنطونية ، باريس ١٩٣٧ ص ٧٤ .

Dozy, *Histoire des Musulmans d'Espagne*, ed. Lévi-Provençal, Leyde, 1932, t. II, p. 49.—Carriazo, *op. cit.*, p. 22.

أو مقبى يفصل بين مجلس وآخر من مجالس القصر . فأمية بن عبد الغافر ضبط باب الفصيل الذى يؤدى إلى مجلس الأمير محمد بن عبد الله ، وأمر غلمانه بالصعود إلى سقف الفصيل (١) ، وهذا القول يؤكد أن الفصيل فى القصر لا يعنى سوراً أمامياً كما يزعم الأستاذ كاريانو . أما فى أسوار المدينة فالفصيل هو الدرب الواقع بين السور الأمامى والسور الرئيسى ، أو بمعنى ممشى السور فى تفسير ابن رسته (٢) ، وإن كان هناك من يفسره بمعنى السور الأمامي (٣) .

ونعتقد أيضاً أن هذا السور كان مبنياً من أحجار السور الرومانى القديم على غرار أسوار قصبة ماردة ، وقنطرة قرطبة التى رممت بأحجار سورها الرومانى فى ولاية السمح بن مالك الخولانى . كذلك نعتقد أن هذا السور الإشبيلي الجديد كان يحيط بكثير من المبانى الهامة بإشبيلية التى نذكر منها على سبيل المثال : المسجد الجامع المعروف بابن عدبس (٤) ، والقصبة التى حوصر فيها والى إشبيلية أثناء الهجوم النورمندى (٥) ، والتى لم تكن تبعد فيما يبدو كثيراً عن المسجد ، وكلاهما كان يقع قريباً من القطاع القبلى من السور وفقاً لرواية ابن حيان للأحداث التى جرت فى تلك الفترة (٦) ، وقصر الامارة الذى كان يقيم فيه محمد ابن الأمير عبد الله ، ودار الصناعة التى أنشأها عبد الرحمن الأوسط بإشبيلية بعد غلبة النورمانديين عليها (٧) ربما فى نفس الموضع

---

(١) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٦٧ — ٨٥ ، تاريخ المسلمين فى الأندلس ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣

(٢) ابن رسته ، الأعلاق النفيسة ، ص ١٢١

(٣) الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، راجع قائمة الاصطلاحات

Van Berchem. - *Glossaire* *Voyage en Syrie*, t. I, Le Caire. 1914; pp. 36, 210.

(٤) بناه القاضى عمر بن عدبس فى سنة ٢١٤ هـ (٨٢٩ م) ، وأحرق النورمنديون أسقفه الخشبية فرمم فى سنة ٢٣٤ هـ (٨٤٨ م) بأمر الأمير عقب جلاء النورمنديين عن اشبيلية (المقرى ٢ جـ ١ ص ٣٢٤) .

(٥) ابن القوطية ، ص ٦٤

(٦) ابن حيان ، ص ٢٧٥ — ٢٧٧

(٧) ابن القوطية ، ص ٦٧

الذى أقام فيه الموحدون زمن أبى يعقوب يوسف دار صناعة للقطائع الموحدية « تتصل من سور القصبة الذى على الوادى بباب القطائع إلى الرجل السفلى المتصلة بباب الكحل[(١)] » .

وظل أول سور إسلامى فى إشبيلية صلباً قوياً حتى تهدمت أجزاء منه فى عصر الأمير عبد الله ولما يمض نحو ٣٥ سنة على إنشائه ، إما بسبب أحداث الفتنة الأولى ، أو بسبب السيل الذى كثيراً ما دمر القطاع القبلى من سور إشبيلية أو بسبب التوسع العمرانى فى إشبيلية ؛ فابتنى موالى إشبيلية سوراً جديداً بعد أن أخرجوا منها عرب اليمنية والحضارمة — ونعنى بهم بنى خلدون وبنى حجاج — فيما يقرب من سنة ٢٧٥ هـ إلى بواديهم ، وانفردوا بها[(٢)] . والظاهر أن البناء اقتصر على ترميم ما تهدم من الجانب القبلى للسور المحاذى للوادي . فلما قتل محمد بن غالب المولد صاحب حصن شيت طريش Siete Torres — وكان ممالئا لطائفة المولدين — بموافقة جعد بن عبد الغافر الخالدى شقيق أمية والى إشبيلية ؛ غضب المولدون ، وأقبلوا على محمد بن الأمير عبد الله ، وشكوا إليه ما خامر نفوسهم من الشك ، وطلبوا منه أن يسلم لهم مفاتيح أبواب المدينة حتى يشعروا بالأمان ، فأجابهم إلى طلبهم[(٣)] . ثم وصلتهم إمدادات من حلفائهم العرب المضرية والبربر ، فقويت عزائمهم ، فثاروا على أمية بن عبد الغافر ، وأحاطوا بقصر الإمارة فى ١١ جمادى الآخرة سنة ٢٧٦ ، وكان فى إمكانهم أن يملوا إرادتهم على أمية وعلى محمد ابن الأمير عبد الله لو لم يتسلل خيالة جعد بن عبد الغافر إلى إشبيلية من باب قرمونة الذى فتحه لهم اليهود ، ويقضى على فتنة المولدين[(٤)] .

---

(١) ابن صاحب الصلاة ، مدونة فى تاريخ الموحدين ، نشرها الأب ملشور أنطونية بعنوان : *Sevilla y sus monumentos árabes*, El Escorial, 1930, p. 138.

(٢) العذرى ، ١٠٢ ، ١٠٥

(٣) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٧٦ — ٨٥

(٤) العذرى ، ص ١٠٢

ويشير ابن القوطية إلى أن إشبيلية كانت فى ظل بنى حجاج حصينة ممتنعة [١] ، ويؤيد ذلك ابن حيان عند روايته للأحداث التى جرت فى إشبيلية بعد قيام بنى خلدون وبنى حجاج بقتل أمية بن عبد الغافر والى إشبيلية غدراً ، وجنوحهم إلى الاستقلال بإشبيلية ، فيذكر أن أهل إشبيلية تحصنوا داخل أسوار مدينتهم [٢] عندما قدمت جيوش الأمير عبد الله ، والأمير المطرف فى سنة ٢٨٢ هـ (٨٩٥ م) ؛ فقد أغلق كريب بن خلدون أحد مشعلى الفتنة فى فى إشبيلية أبواب هذه المدينة فى وجه جيش الأمير ، وأعد أسوارها للدفاع [٣] ، ولم يمض على هذا الحدث بضع سنوات حتى استقل ابراهيم بن حجاج بملك إشبيلية (٢٨٦ — ٢٩٨ هـ) ، واستمرت إشبيلية إمارة مستقلة عن السلطة المركزية فى عهد ابنه عبد الرحمن حتى وفاته فى سنة ٣٠١ هـ وقيام أحمد بن محمد بن مسلمة بالثورة على الأمير . وعندئذ سيّر الأمير عبد الرحمن بن محمد إلى إشبيلية جيشاً بقيادة محمد بن ابراهيم بن حجاج صاحب قرمونة الذى اصطنعه الأمير ، وقاسم بن وليد ، أحكم عليها الحصار . ويظهر أن جانباً من سور إشبيلية تهدم أثناء الحصار لأن ابن حجاج حاول أن يتسلل منه إلى داخل المدينة [٤] ، وانتهى الأمر بدخول جيش الأمير إشبيلية صلحاً بعد أن اتفق القائد محمد بن ابراهيم بن حجاج مع ابن عمه أحمد بن محمد بن مسلمة بن حجاج الثائر بإشبيلية على مصالحة الأمير . وبعد أن دخل الجيش إشبيلية بأمد قصير أمر عبد الرحمن بن محمد سعيد بن المنذر المعروف بابن السليم واليه على إشبيلية بهدم أسوارها حتى يضمن خضوع المدينة له ، ويتجنب بذلك محاولات الثوار مستقبلا

(١) ابن القوطية ، ص ١٠٤

(٢) ابن حيان ، ص ١١٢ ، ١١٣

(٣) ابن عذارى ، ج ٢ ص ١٢٢ —
Dozy, *Histoire des Musulmans d'Esp.*, t. II, pp. 81, 82.

(٤) المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٢٩ ، ١٣٠

الانتزاء داخلهـا ضد السلطـة المركزية ، فهدمه ابن السليم فى سنة ٣٠١ هـ ، وألحق أعاليه بأسافله[١] . ومع ذلك فقد أمر ببناء القصر القديم بإشبيلية ، وهو القصر المعروف بدار الإدارة ، كما أمر بتحصينه بسور من الصخر الرفيع (أى الحجر المصقول) وأبراج منيعة[٢] ظل قائماً حتى أيام البكرى (ت ٤٨٧ هـ)[٣] .

السور الاسلامى الثانى

وفى زمن الفتنة الثـانية التى واكبت السنين الأخيرة من الخلافة الأموية أحيطت إشبيليـة من جديد بسور مبنى هذه المرة من التراب[٤] أو الطابية ، حتى يتم بناؤه سريعاً فيرد عن المدينة الأخطار التى ترتبت على زوال الخلافة . وكان يدور بجميع حومات إشبيلية وأرباضها . والظاهر أن بناء السور المذكور تم فى نفس الوقت الذى أسند فيه أهل إشبيلية أمورهم إلى القاضى أبى القاسم محمد بن عباد ، كبير الطائفة الأندلسية ورائدها ، حماية لإشبيلية من العواصف السياسية والأخطـار الماثلة التى تهددهـا فى هذه المرحلة التـاريخية الحرجة من تاريخ الأندلس من جانب الطائفة البربرية ، التى سيطر رؤساؤها على مناطق هامة من الأندلس الجنوبية[٥] وقد أدى سور إشبيلية الجديد خدمات هامـة للمدينة ، وحماها فى أزمتين خطيرتين : الأولى عندمـا هزم أهل قرطبة القاسم

---

(١) البكرى ، ص ١١٤ — الحميرى ، ص ٢٠

Lévi-Provençal, *Histoire de l'Esp. Mus.*, t. III, p. 336.—Torres Balbás, *Nuevas perspectivas sobre el arte de al-Andalus bajo el dominio almorávide, al-Andalus,* vol. XVIII, 1952, p. 413.

(٢) البكرى ، ص ١١٤ — الحميرى ، ص ٢١

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر ، ص ١١٤ — الحميرى ، ص ٢١

(٥) فيما يتعلق بطبيعـة الصراع بين العصبيتين الأندلسية والبربرية راجع : السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، ج ١ ، بيروت ١٩٧١ ، ص ١٢٥ — ١٣١

ابن حمود وبرابرته فى مرج قرطبة [١]، وأرغموه على الرحيل منها فى ١٢ من شعبان سنة ٤١٤ هـ. إلى إشبيلية حيث كان قد ترك ولديه محمد والحسن فى ظل مدبر أمره محمد بن زيري بن دوناس والقاضى محمد بن اسماعيل بن عباد، وأراد القاسم دخول إشبيلية وكتب إلى أهلها فى إخلاء ألف دار ليسكنها البربر [٢]، وعظم على أهل إشبيلية ذلك، وعز عليهم وعلى قاضيهم ابن عباد أن يتملك خصومهم — البربر — مدينتهم، فعمد إلى الحيلة لإنقاذ إشبيلية من سيطرة البربر، فأطمع ابن زيري فى تملك إشبيلية [٣]، ولم يتردد ابن زيري فى الوقوف أمام القاسم طمعاً فى الظفر بالامارة، فأغلق أبواب إشبيلية [٤] فى وجه القاسم ورجاله، وحاربه، فاضطر القاسم فى النهاية إلى قبول الأمر الواقع، وطالب أهل إشبيلية برد ولديه وأصحابه، فأخرجوهم إليه، فرحل بمن معه إلى قرمونة، ومنها إلى شريش بعد أن يئس من التغلب على إشبيلية. وما إن تخلص أهل إشبيلية من القاسم بن حمود وولديه، حتى طردوا ابن زيري [٥]، وقدموا على أنفسهم ثلاثاً من شيوخهم وكبرائهم لضبط مدينتهم وحمايتها من عيث البربر — على نحو ما فعل أهل قرطبة عندما أسندوا أمور الحضرة إلى مجلس الجماعة [٦] — هم: القاضى أبو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد اللخمى، ومحمد بن يريم الألهانى [٧]، ومحمد بن محمد بن الحسن الزبيدى [٨] وتم ذلك

(١) ابن بسام، الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، القسم الأول، المجلد الثانى، القاهرة ١٩٤٢، ص ١٧

(٢) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، طبعة دار صادر، بيروت ج ٩ ص ٢٧٥ — ابن الخطيب، كتاب أعمال الأعلام، طبعت بيروت ١٩٥٦ ص ١٥٣

(٣) المقرى نفح الطيب، ج ٢ ص ٣٢

(٤) ابن بسام، القسم الأول من المجلد الثانى ص ١٧

(٥) ابن خلدون، كتاب العبر، طبعة بولاق، ١٢٨٤ هـ، ج ٤ ص ١٥٦

(٦) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٤٦ — عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ١ ص ١٠٨

(٧) يسميه ابن خلدون محمد بن برمخ الإلهانى (ج ٤ ص ١٥٦)

(٨) العذرى، ص ١٠٦ — ابن الأثير ج ٩ ص ٢٧٥

فى النصف من شعبان سنة ٤١٤ هـ ثم انفرد القاضى ابن عباد بالتدبير وحماية المدينة بعد أن سعى فى صاحبيه وتجنى عليهما إلى أن خرجا حاجين (١).

أما الأزمة الثانية فقد حدثت فى سنة ٤٢٧ هـ عندما هاجم حبوس وزهير إقليم إشبيلية ، وأحرقت قواتهما طريانة — وهى الربض القبلى من إشبيلية ، الواقعة على الضفة اليسرى من النهر — وهاجمت سور إشبيلية (٢) ، فصمدت أسوار إشبيلية لهذا الهجوم .

وكان لسور إشبيلية الثاني من الأبواب : باب أبى القليص فى الغرب ، وكان الناس يخرجون منه إلى الشرق ، وباب حميدة فى الغرب أيضاً ، بإزاء المقبرة ، وباب قرمونة فى القطاع الشرقى من السور (٣) . ونضيف إلى هذه الأبواب باباً كان يعرف بباب الفرج تهدم عند هجوم قوات المرابطين على إشبيلية .

واستمر سور إشبيلية التراب قائماً طوال عصر بنى عباد ، إلى أن حوط المعتمد فى سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) قصره المبارك الذى كان قد ابتناه خارج السور على ضفاف الوادى الكبير ، وأوصله بسور المدينة ، وذلك عندما تأزمت العلاقات بينه وبين يوسف بن تاشفين (٤) . ونستنتج من وصف المؤرخين للقتال الذى دار بين قوات المرابطين أن هذه الأسوار كانت ذات ارتفاع متوسط (٥) ، فعندما أحدق الخطر بإشبيلية من كل جانب ترامى أهل إشبيلية من فوق شرفات الأسوار (٦) وعبروا الوادي سباحة (٧) . ونستدل أيضاً من

---

(١) العذرى ، ص ١٠٦
(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٣ ، نشر ليفى بروفنسال ، باريس ١٩٣٠ ص ١٨٥
(٣) البكرى ، ص ١١٤
(٤) الحلل الموشية ، طبعة تونس ، ١٣٢٩ هـ ص ٥٢
(٥) المراكشى ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص ١٤١ — ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ١٦٣ — المقرى ، نفح الطيب ، ج ٥ ص ٣٧٩
(٦) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ١٦٣
(٧) المراكشى ، ص ١٤١ (طبعة ١٩٦٣) .

الأحداث التى أعقبت قيام سير بن أبى بكر المرابطى بحصار إشبيلية ، على أن بنيـان سور إشبيلية (التراب) كان من الضعف بحيث لم يتحمل باب الفرج هجوم المرابطين عليه فتهدم ، واضطر المعتمد بن عباد إلى إعادة بنيانه سريعاً[١] .

السور الاسلامى الثالث

حان الوقت لكى نعالج أهم نقط البحث ، وهى مشكلة تأريخ السور الذى بقيت منه أجزاء هامة حتى اليوم ونعنى به السور المرابطى الذى تجدد بنيـانه وأضيف إليه فى زمن الموحدين .

عندما استولى المرابطون على إشبيلية قنعوا بادىء ذى بدء بالأسوار القائمة ، ولكن المدينة أخذت تنمو بلا انقطـاع ويتسع العمران فيها حتى امتد خارج الأسوار[٢] ، ولم تعد الأسوار قادرة على الإحاطة بجميع المراكز العمرانية فيها ، فأحس أولو الأمر فى إشبيلية بأن هذه الأسوار لما هى عليه من ضعف ـ بحكم أنها اتخذت من التراب فى زمن الفتنة ـ ولما هى عليه من قصور ـ باعتبار أنها لم تعد تفى بحاجة المدينة الدفاعية فى عصر اشتد فيه الصراع بين دول المسيحية فى إسبانيا ودولة الإسلام فى الأندلس ، بالإضافة إلى أن الجانب القبلى من السور المحاذى لانحناءة الوادى كان محتاجاً إلى ترميم بعد سيل عات دمر جانباً منه ـ أحسوا بأن هذه الأسوار لم تعد صالحة وأن الأمر يقتضى إنشاء سور جديد قوى ؛ ليصمد أمام تحديات قشتالة وغيرها من دول النصرانية فى إسبانيا ، وأمام مدود السيل التى تعرضه دائماً للتلف والدمار ، على أن يكون واسع النطاق ؛ ليدور بالمناطق

---

(١) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، القاهرة ١٣٢٠ هـ ، ص ٢٢ — المقرى ، ج ٦ ص ١٣

(٢) على الاخص من جهتى باب القطائع فى الجنوب الشرقى وباب قرطبة فى الشمال الغربى وهى أكثر المناطق ازدحاما بالسكان .

العمرانية التى تجاوزت نطاق السور القديم . وأعتقد أنه كان لغلبة الطابع الحربى فى كيان الدولة المرابطية وبروز الهدف العسكرى فى وجودها بالأندلس ، والمعارك الطاحنة التى خاضتها قوات المرابطين فى أرض الأندلس ضد الممالك المسيحية الإسبانية ـ كالزلاقة سنة ٤٧٩ هـ وأقليش سنة ٥٠١ هـ وأفراغة سنة ٥٢٨ هـ ـ أثر عميق فى اهتمامهم بإقامة منشآت ذات طابع حربي فى الأندلس تدعيماً للدفاع عن الكيان الإسلامى . وكان فتح مدينة مسورة يستغرق زمناً طويلا ، ويتطلب العديد من الآلات الحربية والتزود بالميرة والعدد والأقوات ، ويستلزم جهداً وجلداً ، فى حين أن اكتساح البسائط ، وإضرام النيران فى المزارع والفحوص التى تحيط بالمدن كان أمراً من السهل تحقيقه ، ولا يكلف الغازين من الجهد والوقت والعتاد ما يتكلفه حصار المدن . وعلى هذا النحو كانت غزوة الفونسو الأول المعروف بالمحارب ملك أراغون فى سنة ٥١٩ هـ (١١٢٥ م) التى اخترق فيها بلاد الأندلس مخربا كل ما قابله من قرى ومزارع من سرقسطة حتى مشارف غرناطة وسواحل البحر المتوسط مروراً ببلنسية وجزيرة شقر ودانية وشاطبة ومرسية وبرشانة وبسطة ووادى آش وبيانة واستجة(١) . وكان لهذه الغزوة الجريئة فى أراضى الإسلام رد فعل عميق عند حكام الأندلس من قبل المرابطين ، فقد أدركوا أهمية الأسوار التى ردت كيد الفونسو المحارب ، ودفعت عن مدنها الكوارث والأهوال ، كما أدركوا أن ترك مدينة كبرى مثل إشبيلية مفتوحة أمام غارات الأرغونيين والقشتاليين مغامرة خطيرة قد تنتهى بكارثة ، ورأوا أن من الحكمة إحاطتها بأسوار قوية تحيط بأحيائها جميعاً وتحمى عمرانها من معاول الهدم والتدمير . ولهذا السبب

---

(١) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٦٣١ — وثائق تاريخية جديدة من عصر المرابطين ، تحقيق الدكتور محمود على مكى ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلدات السابع والثامن ، مدريد ١٩٥٩ ، ١٩٦٠ ، ص ١٧ — ابن الخطيب ، الاحاطة فى أخبار غرناطة ، تحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٥٥ ص ١١٤ — ١٢٠ ، الحلل الموشية ، ص ٦٦ — ٦٩

اتجهت أنظار رؤساء الأندلس فى عهد المرابطين — بعد غارة الفونسو المحارب — إلى التفكير الجدى فى تحصين مدن الأندلس الرئيسية سواء ببناء أسوار جديدة أو بترميم ما كان قائماً بها من أسوار قديمة ، وأضطر هؤلاء الرؤساء الممثلون لحكومة المرابطين إلى فرض ضريبة على أهل المرية وغيرها من مدن الأندلس تعرف بالتعثيب أو التعطيب (١) على الفنادق ، يخصص دخلها لهذا الغرض (٢) بسبب فراغ خزينة المرابطين واشتهار أهل الأندلس بأمر الدفاع عن مدنهم (٣) .

وكان جانب من أسوار إشبيلية — نعتقد أنه المواجه للنهر — قد أصيب بأضرار كبيرة ـ إما نتيجة لما طرأ على المدينة من توسع عمرانى فى زمن المرابطين أو بسبب سيل عنيف ـ فاستلزم الأمر ترميمه أو إعادة بنيانه . وقد واجه والى إشبيلية هذه المشكلة فى الوقت الذى لم يكن بخزانته وقتئذ مال متوفر ، ففرض أبو بكر بن عربى قاضى إشبيلية (ت ٥٤٣) على الناس جلود ضحاياهم يوم عيد الأضحى ، فأحضروها كارهين ، إلا أن العامة لم يلبثوا أن ثاروا عليه ونهبوا داره (٤) . والظاهر أن هذا الإجراء الذى قام به قاضى إشبيلية حدث فى نفس الوقت الذى فرضت فيه ضريبة التعطيب على فنادق ألمرية . ثم حدث بعد ذلك بقليل أن وجه الفونسو السابع ملك قشتالة حملة

---

(١) الإدريسى ، نزهة المشتاق ، طبعة لندن ١٨٦٦ ص ٢٠٠ — الحميرى ، ص ٢٢٣ من الترجمة الفرنسية هامش رقم ١ ، وراجع أيضاً :

Torres Balbás, *el arte de al-Andalus bajo los Almorávides*, al-Andalus, t. XIII, 1952, p. 413.— Torres Balbás, *Almería islámica*, al-Andalus, vol., t. XXII, 1957, p. 444.

عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، بيروت ١٩٦٩ ص ٩٠

(٢) الحميرى ، ص ٢٢٣ من الترجمة الفرنسية .

(٣) عندما طالب يوسف بن تاشفين أهل ألمرية بمعونة مالية كتب إليه قاضيها أبو عبد الله بن الفراء كتاباً يرفض فيه أن يعده بالمال وطلب منه أن يدخل الجامع بمراكش فيقسم أمام الملأ بأنه ليس عنده درهم ولا فى بيت مال المسلمين اقتداء بما فعله رسول الله (ص) والخليفة الراشد عمر بن الخطاب ، ثم وعده إذا فعل ذلك أن ينظر فى معاونته (المقرى ، ج ٤ ص ٣٥٧) .

(٤) المقرى ، ج ٢ ص ٢٣٤

على إشبيلية فى سنة ٥٢٦ ﻫ (١١٣٢ م) وصلت إلى أبواب المدينة [١]، ولكنها ارتدت عنها . وازداد القاضى المذكور اقتناعاً بعد هذه التجربة المريرة بضرورة ترميم السور ، واضطر أمام الشعور العام باللامبالاة الذى ساد أهالى المدينة ، وخلو خزانة الوالى المرابطى من المال ، وشعوره هو بالغيرة على وطنه ودينه ، إلى أن يبادر ببنيان السور من ماله الخاص ، فتولى بناءه بالحجارة والآجر بالنورة (أى الكلس) [٢] . وإلى جانب هذه الرواية الهامة التى أوردها المقرى ، والتى هنأنى عليها المأسوف عليه العالم الأثرى الأستاذ ليوبولدو توريس بلباس [٣] ؛ نضيف رواية نقلها المأسوف عليه الأستاذ ليفى بروفنسال من مخطوط لكتاب البيان المغرب لابن عذاري ورد فيها أن الأمير على بن يوسف المرابطى أمر ببناء أسوار إشبيلية والشرقية بقرطبة وجانب من أسوار غرناطة [٤] .

وبمقتضى هذه النصوص لم يعد للرأى القديم الذى ينسب إلى الموحدين بناء هذه الأسوار أى اعتبار ، والواقع أن ما أقامه الموحدون لا يعدو بنيان سور إشبيلية من جهة الوادى بعد أن هدمه السيل فى سنة ٥٦٤ ﻫ (١١٦٨ م)

---

(١) Codera, *Decadencia y desaparición de los Almorávides*, p. 27.—Julio González, *el Repartimiento de Sevilla*, t. I, p. 150.

(٢) المقرى ، ج٢ ص ٢٣٤

(٣) وذلك فى رسالة مؤرخة فى ٢٣ يونيو سنة ١٩٥٤ ، كتبها إلى يعبر فيها عن تقديره لأهمية هذا النص وما يترتب عليه من نتائج تساعد على تأريخ سور إشبيلية الحالى وأسوار مدينة لبلة . وقد جاء فى هذه الرسالة العبارة الآتية :

(Los nuevos datos encontrados por Vd. en *Maqqarī*, respecto a la construcción de la cerca de Sevilla en época almorávide, me han interesado mucho. Confirman que la muralla de Niebla es del mismo tiempo).

(٤) راجع : Torres Balbás, *Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islámicos en Madrid*, vol. II, p. 90.—Torres Balbás, *el arte almorávide*, p. 413.

هذا وقد أطلعنى أستاذى المرحوم الأستاذ ليفى بروفنسال (قبيل وفاته سنة ١٩٥٤) على النص العربى ، وأكد يومئذ أنه ينوى نشره فى المجلد الرابع من تاريخ المسلمين فى الأندلس ، ولكن الموت لم يمهله ليصدر هذا المجلد .

فبنى بالجص والجيار فى أيام الخليفة أبى يعقوب يوسف ، وبنيان الحزام البرانى فى عهد الخليفة أبى العلاء إدريس ؛ ورفع بقية أسوار إشبيلية إلى نفس مستوى ارتفاع سور الوادى ؛ وبنيـان البرج البرانى المعروف ببرج الذهب مع قورجته المتصلة بالسور الرئيسى . ويعني هذا أن أسوار إشبيلية جميعها باستثناء قطاع الوادى والأعمال المتأخرة التى ترجع إلى عهد أبى العلاء إدريس كبرج الذهب والحزام البرانى تنسب جميـاً إلى عصر المرابطين . وهذا يتعارض بطبيعة الحال مع الإجماع الذى نطالعه فى بحوث الأثريين المحدثين على أن هذه الأسوار بمـا فيها الأسوار والأبراج الباقية إنما ترجع إلى عصر الموحدين (١) .

ولا مجال للشك لدينـا فى أن أسوار إشبيلية أقيمت فى عصر المرابطين ؛ فبالإضافة إلى النصوص التى أشرنا إليها ، لدينا ما يؤكد النسب المرابطى :

فالإدريسى يؤكد وقت كتابته لمصنفه المشهور نزهة المشتـاق (قبل سنة ١١٥٤ م) أن أسوار إشبيلية قوية صلبة ، ومعنى هذا أن سور إشبيلية كان قائماً وقت كتابته مما يقطع بصحة رواية المقرى . ومن المعروف أن أبا يعقوب يوسف الموحدى لم ينشىء من أسوار إشبيليـة سوى القطاع المقـابل للوادى ؛ فابن صاحب الصلاة يشير إلى ذلك بقـوله : « وهو الذى مصر إشبيلية وأمر ببناء سورها من جهة الوادى من ماله بعد هدم السيل العظيم له ، الخارج على جنباتهـا وجهاتها فى عام أربعة وستين وخمس مائة ، وبناه بالحصى والجيار من

(١) من بين الأبحاث المذكورة :

1.—Torres Balbás: *Torre del Oro. Alcazaba de Badajoz, dos obras almohades.*—Gibraltar, *Ars Hispaniae,* t. IV, *Notas sobre Sevilla, Arquitectos andaluces.*

2.—Gómez Moreno: *el arte del Islam* (Colección Labor).

3.—Terrasse: *l'art Hispano mauresque.*

4.—Calzada: *Historia de la arquitectura española.*

5.—Carriazo.

6.—Collantes de Terán y Julio González.

الأرض إلى أن علاه على حاله الآن على يدى أمنـائه الأخيار »[١] . وفيما يتعلق بالأبواب يضيف قائلا : « وابتنى الزلالق لأبواب إشبيلية من جهة الوادى احتياطاً من السيل الخارج عليها ، وابتنى قصبتها الداخلية والبرانية خارج باب الكحـل »[٢] . ويكرر كل من ابن عذاري[٣] وابن أبى زرع[٤] هذه الرواية ، ويضيف هذا الأخير أن أبا يعقوب ابتنى القنطرة إلى طريانة وسور باب جهور والأرصفة على الوادى .

ومنذ أن انهزم المسلمون فى عهد محمد النـاصر فى وقعة العقاب المعروفة بلاس نافاس دى تولوسا فى سنة ٦٠٩ هـ (١٢١٢ م) واشتد خطر الاسترداد الإسبانى فى أعقابهـا ؛ عمد أبو العـلاء إدريس بن المنصور[٥] إلى تحصين إشبيلية أمام الخطر المحدق بها . وكان سور إشبيلية قد تعرض لسيل جارف فى عام ٥٧٤ هـ ، كما تعرض فى سنـة ٥٩٧ هـ (١٢٠٠ م) لسيـل مـدمر يسميه الحميرى بالسيل العظيم الجارف المربى على كل سيل[٦] سبب له أضراراً فادحة ، واستلزم الأمر ترميمه ، واضطر أبو العلاء إلى إحكام التحصينات حول إشبيلية أمام الأخطار الماثلة ، وبدأ هذه الأعمال فى سنة ٦١٨ هـ (١٢٢٠ م) بإنشاء برج برانى هائل فى أضعف نقاط الدفاع فى إشبيلية ، هو البرج المعروف ببرج الذهب الذى ما يزال قائمـاً حتى اليوم ، وربط هذا البرج بالستـارة الرئيسية المحيطة بالقصر عن طريق قورجة Coracha مؤمناً بذلك مدخل دار

---

(١) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، تحقيق الدكتور عبد الهادى التازى ، بيروت ١٩٦٤ ، ص ٢٣٤

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٣٥

(٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، الجزء الرابع نشره أويثى ميراندا ومحمد بن تاويت وابراهيم الكتانى ، الرباط ١٩٦٣

(٤) ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبـار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، نشره تورنبرج ، أبسال ، ١٨٤٣ ص ١٣٨

(٥) وذلك أيام كان والياً على اشبيلية من قبل أخيه العادل .

(٦) الحميرى ، ص ٢١

الصنعة للقطائع ، القائمة بالقرب من سور القصبة الذى يقع على الوادى بباب القطائع إلى الرجل السفلى المتصلة بباب الكحل [١] . وفى نفس الوقت كان هذا البرج يقطع مرور السفن فى الوادى عن طريق مأصر أو سلسلة مشدودة بينه وبين بناء ضخم من الطابية يقع على الضفة المقابلة للنهر [٢] . وفى سنة ٦٢٠ هـ (١٢٢١ م) جدد أبو العلاء إدريس بنيان أسوار إشبيلية ، وأقام أمامها الحزام البرانى ، وحفر حولها خندقاً يدور بهذه الأسوار مبالغة منه فى تحصين المدينة [٣] .

ويعتقد الأستاذ كارياثو أن أسوار إشبيلية التى وصل إلينا منها قسم هام يرجع تاريخ بنائها إلى سنة ١٢٢١ [٤] ، والظاهر أنه أخطأ فى فهم كلمة جدد التى تعنى « رمم » فظن أنها تعنى إعادة بناء . والنص العربى صريح ويفسر المعنى الذى عنيناه بوضوح ؛ فقد استخدم ابن أبى زرع اصطلاحين للتعبير عن أعمال أبى العلاء : الأول جدد بالنسبة للأسوار ، والثانى بنى بالنسبة للأسوار الأمامية . أما الاصطلاح الأول فلم يكن متبوعاً بلفظة بناء التى تعنى البنيان من جديد ، وإنما اقتصر على لفظة جدد وهذا يؤكد أن أعمال أبي العلاء بالنسبة للسور لم تتجاوز مجرد إصلاحات أو ترميات . وأما الاصطلاح الثانى « بنى » فالمقصود به إنشاء الحزام البرانى أو السور الأمامى بالفعل .

وهناك أدلة أخرى أثرية تؤكد بأن بنيان سور إشبيلية — الذى تبقى منه قسم هام فى الوقت الحاضر — يرجع انشاؤه إلى عصر المرابطين . وهذه الأدلة نلخصها فيما يلى :

---

(١) ابن صاحب الصلاة . ص ٤٨١

(٢) de Zúñiga (Diego Ortiz): *Anales Eclesiásticos y seculares*, Madrid. 1796, t. I, p. 38.—Torres Balbás, *el arte almorávide*, pp. 417-418.

(٣) ابن أبى زرع ، ص ١٨١ — ابن الخطيب ، الذخيرة السنيـة فى تاريخ الدولة المرينيـة ، تحقيق محمد بن أبى شنب ، الجزائر ١٩٢٠ ص ٥٨

(٤) Carriazo, *op. cit.*, p. 30

١ — لم تكن الأسوار التى تدور حول إشبيلية مزودة بأبراج برانية وأعنى بها أبراجاً تقع على مسافة من السور وترتبط به عن طريق قورجة ، كما هو الحال فى قصبة الموحدين ببطليوس (حيث تتصل بسورها ثلاث قورجات لا يقل طول الواحدة منها عن ٢٢ متراً ، تنتهى بأبراج برانية أشهرها البرج المعروف باسم اسبانتا بروس مثمن الأضلاع[(١)]) وسور قاصرش بأبراجه البرانية العديدة التى تتصل به عن طريق قورجات . وأهم هذه الأبراج البرج المعروف باسم الدور Redonda والبرج المشطوف وبرج بوخاكو Bujaco الذى يبدو لى أنه محرف من اسم خليفة الموحدين أبى يعقوب يوسف (٥٥٨ — ٥٨٠ هـ) مما يدل على أن هذا الخليفة هو الذى تولى تحصين قاصرش[(٢)] . ومنها سور استجة وسور قلعة جابر وسور منت ميور وسور مدينة شلب بالبرتغال[(٣)] .

هذا النظام الدفاعى الذى استحدثه الموحدون لتحسين نظامهم الدفاعى لا ينطبق على النظام الدفاعى فى إشبيلية ، باستثناء برج الذهب الذى يرجع تاريخ بنيانه إلى عصر الموحدين ، وبرج الراجل Arragel المعروف ببرج Almenilla ويقع فى أقصى الطرف الغربى من قطاع سور الوادى . وتؤكد النصوص التاريخية أن هذا السور وبرج الذهب من بناء الموحدين .

٢ — أن الباب الوحيد المتبقى اليوم يشتمل على مدخل منثن على شكل زاوية قائمة (كما هو الحال فى باب الشمس الذى طمست معالمه) ، وفقاً لتقليد مرابطى نشهده فى باب قلعة تاسغيموت الرئيسى ويعرف باسم باب الموحدين[(٤)] .

---

(١) السيد عبد العزيز سالم ، المساجد والقصور فى الأندلس ، سلسلة اقرأ ، عدد ١٩٠ ، القاهرة ١٩٥٨ — العمارة الحربية فى الأندلس ، دائرة معارف الشعب عدد ٦٤ ، ص ١٦١

(٢) السيد عبد العزيز سالم ، قاصرش ، دائرة معارف الشعب ، عدد ٦١ القاهرة ١٩٥٩ ص ٦٤ .

(٣) Robert Ricard, *Couraça et Coracha*, al-Andalus, 1954, pp. 149-172

(٤) Guerrero Lovillo, *La Puerta de Córdoba*, p. 280

٣ — تشبه أبواب إشبيلية من حيث نظامها التخطيطى أبواب سور لبلة التي ترجع إلى العصر المـرابطى ، ولا تشبه بوابات المغرب التى ترجع إلى عصر الموحدين .

٤ — يمكن أن نميز فى بنيان الأسوار الحالية المتصلة بباب مقارنة وسور معهد الوادى el Colegio del Valle مرحلتين بنائيتين واضحتى المعالم بأعلى هذه الأسوار ؛ إذ نشاهد بوضوح آثار دراوى قديمة وشرفات قائمة بينها قد سدت فى فترة لاحقة عندما ازداد ارتفاع السور . والظاهر أن الأسوار كانت فى الأصل أقل أرتفاعاً منها اليوم ، وعلى هذا الأساس يمكننا أن نستنتج أن الأسوار المرابطية الأولى رممت فى اعتقادنا فى عصر أبى العلاء الذى زاد من ارتفاعها بحيث ارتفعت كثيراً عن السور الأمامى الذى أتم بنيانه . ويشير نص ابن صاحب الصلاة إلى أن بنيان قطاع الوادى فى عهد أبى يعقوب إنما أجرى « من الأرض حتى الارتفاع الحاضر » ، ونفهم من هذا النص أن هذا القطاع من السور كان يعتبر أكثر قطاعات سور إشبيليه ارتفاعاً ، وقد يكون ذلك التفاوت فى ارتفاع الأسوار من جهة ثانية قد حمل أبا العلاء إدريس فيما بعد على زيادة ارتفاع بقيه الأسوار إلى نفس مستوى ارتفاع سور الوادى ، أو استهدف من ورائه تدعيما للنظام الدفاعى عن إشبيليه . وقد امتدح الفونسو العاشر هذه الأسوار بقوله : « إن اشبيليـه مدينة عظيمة قد أحيطت بأسوار أفضل من أسوار أى مدينة أخرى فى الداخل أو الخارج وأسوارها تمتاز بأنها عظيمة الارتفاع شديدة الصلابة والسمك ، قد زودت بأبراج مرتفعة ، جيدة البناء ، وموزعة توزيعاً حسناً على بدنات السور . وإشبيلية إذ هى رائعة التسوير تفوق أى مدينة أخرى بفضل أسوارها الأمامية [١] . وتمثل تصاوير كتاب أناشيد الفونسو العاشر التخطيط المتعرج للأسوار ، ولكن بدلا

(١) Crónica General de España, *Ed. Menéndez Pidal*, p. 768.

من تمثيل الأبراج فى الصور عند التقاء كل بدنتين من السور نحو الخارج ، نجدها قائمة عند التقائهما فى الداخل ، باستثناء الصورة رقم ١١٠ التى عبر فيها الفنان برسم لها عن وضعها الصحيح (١) .

* * *

ومن المعروف أن من مزايا سور إشبيلية الذى بنى فى زمن المرابطين والذى يبدو متكاملا فى خريطة إشبيلية المرسومة سنة ١٧٧١ ، وفى المصور الذى يمثل إشبيلية فى كتاب «Civitatus Orbis Terrarum» ، وتبقت منه اليوم أجزاء هامة ، أنه تكثر به الزوايا الداخلية والخارجية بحيث تتخذ بدناته التى ترتبط فيما بينها عن طريق الأبراج شكل خطوط متعرجة منكسرة أشبه بخطوط الرسم البياني فى الحسابات . وميزة هذا النظام الذى ابتدع فى العصر الأموى (٢) وتطور فى المغرب فى عصر المرابطين (٣) أنه يتيح للمدافعين فرصة الاندفاع

(١) Guerrero Lovillo, *Las Cantigas*, estudio arqueológico de sus miniaturas, Madrid, 1949, p. 246.

(٢) على الرغم من انتظام التخطيط فى معظم التحصينات التى ترجع إلى عصر الخلافة الأموية ، فإننا نلاحظ ميلا إلى الانثناءات فى خطوط أسوار حصن بانيوس دى انثينا وفى الأسوار المتبقية فى حصن العقاب أو لاس نافاس دى تولوسا (Terrasse, *l'art Hispano mauresque.*, p. 166).

(٣) يمثل الانثناء والتعرج فى تخطيط أسوار المرابطين فى أسوار قلعتى أمرجو وتسغيموت (راجع فى ذلك :

Terrasse et Basset: *Sanctuaires et forteresses almohades*, Paris, 1932, pp. 379-380. — Terrasse, *l'art Hispano mauresque*, p. 226.—Terrasse, *la Forteresse almoravide d'Amergo*, al-Andalus, vol. VIII, pp. 389-400.—Marçais, *l'Architecture musulmane d'Occident*, Paris, 1954, p. 219.

وراجع أيضاً : السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، الجزء الثانى : العصر الاسلامى ، الاسكندرية ١٩٦٦ ، ص ٧٦٤ — ٧٦٦)

ونلاحظ أنه بينما كانت الأسوار الخلافية تخضع عادة لطبيعة الأرض التى تقام عليها ، نجد أن المرابطين كانوا يبحثون فى الانثناءات والتعرجات هدفاً استراتيجياً .

والكرّ على الأعداء من أعلى سور الممشى وفى الدروب أو الفصلان الواقعة بين الأسوار الأماميه والأسوار الرئيسية ، عندما يتقدم العدو داخل إحدى الزوايا ، فيفتكون به ، ويشبه الأستاذ كارياثو هذه الخاصية بالزنبرك إذا ما ضغط عليه ثم ترك اندفع بقوة ليصيب ما يقابله (١) .

وكانت أسوار المرابطين فى إشبيليه تخلو من الأشرطة الثلاثة من الآجر البارزة ، وتدور أفقياً على مستويات ثلاثة بأعلى الأسوار والأبراج ، وأمثال هذه الأشرطة الآجرية البارزة تتوج أبراج قصبة بطليوس وأسوار قلعة جابر فى الأندلس ، وبرجى باب المرسى بمدينة سلا (٢) .

* * *

وبعد فقد انتهينا من الدراسة التاريخية لأسوار إشبيلية ، ويتبقى للدراسة الفنية والأثرية حديث آخر .

السيد عبد العزيز سالم

---

(١) *Carriazo, op. cit. p. 31*

(٢) Torres Balbás, *Arquitectos andaluces de las épocas almorávide y almohade,* al-Andalus, 1946, p. 219.

ابن منظـور اللغـوى

العـالم الحـائر بين مصر وليبيـا وتونس

من أعلام اللغـة والأدب الذين تفخر بهم الأمة العربية جمعاء ، وتعتز بانتسابهم إليها : عبد الله محمد بن المكرَّم أبى الحسن على بن أحمد بن أبى القاسم الملقب بجمال الدين والمشهور بابن منظور .

ولا ترجع شهرة ابن منظور إلى معجمه الموسوعى الضخم « لسان العرب » فحسب ، وإنما كذلك إلى مئات الكتب والمجلدات التى تركها بخطه ، وبعضها تأليف ، وبعضها اختصار . يقول الصفدى فى « نكت الهميان » : « لا أعرف فى الأدب وغيره كتابا مطولا إلا وقد اختصره » . ويقـول السيوطى : « واختصر كثيراً من كتب الأدب المطولة كالأغانى والعقـد والذخيرة ومفردات ابن البيطار . ونقـل أن مختصراته خمسمائة مجلد » . ومن آثار ابن منظور المطبوعة — إلى جانب لسان العرب — مختار الأغانى ، وأخبـار أبى نواس ، وثمار الأزهار فى الليـل والنهار . أما المخطوطة فمنها : مختصر تاريخ دمشق ، وتواريخ الشعراء ، وتهذيب الخواص من درة الغواص ، ومختصر مفردات ابن البيطـار(١) .

وقد ولد ابن منظور فى شهر المحرم من عام ٦٣٠ هجرية(٢) (يوافق شهر نوفمبر من عام ١٢٣١ ميلادية)(٣) . وتوفى عام ٧١١ هجرية (يوافق ١٣١١ م) ،

---

(١) انظر : ملتقى ابن منظور ص ٤٢ — ٤٦

(٢) الدرر الكامنة ٣١/٥ ونكت الهميان ص ٢٧٥

(٣) راجع The Muslim and Christian Calendars

فيكون قد عاش نحوا من واحد وثمانين عاما هجريا . وقد كان امتداد عمره ، إلى جانب نشأته فى أسرة علمية عريقية ، من أهم الأسباب التى مكنت ابن منظور من إنجاز هذه الأعمال الضخمة التى خلفها من ورائه . يقول الأستاذ أبو القاسم كرو متحدثاً عن أسرة ابن منظور : « ابن منظور من أسرة علمية عريقة ، اشتغل معظم أبنائها بالقضاء ، وكان لهم فى العلوم الدينية والأدبية مكانة محترمة » . وقد ذكر من أفراد أسرته خمسة رجال تولى منهم أربعة منصب القضاء ، وتلقبوا جميعهم بألقاب أهل العلم والقضاء فى تلك العهود ، فقد لقب والده بجلال الدين وأخوه بشرف الدين وجده بنجيب الدين ، وابنه بقطب الدين . ويحدثنا ابن منظور عن أحد مجالس والده فيقول : « كنت فى أيام الوالد — رحمه الله — أرى تردد الفضلاء إليه ، وتهافت الأدباء عليه . ورأينا الشيخ شرف الدين أحمد بن يوسف التيفاشى فى جملتهم وأنا فى سن الطفولة لا أدرى ما يقولونه »[1] .

* * *

وقد ظل ابن منظور فى جميع المراجع القديمة وحتى نهاية القرن الثالث عشر الهجرى يحمل نسبتين اثنتين فقط هما « المصرى » و « الإفريقى » . وقد وردت نسبة « الطرابلسى » أول ما وردت فى كتاب يحمل اسم « المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب » لأحمد بك النائب الأنصارى ، ظهر جزؤه الأول عام ١٣١٧ هـ = ١٨٩٩ م ، فقد ترجم هذا المؤلف (وقد توفى عام ١٨٩٧ م) لابن منظور ضمن علماء طرابلس وقال عنه « الطرابلسى نزيل مصر »[2] .

---

(١) ملتقى ابن منظور ص ٢٩ ، ٣٠

(٢) ١ / ١٦٩

وتلقف بعض المعاصرين الليبيين هذه النسبة فأخذوا يلحون عليها ، ويحاولون إثباتها بشتى الطرق . وأشهر هؤلاء :

١ — الأستاذ على مصطفى المصراتى ، الذى قال فى كتابه « أعلام من طرابلس »(١) : « ابن منظور صاحب لسان العرب طرابلسى نشأة وأصلا ، وفرعا ومتنا » .

٢ — الشيخ الطاهر الزاوى الذى قال فى كتابه « أعلام ليبيا »(٢) ، ما خلاصته :

أ — لم يذكر أحد ممن ترجموا له أنه طرابلسى إلا أحمد النائب المؤرخ الطرابلسى .

ب — لا نسىء الظن بغير النائب ، ولكنهم جهلوا ما علمه . فالنائب طرابلسى عالم بعلماء طرابلس وبالأسر الطرابلسية ، وقد أدرك بعض أفراد أسرة ابن مكرَّم مما جعله يجزم بأن ابن مكرم طرابلسى .

جـ — ذكر أكثر من ترجموا له أنه تولى قضاء طرابلس ، ويبعد أن يكون ولد بمصر ثم جاء إلى طرابلس وتولى بها القضاء عدة سنين ثم رجع إلى مصر ومات بها .

د — أسرة ابن مكرم تنتمى إلى رويفع الأنصارى ، ورويفع كان أمير طرابلس ، ولاه معاوية إياها سنة ٤٦ هـ .

هـ — أقرب الآراء إلى القبول أنه بعد أن تولى قضاء طرابلس واتسعت مداركه العلمية رأى أن إشباع رغبته العلمية لا يتسع له المحيط الطرابلسى فانتقل إلى مصر وتولى فيها رياسة ديوان الإنشاء ، وبقى بها حتى توفى .

---

(١) ص ٦٩

(٢) ص ٣٠١ ، ٣٠٢

و — يجب الرجوع إلى ما قاله النائب لأنه أمين فيما نقل وعالم فيما كتب ، وابن منظور لا يضيره أن يكون طرابلسيا ، كما هى الحقيقة .

٣ — الأستاذ على الفقيه حسن الذى لم يترك فرصة إلا تحدث فيها عن ابن منظور بوصفه ليبيا ، وكتب عدة مقالات لمحاولة إثبات ذلك . وهو فى حججه لا يخرج عما ذكره الأستاذ الزاوى ولكنه أضاف أن أسرة ابن مكرّم كانت معروفة بطرابلس وانقرضت منذ قرن تقريباً (١) .

ورغم أننى لست ممن يحبون نسبة العلماء — وبخاصة فى العصور الإسلامية الأولى — إلى إقليم بعينه ، لأنهم بعلمهم يتجاوزون الحواجز ، ويتخطون الحدود المصطنعة ، ورغم أننى أومن بأن من الصعب أن ينسب العالم العربى — فيما قبل العصور الحديثة إلى بلد معين نظراً لكثرة الأسفار فيما مضى وعدم الإقامة فى مكان واحد وحب التنقل من بلد إلى بلد — أقول رغم هذا وذاك فإننى أرى ضرورياً الوقوف أمام دعوى أحمد النائب ومن تبعه لمناقشتها ، لا تعصبا ، وإنما قصدا للتمحيص التاريخى ، ومحاولة للوصول إلى الحقيقة ، خصوصاً وأن صلة ابن منظور بطرابلس الغرب — حتى على سبيل الإقامة الجزئية — مشكوك فيها ، بل يكاد ينفيها التمحيص التاريخى نفياً باتاً .

١ — وأول شىء لا مجال للشك فيه ما سبق أن ذكرناه من أن أحمد النائب هو أول من أطلق هذه النسبة : الطرابلسى ، وهو قد أطلقها دون أن يقدم أى إثبات أو دليل .

٢ — قد يقال كما قال الزاوى « إن النائب طرابسى ، عالم بعلماء طرابلس وبالأسر الطرابلسية » . ولكن قد يكون مفاجأة للقارئ إذا قلنا إن ترجمة النائب ليس فيها كلمة واحدة جديدة ، وأنه لم يضف فيها حرفاً واحداً على

---

(١) انظر مثلا مجلة المجمع العربى بدمشق مجلد ٣٢ — ٣ / ٤٦٦ وما بعدها .

ما ذكره غير الطرابلسيين . وهو ينقل نقلا حرفياً عن كتب التراجم السابقة مثل بغيـة الوعاة للسيوطى ، والدرر الكامنة فى أعيـان المائة الثامنة لابن حجر ، ونكت الهميان فى نكت العميان لخليل بن أيبك الصفدى .

وقد أحس الأستاذ على مصطفى المصراتى نفسه بعدم قيمة هذه الترجمة ، فقال فى مقدمة تحقيقه لكتاب « نفحات النسرين » لأحمد النـائب ما نصه : « اكتفى بمجرد الترجمة العـادية ، تلك الترجمة المتـداولة والتى لاكها السيوطى وغيره » [١] . واعترف بأن أحمد النائب لم يقدم دليـلا على دعواه ، واتخـذ من عدم إشارة ابن غلبون [٢] إلى ابن منظور دليـلا على تثبت ابن غلبون أكثر من النائب [٣] . فأين إذن ثمرة علم النائب بالأسر الطرابلسية ؟

٣ — أما كون ابن منظور ينتمى إلى رويفـع بن ثـابت الأنصارى . . ورويفع كان أمير طرابلس من قبل معاوية . . فليس فيها ما يدل على طرابلسية ابن منظور . فرويفع كان من قبل يسكن مصر ، واختط بها دارا [٤] . وبين رويفع وابن منظور ما يزيد على ستمائة وخمسين سنة ، وهى فترة يكفي عشر معشارها إلى انتقال أسرة من بلد إلى بلد .

٤ — وأما ما يقال عن دفن جده الأعلى رويفع فى برقة ، فليس يعنى — لو صح تاريخياً — أى شىء على الاطلاق . فما بالك إذا كان الخبر مشكوكاً فيه . وقد شك فيه ابن منظور نفسه حين قال بمادة « جرب » من لسان العرب ما نصه : « فيقال مات بالشام ، ويقال مات ببرقة ، وقبره بهـا » .

---

(١) نفحات النسرين ص ٤٧

(٢) فى كتابه المسمى : التذكار فيمن ملك طرابلس ، وما كان بها من الأخبار . وقد كان ابن غلبون أقدم من أحمد النائب إذ عاش الأول فى القرن ١٢ هـ . فى حين عاش الثانى فى القرنين ١٣ ، ١٤ هـ .

(٣) نفحات النسرين ص ٤٦ ، ٤٧

(٤) لسان العرب — مادة جرب .

ويزيدنا شكا قول العياشى[١] عن برقة : « بها قبر مشهور يزار . ويزعم أعراب البلد أنه قبر نبى . والغالب أنه قبر صحابى . ولعله رويفع بن ثابت بن السكن الأنصارى النّجارى من الصحابة ، أو زهير بن قيس البلوى ، وكلاهما صحابى . . » . فصاحب المقام ليس معروفاً على وجه التأكيد .

٥ — من الثابت تاريخياً أن ابن منظور قد ولد بمصر[٢] ، وأنه نشأ وترعرع بها ، وقد حدثنا هو نفسه عن مجالس أبيه بمصر التى كان يحضرها العلماء والأدباء . ومن الثابت كذلك أنه ولى ديوان الإنشاء بمصر مدة طويلة عبر عنها المؤرخون بقولهم « طول عمره »[٣] ، وأنه حدث بمصر ودمشق ، وأنه توفى — أخيراً — بالقاهرة[٤] .

٦ — كذلك فإن والده — على ما ذكر الأستاذ أبو القاسم محمد كرو — من مواليد القاهرة أما جده الأدنى فمن مواليد إفريقية ، ومن ناحية باجة[٥] بالذات[٦] . ومن المؤكد أن المجالس التى حدثنا ابن منظور عنها وكان يحضرها التيفاشى — كانت تعقد بالقاهرة . فمن المعروف أن التيفاشى مع أنه قد ولد بقفصة قام بزيارة مصر عدة مرات وأنه استقر بها نهائياً منذ عام ٦٣٠ هجرية[٧] ، وهو العام الذى ولد فيه ابن منظور وقد توفى التيفاشى بالقاهرة عام ٦٥١ هـ .

---

(١) الرحلة العياشية طبع فاس ١٣١٦ . مقتبسة فى « ليبيا فى كتب الجغرافيا والرحلات » ص ٢١٩ .

(٢) تاج العروس للزبيدى — مادة كرم .

(٣) الدرر الكامنة ٥/٣٢

(٤) شذرات الذهب ٦/٢٦ ، ٢٧ والسلوك للمقريزى ج ٢ قسم ١ ص ١١٤

(٥) فى معجم البلدان : باجة فى خمسة مواضع منها بلد بإفريقية بينها وبين تونس يومان . وهى المقصودة هنا . وكلمة « إفريقية » فى هذا النص تعنى البلاد التونسية ، كما كانت تعرف فى القديم .

(٦) انظر ملتقى ابن منظور — مقدمة الأستاذ كرو ص ٥ ، ٦

(٧) ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيا التونسية لحسن حسنى عبد الوهاب — القسم الثانى ص ٤٥٠

٧ — أما ما يقال من وجود أسرة بطرابلس تحمل اسم ابن مكرم وانقراضها منذ قرن تقريباً ، فليس هناك من دليل على أن هذه الأسرة من نسل ابن منظور . فهناك كثيرون حملوا لقب « المكرَّم » ، فهو لقب اشتهر فى العالم الإسلامى شرقاً وغرباً . كما أنه لم يشتهر من نسل ابن منظور سوى ابنه الملقب بقطب الدين الذى ولد بمصر عام ٦٧٠ ، وكان كأبيه أحد كتاب ديوان الإنشاء بالقاهرة . ثم جاور فى مكة مدة طويلة وانتقل إلى بيت المقدس حيث توفى ودفن بها عام هـ.[١]

٨ — وبقى بعد هذا ما تردده بعض المراجع التاريخية من أنه « ولى قضاء طرابلس[٢] » أو أنه « ولى نظر طرابلس »[٣] . فكم من عمره قضاه — لو صح — بطرابلس ؟ ومتى حدث ذلك ؟ وأى طرابلس ؟ لم تتفق المراجع أولا على ذهابه إلى طرابلس . وعلى فرض ثبوته لم تحدد زمنه ولا مقداوه ، وإن كان من المعقول أن يكون لفترة وجيزة تتناسب مع قولهم إنه تولى ديوان الإنشاء بمصر طول عمره . فلنسلم إذن أنه تولى قضاء طرابلس فترة ما من الزمن ، ولكن يظل سؤالنا قائماً : أى طرابلس ؟ طرابلس الشام أم طرابلس الغرب ؟ إن الخلط بين البلدين وعلمائهما معروف لمن اشتغل بالتراجم والتاريخ . ويكفى أن أشير إلى الشاعر الطرابلسى المشهور باسم ابن خراسان (اسمه أحمد بن الحسين ابن حيدرة) صاحب الأبيات الجميلة التى منها :

أحبابنا غير زهد فى محبتكم كونى بمصر وأنتم فى طرابلس
إن زرتكم فالمنايا فى زيارتكم وإن هجرتكم فالهجر مفترسى
ولست أرجو نجاحا فى زيارتكم إلا إذا خاض بحرا من دم فرسى

---

(١) السلوك جـ ٢ قسم ٣ ص ٨٥٦ ونكت الهميان ص ٢٧٦ وملتقى ابن منظور ص ٣٥
(٢) الدرر الكامنة ٥/٣٢
(٣) نكت الهميان ص ٢٧٥

فمعظم المراجع تنسبه إلى طرابلس الشام ونسبه ياقوت فى « معجم البلدان » إلى طرابلس الغرب .

وإذن فالمسألة فى حاجة إلى ترو وتمحيص . وقد هدانا البحث والتنقيب إلى أن « طرابلس » هذه لا يمكن أن تكون طرابلس الغرب ، ولابد أن تكون طرابلس الشام للأسباب الآتية :

أ — أن ابن منظور كان شافعى المذهب كما نص على ذلك المقريزى في كتابه السلوك لمعرفة دول الملوك(١) ، وقد وصفه بقوله « وكان من أعيان الفقهاء الشافعية » فكيف يتولى القضاء فى بلد يدين بالمذهب المالكى أو الحنفى ، ولا يعرف المذهب الشافعى ، بل لا ينظر إليه نظرة تقدير . يقول المقدسى : « بسائر المغرب — ما عدا الأندلس — إلى مصر لا يعرفون مذهب الشافعى رحمه الله ، إنما هو أبو حنيفة ومالك . وكنت يوما أذاكر بعضهم فى مسألة فذكرت قول الشافعى ، فقال : اسكت ! ! من هو الشافعى ؟ إنما كانا بحرين : أبو حنيفة لأهل المشرق ، ومالك لأهل المغرب ، أفتتركهما وتشتغل بالساقية ؟ ورأيت أصحاب مالك يبغضون الشافعى ، قالوا أخذ العلم عن مالك ثم خالفه . وما رأيت فريقين أحسن اتفاقاً وأقل تعصباً منهم . وسمعتهم يحكون عن قدمائهم فى ذلك حكايات عجيبة حتى قالوا : إنه كان الحاكم سنة حنفيا وسنة مالكيا . . . (٢) » .

أما المذهب الشافعى ، فمن المعروف أن مصر والشام كانا من أهم مراكزه . وفى هذا يقول السبكى « هذان الإقليمان مركز ملك الشافعية منذ ظهر المذهب الشافعى . اليد العالية لأصحابه فى هذه البلاد لا يكون القضاء والخطابة فى غيرهم » (٣) .

---

(١) ج ٢ قسم ١ ص ١١٤ . وقد لفتنى إلى هذا المرجع أبو القاسم كرو ص ٥٥

(٢) أحسن التقاسيم ص ٢٣٧

(٣) الشافعى لمحمد أبو زهرة ص ٣٧١

ب — لم يكن إقليم طرابلس (الغرب) من الناحية الادارية تابعاً لمصر، على خلاف إقليم برقة. وفى فترة حياة ابن منظور كانت طرابلس الغرب تحت حكم الحفصيين (من عام ٦٢٥ — ٧٢٤ هـ) الذين كانوا يتولون الحكم من قبل أمير تونس(١).

أما صلة طرابلس الشام بمصر فمعروفة ثابتة. وقد ثبت أن ابن منظور رحل إلى دمشق رفقة السلطان قلاوون سنة ٦٨٢ و ٦٨٣ هـ وعاد معه إلى مصر(٢). كما ثبت أن ابن منظور قد حدث بدمشق(٣). فمن المعقول إذن أن يكون توليه القضاء بطرابلس الشام. ومن المعروف تاريخياً أن السلطان قلاوون استرد مدينة طرابلس الشام من الصليبيين عام ٦٨٨ هـ، فيكون احتمال تولى ابن منظور قضاءها قد وقع فى هذه السنة أو بعدها(٤).

جـ — لو كان ابن منظور قد ولى قضاء طرابلس الغرب، لما غفل عن ذكر ذلك الرحالة الذين زاروا طرابلس فى خلال تلك الفترة، ومن بينهم ابن رشيد السبتى (قام بها سنة ٦٨٥ هـ) والتجانى (قام بها بين عامى ٧٠٦، ٧٠٨)(٥).

* * *

فإذا كانت نسبة ابن منظور إلى طرابلس (الغرب) محفوفة بالشك إلى هذا القدر بل يكاد يُقطع بانتفائها ألبتة فهل يبقى لمنصف من مسوغ للتمسك بانتمائه إلى ليبيا؟ وهل غنى مصر بالشخصيات العلمية والأدبية وفقر ليبيا — على حد تعبير أحد الأدباء الليبيين — يكفي مبررا لسلخ ابن منظور من وطنه الأم

---

(١) ولاة طرابلس للطاهر الزاوى ص ١١٣ وما بعدها.
(٢) ملتقى ابن منظور ص ٥٥ نقلا عن تاريخ ابن الفرات.
(٣) شذرات الذهب ٦/٢٦
(٤) ملتقى ابن منظور ص ٥٥
(٥) انظر ليبيا فى كتب الجغرافيا والرحلات ص ١١٧ ورحلة التيجانى وملتقى ابن منظور.

وحمله على بلد لم يعش فيه ولم يترب بين ربوعه ؟ . وكأنما أحس الأستاذ على المصراتى بهذه المعانى فعبر عنها بشكه فى كلام أحمد النائب — الذى تولى كبْر هذه القضية من أولها إلى آخرها — فقال « المؤلف يذكر أن ابن منظور من طرابلس الغرب ، وكان بودنا لو ساق دليلا يؤكد به أن هذا العلم اللغوى طرابلسى »(١) ، وبتصويره صنيع أحمد النائب فى صورة « من يشد بقوة بتلابيب ابن منظور »(٢) .

وبعد :

فمن الغريب حقاً أن تخلّد ليبيا اسم « ابن منظور » — وهو ليس لها إلا بمجرد الشبهة — فتطلق اسمه على معهد المعلمين بها الموجود بطرابلس ، وتحيي أثره لبنان فتسمى إحدى دور النشر بها نفسها باسم أشهر مؤلفات ابن منظور « لسان العرب » ، وأن تحتفل تونس كذلك بابن منظور ، وتعقد اللقاءات والندوات لتخليد ذكراه(٣) — وهو لا ينتسب لها إلا عن طريق جده — ثم تفرّط مصر — أوْلى البلاد العربية به — فلا تعبأ لذكراه ، ولا تقيم المهرجانات للاحتفاء به والتنويه باسمه . ومن أحق منه بالتخليد ؟ وأولى بالتكريم ؟ ومن المفارقات أن يحمل والد ابن منظور لقب « المكرّم » ثم يغفل بلده عن تكريمه فى شخص ابنه رائد التأليف الموسوعى فى المعاجم العربية .

وتظل — بعد هذا — نسبتا ابن منظور المصرى والإفريقى باقيتين ، أما أولاهما فتدل على مكان مولده ونشأته وعمله ووفاته ، وأما الثانية فتشير إلى ارتباط بعض أجداده بتونس أو إفريقية ، كما كانت تسمى فى ذلك الوقت .

دكتور أحمد مختار عمر

---

(١) ، (٢) مقدمة نفحات النسرين ص ٤٦ و ٤٧

(٣) من ذلك الملتقى الاول — ملتقى ابن منظور الإفريقى من ٩ إلى ١٩٧١/٤/١١ وكذلك تشكيل جمعية شباب ابن منظور القفصى ، ظناً أن ابن منظور من أبناء قفصة . وقد طبع ما ألقى فى ملتقى ابن منظور الأول بتونس عام ١٩٧٢ — دار المغرب العربى .

المـــؤرخ الأديـــب
أبو الوليـــد ابن الأحمـــر

مقدمـة :

أبو الوليد اسماعيل بن يوسف ابن الأحمر . شخصية طريفـة جذابة ، وعنصر الطرافة والجاذبية فيها ، جاءها من عدة وجوه ، أهمها : أن أميراً من أمراء الأسرة الحاكمة فى غرناطة أحاطت بحياة أسرته الصغرى ظروف خاصة ، جعلتها تهاجر إلى المغرب الأقصى ، وجعلت أبا الوليد يحيا حياة مديدة فى مدينة فاس عاصمة دولة بنى مرين ، مشتغلا بالتأليف والتصنيف مهتماً بالتاريخ والأدب كاتباً شاعراً . . .

واتصل أبو الوليد فى فاس بشخصيات مختلفة المشارب والأهواء والأوطان ، فيهم الملوك ، والأمراء ، والحجاب ، والوزراء ، والعلماء ، والشعراء ، والكتاب ، والسفراء . وقد كتب عن عصره ومعاصريه ما وسعه أن يكتب ، وغفـل وتغافل ما وسعته الغفلة والتغـافل ، وترك أصداء فى عدد لا يستهان به من الكتب التاريخية والأدبية المتعلقة بالمغرب والأندلس .

وهذه الـكتب التى رددت أصداء أبى الوليد وأصداء آثاره الأدبيـة والتاريخية ، من صميم المصادر والمراجع التى هى بالنسبة للباحثين والدارسين معين لا ينضب ، وفيض لا يغيض ، يرجعون إليها كلما هموا بكتابة بحث يتعلق بآداب الأندلس أو المغرب ، فتقع أعينهم هناك على الغث والسمين ، والطريف والمبتذل ، من الأخبار والأعلام والآثار .

وبالنسبة لكاتب هذا البحث ، كان يحدث أثناء المراجعة والمطالعة ـ فى (نيل الابتهاج) و (جذوة الاقتباس) و (درة الحجال) و (نفح الطيب) و (أزهار الرياض) وغيرها من الكتب والرسائل والفهارس ، المخطوطة والمطبوعة ـ أن اسم أبى الوليد اسماعيل بن يوسف ابن الأحمر يلفت النظر ، ويجذب الانتباه ، فكان ذلك ـ مع ما يقترن به أحيانـاً من لقب الأمير ـ داعياً إلى البحث عن هذه الشخصية التى احتلت مكانتها فى هذه الكتب والرسائل والفهارس ، تنقل عنها مباشرة ، أو تنقل عمن ينقل عنها . وعلى مر الأيام وتكرر الاهتمام والبحث أخذ أبو الوليـد حيزاً من الذاكرة وصفحات من المفكرة وأصبحت النفس تتحدث فى أعماقها عن موضوع بدأت خيوط نسيجه تتكون وتتلاحق . . .

وحدث خلال السنتين الجامعيتين (١٩٦٤--١٩٦٥) و (١٩٦٥—١٩٦٦) أن انجز كاتب هذا البحث عملين اثنين يتعلقان مباشرة بأبى الوليد ابن الأحمر ، كان الأول منهما بحثاً تمهيديـاً للتعريف بأبى الوليد وآثاره ، ونفض بعض الأوهـام المتعلقة به ، والتى كانت قد تسربت منذ أحقاب إلى عدة مراجع ومصادر قديمة وكتب حديثة . . . وكان الثانى منهما مقدمة نقدية للتعريف بكتاب فى أنسـاب بيوتات علمية بمدينة فاس ، قيل أن أبا الوليد كتبه ، أو كتب جزءا منه .

وقد نشرت جامعة محمد الخامس بالرباط العملين معاً فى مجلتها التى يصدرها المركز الجامعى للبحث العلمى فى أعدادها المتتابعة : الثانى والثالث والرابع والخامس ، الصادرة خلال السنتين الجامعيتين المذكورتين ، ولم يكن من العبث ولا من المصادفة أن يأتى فى آخر البحث التمهيدى للتعريف بأبى الوليد هذا الوعد المتمثل فى هذه الكلمات :

« ولا نودع أبا الوليد فى مدخل هذا البحث دون أن نشير إلى أننـا لم نقصد منه إلا شيئاً واحداً وهو : رفع ما نسجه الإهمال والنسيان والالتباس على

ترجمته وآثاره ، إذ لنا لقاء طويل مع ترجمته وكتبه إن شاء الله » (*) ، بل كان وعداً يقتضى الإنجاز ودينا يوجب الوفاء . . .

١ ـ من هو أبو الوليد . . ؟

إذا كان أبو الوليد ابن الأحمر شخصية معروفة فى عصرها ، فإن هذه المعرفة لم يحظ بها فى المصادر التاريخيـة والأدبية التى كتبت فى عصره والتى كتبت بعد ذلك وتناولت كثيراً من معاصريه ، وكأن سوء الحظ كان موافقاً لترجمته ولاسمه أيضاً ، فلم يعرج عليهما ـ فيما يظهر ـ أولئك الأعلام الذين عرفوه وعرفهم وجمعتهم ظروف الحياة فى صلتهم ببنى مرين فى عاصمتهم فاس .

فابن الخطيب ، وابن خلدون ، وابن مرزوق ، وابن الحاج النميرى ، وأبو الحسن الجزنائى فى آثارهم المعروفة إلى الآن ، لا يعرجون على أبى الوليد ولا يشيرون إليه ، وقد تضمنت كتبهم المعروفة كثيراً من الاستطرادات والاستشهادات والإشارات لكثير من شخصيات العصر ، ممن هم فى مستوى ثقافى واجتماعى مماثل لمستوى أبى الوليد أو دونه . . .

والصوت الوحيد ـ فيما يظهر ـ الذى ارتفع فى أوائل القرن التاسع الهجرى للتعريف بأبى الوليد وإظهار بعض معالم شخصيته وأدبه هو صوت تلميذه وصديقه أبى زيد عبد الرحمن الجاديرى فى شرحه على بردة البوصيرى ، الذى لخص فيه شرح أستاذه ابن الأحمر عليها (١).

ولولا أن أبا الوليد ألف مؤلفات أدبيـة وتاريخية وأودعها بعض مشاعره وأخباره وعلاقاته الشخصيـة والاجتماعية ، ولولا أن هذه الكتب كانت من

(*) مجلة « البحث العلمي » العدد ٢ مايو ١٩٦٤ . الرباط .

(١) مخطوطة خزانة القرويين ٦٤٣/٤٠

المصادر التى اعتمد عليها المؤلفون المهتمون بأعلام المغرب والأندلس كأبى العباس ابن القاضى (ت/١٠٢٥هـ = ١٦١٦ م) وأبى العباس المقرى (ت/١٠٤١هـ = ١٦٣١م) والشيخ بابا السودانى (ت/١٠٣٦هـ = ١٦٢٦ م) لما ذاعت شهرته على أنه أديب مؤرخ ولا سيما عند المهتمين بأعلام من المؤرخين المشارقة .

وقد وقعت بسبب إهمال ترجمة أبى الوليد والغموض الذى يسود إشارة المؤرخين إليه عدة أخطاء وأوهام ، من الطبيعى أن تقع وأن تتناقلها المصادر بعضها عن بعض . . .

وليس الغرض الآن منصرفاً إلى تعليل هذا الإهمال ولا إلى تعداد هذه الأخطاء وبيان هذه الأوهام . ولكنه منصرف إلى البحث عن كل ما يمكن الوصول إليه من حقيقة أبى الوليد فى ترجمته وشخصيته وآثاره .

هناك فى المصادر المتعلقة بالأدب العربى فى الأندلس شخصيتان أدبيتان كلتاهما تنتمى إلى أسرة بنى الأحمر الخزرجيين ملوك غرناطة ، وقد جمعتهما النسبة الدموية إلى هذه الأسرة . ولكن ظروف الحياة وملابسات السياسة والحكم فى غرناطة فرقت بينهما ، وخطت لكل منهما سبيلا سار فيها إلى النهاية ، ثم جاءت المصادر لتجمع بينهما من جديد ولتنقل من أدبهما وآثارهما ما تجده مفيداً لها .

والشخصية الأدبية الأولى هى شخصية شاعر أديب تجرع منذ فتوته مرارة الإبعاد والسجن أربع عشرة سنة ، قبل أن ينادى باسمه ملكاً متربعاً على عرش غرناطة ، وهو السلطان أبو الحجاج يوسف بن يوسف بن محمد الغنى بالله (ت/ ٨٢٠ هـ = ١٤١٧م) . وترتبط بهذا الملك — الشاعر — من الناحية الأدبية والتاريخية ثلاثة آثار من الأدب الأندلسى ، ظهر فيها أدبه وثقافته

واهتماماته وعناصر شخصيته ومركباتها والجو الذى كان يحيط به والشخصيات الأدبية التى عاشت معه فى ذلك الجو ، وهذه الآثار هى :

١ — مخطوطة شعرية جمعها وصنفها ـ بأمر أبى الحجاج ـ أديب غرناطى من حاشيته يسمى أبا الحسين بن أحمد ابن فركون . والمخطوطة تسمى : (مظهر النور الباصر فى أمداح مولانا أبى الحجاج الملك الناصر) . وهى مخطوطة جمعت شيئاً غير قليل من أسماء شعراء غرناطة أوائل القرن التاسع الهجرى والخامس عشر الميلادى وبعض آثارهم الشعرية المتعلقة بمدح أبى الحجاج (١).

٢ — كتاب (البقية والمدرك من كلام ابن زمرك) . وهذا الكتاب ـ فيما يقول المقرى ـ جمع فيه ابن السلطان ابن الأحمر ، ما وجده من آثار أدبية أنتجها الوزير الشاعر ابن زمرك ، الذى خَلَف لسان الدين ابن الخطيب فى الوزارة والزعامة الأدبية فى عصره ، قبل أن يقاد إلى مصرعه المؤلم الذى قيد إليه سلفه . ولقد عثر أبو العباس المقرى على نسخة من هذا الكتاب فى مدينة تلمسان ، واستفاد منها ونقل جملة وافرة من موادها فى كتابيه : نفح الطيب ، وأزهار الرياض (٢).

٣ — ديوان يوسف الثالث ملك غرناطة . وهذا هو الديوان الشعرى الذى ضم قصائد ومقطعات هذا الملك الشاعر ، مرتبة على حروف المعجم من الألف إلى الياء ، مع تقديمات وإشارات قصيرة تعين المناسبة . وقد ظل هذا الديوان قروناً فى عالم الظلام ، إلى أن عُثر عليه فى المغرب وطبع ، وقد أضاف إلى الأدب الأندلسى مادة جديرة بالاهتمام والدرس (٣).

---

(١) انظر الحديث عن هذه المخطوطة ومؤلفها فى مجلة دعوة الحق ج ١٠ س ١٤ وهى موجودة بالخزانة العامة بالرباط رقم ٢٣ / ج ٢

(٢) النفح ج ٧ س ١٦٢ وما بعدها وازهار الرياض ج ٢ ص ١١ وما بعدها .

(٣) حقق الديوان وكتب مقدمته الأستاذ عبد الله كنون وطبعه بتطوان ١٩٥٨ م ثم اعاد طبعه بالقاهرة سنة ١٩٦٥ م.

هذه إلى الآن — هى الآثار المرتبطة أدبياً بهذا الملك الشاعر الغرناطى . ومن الجدير بالذكر أن أبا العباس المقرى عندما نقل عنه ما كتبه فى البقية والمدرك سماه هكذا : (بعض سلاطينها بنى الأحمر ، وهو حفيد ابن الأحمر المخلوع سلطان الأندلس الذى كتب له ابن زمرك المذكور بعد ابن الخطيب...) (١)

وسماه مرة أخرى هكذا : (ابن السلطان ابن الأحمر ...) (٢)

وإذا كان أبو العباس المقرى ـ وهو فى البحث عن الأدب الأندلسى ورجاله من هو ـ يسمى هذا الشاعر الملك ، هذا الاسم المبهم الذى لم يزد تعريفه إلا تنكيراً ، فكيف بغيره ممن لم يتيسر لهم الاطلاع على ما اطلع عليه المقرى من مصادر وخزائن فى أقطار المغرب والمشرق ...

أما الشخصية الأدبية الثانية فهى شخصية أبي الوليد اسماعيل بن يوسف ابن محمد القائم بأمر الله ، الكاتب الشاعر المؤرخ ، الذى عاش حياته العلمية والأدبية فى فاس ، وعاصر الأحداث والتناقضات الكبرى التى تعرضت لها دولة بنى مرين فى الداخل والخارج . وعلى هذه الشخصية الثانية يدور هذا البحث .

وينتمى أبو الوليد فى نسبه إلى أسرة بنى الأحمر ، لكن ظروف أسرته الصغيرة جعلتها تهاجر من الأندلس إلى المغرب ، وجعلت أبا الوليد يتخذ من المغرب الوطن الذى تعلم فيه ، واستفاد من أعلامه ، واستظل برجال الحكم فيه ، وقضى بعاصمة دولته ما يعرف من أطوار حياته ، قبل أن يودع هذه الحياة .

فأندلسية الملك الشاعر يوسف الثالث أندلسية انتماء وعيش وثقافة ومزاولة للحكم فى غرناطة . أما أندلسية أبى الوليد اسماعيل ابن الأحمر ، فهى أندلسية انتماء فقط — فيما يظهر — لأن التعليم والشهرة والاتصال بأعلام العصر وقضاء المعروف من مراحل الحياة كان بالمغرب .

---

(١) أزهار الرياض ج ٢ ص ١١
(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ١٦٢

وهناك إلى جانب هاتين الشخصيتين الأدبيتين الكبيرتين شخصية ثالثة دونهما شهرة ، إلا أنها تشاركهما فى الأدب من جهة ، والانتماء إلى بنى الأحمر من جهة ثانية ، وهى من شخصيات القرن الثامن الهجرى ، ولا ذكر لهذه الشخصية - فيما يظهر - إلا فى مصدرين اثنين هما : جنى زهرة الآس لأبى الحسن الجزنائى [١] ، ونثير الجمان لأبى الوليد ابن الأحمر [٢] . والاسم الكامل لهذه الشخصية مع نسبها هو : اسماعيل بن فرج ابن السلطان اسماعيل بن الرئيس فرج أمير مالقة . ويظهر من المعلومات الواردة حوله فى المصدرين المذكورين ، أنه كان شاعراً أديباً ، وأنه عاش فى المغرب مدة من الزمان . فإذا كانت هذه الشخصية الأدبية تشارك شخصية أبى الوليد ابن الأحمر فى الاسم والكنية والنسبة إلى بنى الأحمر ؛ فهى بطبيعة الحال غيرها ، وقد سبقتها إلى الوفاة ، بدليل الترحم الذى جاء فى ترجمتها فى (نثير الجمان) .

ويبدو أن هذا التوضيح كان ضرورياً ، لإبعاد كل ما من شأنه أن يثير غموضاً أو إبهاماً أو اشتراكاً فى الاسم أو الصفة الأدبية التى كانت لهذه الشخصيات الثلاث المنتمية إلى أسرة واحدة ، والتى كانت على درجات وحظوظ متفاوتة من الشهرة فى عصرها وبعده .

٢ - الاسم والكنية والأسرة

يسمى أبو الوليد نفسه فى مخطوطة (نثير الجمان) عدة مرات من المقدمة إلى الخاتمة باسماعيل . وقد أفرط فى استعمال عبارة قال اسماعيل . . . ويبدأ كتابه (نثير فرائد الجمان) بذكر سلسلة نسبه إلى قيس بن سعد بن عبادة [٣] .

---

(١) ص ٤٩ الرباط ١٩٦٧

(٣) الباب الثالث .

(٣) انظر ص ٢١٥

ويذكر أبو العباس ابن القاضى أنه رأى سلسلة نسبه بقلمه على ظهر مخطوطة أحد كتبه (١) . ومن عادة أبي الوليد التى اعتادها ـ ولا سيما فى نثير الجمان ـ أن يؤكد ارتباطه بهذه السلسلة فى كل مناسبة ، وأن يربط جميع أفراد أسرته الذين يتحدث عنهم ـ سواء كانوا أمراء أو ملوكا ـ بها ، مع ذكر الكنى والحلى والألقاب ... إلى درجة الإملال والإضجار .

أما كنيته التى اشتهر بها ، فهى أبو الوليد . وهذه الكنية معهودة فى المشرق والأندلس ، وبالاستقراء يظهر أنها ليست كنيـــة خاصة بمن يسمى اسماعيل ؛ فالصحابى حسان بن ثابت شاعر الرسول عليه السلام كنى بأبى الوليد (٢) . وأبو عبيد القاسم بن سلام (المتوفى سنة ٢٢٤هـ = ٨٣٨م) يروى اللغة فى كتابه الغريب المصنف عن جماعة من الاعراب يحفظون غريب اللغة ، كان من جملتهم أبو الوليد (٣) . أما عند أهل الأندلس ، فالكنية بأبى الوليد ذائعة فى أعلام الفقهاء والشعراء والأمراء وغيرهم منذ العصور الأولى . فالمؤرخ ابن الفرضى (ت/٤٠٣هـ = ١٠١٣م) يكنى بأبى الوليد (٤) . والفقيه سليمان بن خلف الباجي (ت/٤٧٤هـ ١٠٨١ م) يكنى بأبى الوليد (٥) . وكذلك الشأن فى قاضى اشبيلية اسماعيل ابن عباد ، والشاعر أبى الوليد ابن زيدون ، والفيلسوف أبى الوليد ابن رشد وغيرهم .

أما نسب أبى الوليد ، فهو على ما يكرره بنفسه : أبو الوليد اسماعيل بن يوسف بن محمد القائم بأمر الله ابن الرئيس فرج أمير مالقة بن اسماعيل بن يوسف الأحمر الذى ينتسب إلى قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي .

---

(١) الجذوة ص ٩٩ ط . حجرية

(٢) المزهر ج ٢ ص ٤٢٥

(٣) المعجم العربى ص ١٣٩

(٤) الاعلام جـ ٤ ص ٢٦٥

(٥) الاعلام جـ ٣ ص ١٨٥

وقد كانت خزرجيـة بنى الأحمر شيئاً معروفـاً متداولا عند المؤرخين الأندلسيين الذين تناولوا هذا الموضوع (١) .

وأول شىء ينبغى أن يكون مفهوماً فى قضية نسب أبى الوليد ، هو أنه ينتمى إلى الفرع الثانى من فرعى الأسرة ، وهو فرع مالقة ، الذى يرجع إلى اسماعيل ابن يوسف ، أخى أبى عبد الله محمد بن يوسف ، مؤسس الدولة ؛ ولا ينتمى للفرع الأول ، فرع غرناطة الذى يرجع إلى مؤسس الدولة . . . وهذا هو وضعه الحقيقى الذى تضعه فيه سلسلة نسبه التى كرر ذكرها .

لكن أبا الوليد ـ وهذا غريب ـ يحاول أن يوقع الدارسين والباحثين فى حيرة وارتباك وتشكيك ، حينما يذكر ملوك بنى الأحمر الاولين ـ ومنهم أبو عبد الله محمد بن يوسف الاحمر مؤسس الدولة ، وابنه أبو عبد الله محمد الفقيه ـ على أنهم أجداده ، وأنه من سلالتهم . وقد كرر ذلك فى كتبه (٢) .

وقد وقف الفكر والقلم إزاء هذه النقطة يستفتى المراجع ويراجع المعلومات مدة طويلة لم تذهب عبثـاً ، حيث وقع اكتشاف القضية التى يعقدها أبو الوليد ، والهدف الذى يرمى إليه من انتسابه إلى مؤسس الدولة .

وحيث أن هذه القضية داخلة فى إطـار مركبات أبى الوليد الشخصية وعقده النفسية ، وأن الأسلوب الذى استعمله فيها هو أسلوب المغالطة ؛ فينبغى تجاوزها فى هذا الفصل وإرجاء الحديث عنها إلى فصل مركباته الشخصية ، على الرغم من أنها ترجع إلى نسبه .

وأبو الوليد كان يعرف أكثر من غيره الأصول والفروع فى أسرته . ويعرف الانقسامات والتمزقات التى حدثت فى كل من فرعى غرناطة ومالقة . والمؤامرات

---

(١) اللمحة البدرية ص ٢١ ومخطوطة نزهة البصائر والابصار / الخزانة العامة بالرباط رقم ١٩٨ ق

(٢) انظر على سبيل المثال الورقة ٦٨ من مخطوطة نثير الجمان المحفوظة بدار الكتب بالقاهرة ١٨٦٢ — ادب

والمكايد السرية والعلنية التي يكنها كل فريق للآخر ، ولكنه فى باب الاعتزاز بنسبه والمفاخرة بقومه كان يتناسى كل شىء ، ويشيد ويفخر بالجميع ، ويربط نفسه بكل أفراد أسرة بنى الأحمر ، ولو بطريق الوهم ووسيلة المغالطة والزعم .

أما أسرة أبى الوليد التى عاش فيها ، والتى ناله من الإبعاد عن الأندلس ما نالها ؛ فهى أسرة ترجع إلى جده الأدنى محمد القائم بأمر الله بن فرج بن اسماعيل أمير مالقة وابنائه الأربعة : يوسف ـ والد أبى الوليد ـ وفرج ، ومحمد ، واسماعيل [١] .

وقد عرف عن محمد القائم بأمر الله أنه كان شخصية غير مرغوب فيها منذ وثب أخوه الوليد على عرش غرناطة وتنكر لوالده فرج ، وربما ضايق أخاه وأبعده فحقد عليه وأسر فى نفسه ما أظهرته الأيام من بعد . ويشاء القدر أن يقتل أبو الوليد ملك غرناطة وأول متربع على عرشها من الفرع الثانى فرع مالقة ، وأن يموت والده فرج فى نفس السنة وهى سنة ٧٢٥ هـ = ١٣٢٥ م [٢] ، وأن يبايع أهل الحل والعقد فى غرناطة صبياً لا يتجاوز التاسعة من عمره وهو محمد ابن أبى الوليد ، وأن يحضر هذه البيعة عمه محمد وهو بحالة الاكتهال كما يقول ابن الخطيب ، ثم بعد البيعة يصرف العم إلى تلمسان . . . [٣] .

ومعنى يصرف فى كلام ابن الخطيب : يبعد ويطرد . وهنا تبدأ قصة إبعاد هذه الأسرة عن الأندلس . وتشرد أفرادها فى بر العدوة . وهنا يطرح سؤال وهو : هل شمل الإبعاد الذى اتخذ فى شأن هذا الرجل أبناءه الأربعة وأسرته ؟ أم أبعد وحده ، وبقيت الأسرة والأبناء فى وطنهم إلى أن أبعدوا فى تاريخ آخر ؟ ليس هناك ـ فيما يظهر ـ نص قاطع مفصل يقع الاعتماد عليه

(١) اللمحة البدرية ص ٢٤
(٢) الإحاطة جـ ١ ص ٤٠٢ والدرر الكامنة جـ ١ ص ٤٠١
(٣) أعمال الأعلام ص : ٢٩٦ — ٢٩٧ ط. بيروت ١٩٥٦ م

وبناء نتائج تخص أبا الوليد وأباه يوسف ، فيمكن التعرف على مسقط رأسه بالضبط ، وتاريخ ميلاده بالضبط أو التقريب .

ولم تنته قصة محمد القائم بأمر الله بهذا الإبعاد ، بل إنه استدعى من منفاه ليبايع فى حصن (أندرش) من عمل ألمرية . والذى استدعاه هو شيخ الغزاة عثمان ابن أبى العلاء ، الذى أعلن ثورة على حكام غرناطة المستبدين بالملك الفتي محمد بن اسماعيل . ووصل محمد القائم إلى الأندلس فعلا وبويع وخوطب بأمير المسلمين(١) . ويلفت النظر أن ابن خلدون يقول إن أبا عبد الله القائم استدعى من (شلوبانية) التى كانت منفى كل من لا يرغب حكام غرناطة فيه(٢) .

وعلى كل فإن الثورة التى استمرت نحو السنتين (٧٢٧ — ٧٢٩ هـ / ١٣٢٦ — ١٣٢٨ م) فشلت ، وراجع حكام غرناطة موقفهم من شيخ الغزاة واسترضوه . وبذلك ظهر أن محمد القائم بأمر الله إنما كان لعبة حركها شيخ الغزاة .

ويقول ابن الخطيب معلقاً على هذا الفشل : « وصرف العم إلى تلمسان يوسع من استدعاه ذما . . .(٣) » .

وهذا هو الصرف الثانى ، إن لم يكن هو الثالث . وهذه الثورة الفاشلة التى ترأسها أبو عبد الله محمد القائم الجد الأدنى لأبى الوليد ، هى التى لفتت أنظار المؤرخين إليه فتحدث عنه ابن الخطيب ، وترجم له ابن حجر ترجمة قصيرة جاء فيها : « محمد بن فرج بن اسماعيل بن يوسف ابن نصر . أخو السلطان أبى الوليد . كان ساذجاً كثير التهور ، منهمكاً فى الأكل . . . ثم انتقل بعد

---

(١) الإحاطة جـ ١ ص ٥٤٤ وأعمال الأعلام ص ٢٩٦ — ٢٩٧

(٢) العبر جـ ٧ ص ٧٧٤ وصبح الأعشى جـ ٥ ص ١٨

(٣) أعمال الأعلام ص ٢٩٦ — ٢٩٧ . والإحاطة جـ ١ ص ٥٤٤

أبيه لما ولى أخوه الملك إلى تلمسان ، ثم ثار منها قصداً للملك ، فلم يتفق . واستمر مشرداً إلى أن أعيد إلى بعض البلاد فقطنها ، إلى أن مات فى ذى القعدة سنة ٧٣٥ هـ [١] .

والترجمة غير دقيقة لأنها توهم أن محمد القائم أعلن الثورة على أخيه مع أن ذلك لم يكن إلا على عهد ابن أخيه . كما أن فيها غموضاً حيث تقول : إنه أعيد إلى بعض البلاد فقطنها إلى أن مات . فما هى هذه البلاد التى أعيد إليها وقطنها إلى أن مات ؟ . وعلى كل فإن الترجمة ـ على فائدتها ـ لم تقدم شيئاً يمكن الاعتماد عليه لأخذ الخيوط الأولى لترجمة حفيده أبى الوليد ، والمكان الذى استقرت فيه أسرته وكان مسقط رأسه .

أما أبناء أبى عبد الله القائم الأربعة وضمنهم يوسف والد أبى الوليد ، فهناك نص تاريخى يتعلق بأحوالهم بعد وفاة أبيهم . يقول ابن الخطيب : « وأما محمد القائم ثانى ولد الرئيس أبى سعيد فأعقب أولادا منهم يوسف وفرج ومحمد واسماعيل . فأما يوسف منهم ، فهو الآن قد أسن بالمغرب تحت علالة جراية ، وله ابن يباشر خدمة السلطان . . . وأما فرج ، فحج ثم هلك بالمغرب . وأما محمد ، فهو أيضاً بالباب المرينى ، حميد الحالة متصفاً بعقل وحشمة ، مشتغلا بالصيد وإضراء الجوارح ، تحت ستر ونعمة . وأما اسماعيل فهلك فى بعض الغزوات بالمغرب ، وتخلف ابناً اسمه محمد ، هو المتصير إليه ملك الأندلس غلاباً » [٢] .

وهذا النص كما يبدو كتب بالمغرب فى المدة التى كان فيها ابن الخطيب منفياً مع مخدومه محمد الغنى بالله ؛ لأنه يشير إلى الفترة المضطربة فى تاريخ غرناطة ، والتى استمرت من سنة ٧٦٠ هـ إلى سنة ٧٦٣ هـ . . . [٣] وهو يصف

---

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٥٢ ط الثانية

(٢) اللامحة البدرية ص ٢٤

(٣) أحمد مختار العبادى . صحيفة معهد الدراسات الإسلامية العددان ١ و ٢ م ٧ سنة ١٩٥٧

حالة هؤلاء الأبناء الأربعة بعد نحو ربع قرن من وفاة والدهم ، ولا يتعرض لتاريخ إبعادهم عن الأندلس بالضبط . وغاية ما يفيد أن يوسف والد أبى الوليد كان فى هذه الفترة (٧٦١ هـ — ٧٦٣) حياً بالمغرب وقد تقدمت به السن وينال جراية من بنى مرين وله ابن يخدم السلطان . وليس فى هذا شىء جديد يضاف إلى المعلومات التي يذكرها أبو الوليد عن نفسه وعن أبيه ، كما ستقع الاشارة إلى ذلك فيما يأتى :

وقد ذكر أبو الوليد أباه يوسف مرتين فى كتبه المعروفة إلى الآن ، ذكره فى كتاب (روضة النسرين) حين وفد من الأندلس على السلطان المرينى أبى سعيد الأكبر فى فاس . وهذا السلطان كان يحكم ما بين سنة ٧١٠ هـ وسنة ٧٣١ وهو والد السلطان أبى الحسن [١] . وذكره مرة ثانية فى كتابه مستودع العلامة حين وفد على أحد كتاب جده فى مالقة ، وهو محمد الحميرى المالقى ، الذى أصبح فى مدينة بجاية من رجال البلاط الحفصى هناك . ويذكر أبو الوليد أن هذا الكاتب كان وسيطاً بين والده وبين سلطان الحفصيين لتحقيق بعض الرغبات [٢] .

ويظهر أن وفادته على بجاية كانت قبل وفادته على أبى سعيد المرينى ، واختياره المقام بفاس فى ظل المرينيين . كما يظهر أنه كان لا يملك الصفات المؤهلة لخوض الغمرات والمشاركة فى المؤامرات والثورات ، فآثر السكون والسلامة ، بعد ما أثرت فى نفسه تناقضات الحياة وتقلبات الأحوال ، إثر فشل المحاولة التى ترأسها والده ، وما تعرضت له الأسرة من إبعاد وتشرد . ولقد وجد فى عاصمة المرينيين صدراً رحباً وإكراما وتقديراً وجراية ، كان له فيها بعض العزاء عما فقده من العيش فى وطن آبائه وأجداده . ولعله لم يكن من أهل العلم ولا

---

(١) انظر ص ٢٠
(٢) انظر ص ٦٧ — ٦٨

ممن أخذوا حظاً من الثقافة الأدبية ؛ إذ لو كان يملك شيئاً من ذلك لذكره أبو الوليد فى معرض الفخر من كتبه ، أو فى الباب الذى عقده فى (نثير الجمان) لملوك بنى الأحمر وأبنائهم .

ولا ريب أن هذه الحالة التى كان عليها يوسف ، قد تركت انطباعات عميقة فى وجدان أبى الوليد ، وأصلت فى نفسه الشعور بالغربة والابعاد والضياع ، والشوق الدائم والحنين المتواصل للوطن ، الذى ضم مفاخر الأجداد ومآثر الآباء .

وهناك من أسرة أبى الوليد أخوه محمد بن يوسف ، وكان ـ على حد قول أبى الوليد ـ شاعراً كاتبا ، وخطيبا ذا ذوق جميل فى الانشاد والغناء . وقد ترجمه فى كتابه نثير الجمان . ويفهم من التحليات الخاقانية التى حلاه بها ، أنه كان شخصية مثالية فى الأخلاق والثقافة والذوق الجميل والخط الحسن والتفنن فى أساليب التعبير شعراً ونثراً ، تهزه أريحية الأدب ، فينشد الشعر بديهة . ويذكر أبو الوليد أن أخاه هذا كان يكبره بعشرين سنة . ويروى عنه هذه الطرفة الأدبية : « لقى يوما ببعض الأزقة بفاس ، امرأة بارعة الجمال ، وقد لبست ثياب حزن زرقاء ، وهى سافرة عن وجهها كالقمر ، وهى تلطمه بيدها ، ومن حواليها من النساء يهممن أن يبرقعنه فتمنعهن بيدها ، فقال بديهة :

تبعوها ليحجب الحسنَ فيها ثوبُ حزن فزاد حسنا ومعنى
عجباً للسحاب يستر شمسا فتقتْ غَيْمَهُ شمالا ويمنا[١]

ويظهر أن محمدا هذا كان يعيش مع أبى الوليد فى فاس ، وأنه كان حيا سنة ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ التى كان أبو الوليد ، يؤلف فيها كتابه المذكور ؛ لكونه

(١) نثير الجمان / الباب الثالث .

يستعمل فى ترجمته دعاء : « حياه الله » وليس هناك إلى الآن معلومات أخرى عن هذا الأخ ، سوى أن الجاديرى فى مخطوطة شرح البردة ، يذكر أنه كتب شرحاً على بردة البوصيرى .

ولأبى الوليد ابن يسمى يوسف ، جاء ذكره عرضاً فى ترجمة أبى الحسن المومنانى . وهو من أشياخ أبى الوليد ؛ حيث ذكر ابن القاضى فى هذه الترجمة من جذوة الاقتباس : أن أبا الحسن المومنانى كتب إجازة علمية لأبى الوليد ، أجازه فيها كما أجاز ابنه يوسف(١) . . . ويظهر أن والده كان مهتما بدراسته ومستقبله ، يعده للحياة العلمية ، ويستجيز له أعلام العصر ؛ ليقوى عزيمته ويربط سنده بسند من سبقوه من أهل المعرفة والعلم .

وهناك زوجة أبى الوليد ، وهى ابنة عمه كما جاء ذلك فى كلامه . إلا أنه لا يعين والدها من أعمامه الثلاثة . وقد تزوجها بفاس ، على عهد أبى عنان الذى أدى صداقها إكراماً لأبى الوليد وأسرته . وقد كان والده يوسف لا يزال بقيد الحياة ؛ استناداً على ما تقدم من نص ابن الخطيب(٢) .

هذه صورة عن أسرة أبى الوليد التى تعيش فى جو من الغربة والابعاد عن وطنها منذ أن بدأت القصة على عهد عميدها أبى عبد الله محمد القائم بأمر الله . وينبغى أن يلاحظ أن تطور الحياة السياسية فى غرناطة كان يزيد فى كراهية رجال الحكم بغرناطة لهذه الأسرة ورجالها ، لا سيا بعد ما وثب على عرش غرناطة فرد من أفرادها ، كان يعيش هناك ويتودد للجالس على عرش بنى الأحمر ، حتى اطمأن إليه وصاهره ببنته . وهذا المتوثب هو محمد بن اسماعيل ابن محمد القائم ، وهو ابن عم أبى الوليد . . . وقد ذكره فى (نثير الجمان) وأثنى عليه ثناء عاطراً . وصدر به الباب الذى عقده لتراجم بنى الأحمر(٣) .

---

(١) الجذوة ص ١٤٠ ط حجرية .
(٢) اللمحة البدرية ص ٢٤ ونثير الجمان / الباب الثانى .
(٣) نثير الجمان / الباب الثالث والاحاطة ج ١ ص ٥٣١

وكان من نتائج عمل هذا المتوثب، أن عاشت غرناطة فى سلسلة من الاضطرابات والأهوال. بدأت بخلع الغنى بالله وابعاده مع حاشيته — وفيها ابن الخطيب — إلى المغرب ودامت ثلاث سنوات، وانتهت بقتل ملكين اثنين وعدد من الأعوان، ثم رجوع الغنى إلى عرشه، مع وزيره لسان الدين ابن الخطيب...[١]

وإذا كان أبو الوليد يملأ كتبه بالشكوى من الغربة والابعاد، فينبغى أن يفهم كلامه على أن الأمر يتعلق بأسرة أبعدت عن الأندلس، لأن حكام غرناطة يشكون فى نيات أفرادها، ولا يتعلق الأمر بشخصية أبى الوليد وحده.

٣ ـ النشأة الأولى

إذا كانت حياة أبى الوليد الطويلة فى مدينة فاس قد عُرضت إجمالا من خلال إشاراته فى مؤلفاته، ومن خلال كلام المؤرخين الذين ترجموه، وأدت نتائج البحث عنها إلى شىء من المعلومات الإيجابية القابلة للتعديل كلما ظهرت مصادر عن ذلك العصر؛ فإن نشأته الأولى وزمان ومكان ولادته ما تزال كلها تحت جو سلبى مخيم عليها الآن، رغم البحث والتنقيب واستفسار ما أمكن من المظان. فأين وُلد أبو الوليد؟ وفى أى سنة ولد؟ وأين كانت نشأته الأولى؟.

هذه أسئلة يضعها البحث ويريد جواباً مقنعاً عنها لكنه ـ فيما يظهر ـ لا يستطيع ذلك الآن، ويُظن أنه لا يستطيع ذلك إلا إذا أظهرت الأيام نصوصاً جديدة محجوبة عن أنظار الدارسين الآن، تشفى الغليل وتقطع حبل الحدسيات والتكهنات والاستنتاجات البعيدة والقريبة.

---

(١) نفاضة الجراب ص ١٠٣

والمستغرب أن مترجمى أبى الوليد والذين أشاروا إليه فى كتبهم أو جعلوه فى فهارسهم العلميـــة من رجال سندهم ؛ لم يطرحوا ـ فيما يظهر ـ هذه الأسئلة ، كأنهم صاروا مطمئنين إلى عدم جدوى طرحها ، ما داموا لن يجدوا لها جواباً مقنعاً .

والذى يلفت النظر حقاً ويدخل الشك فى مكان ولادته ونشأته الأولى ، هو أنه ملأ كتبه ولا سيما (نثير الجمان) و (نثير فرائض الجمان) و (مستودع العلامة) باظهار الحنين إلى الأندلس والشوق إلى رؤية موطن المجد الذى أثله آباؤه وأجداده ، وعبر عن ذلك شعراً ونثراً ، واستغل المناسبات ليحدث قراء كتبه أنه مرتبط بملوك بنى الأحمر ملوك غرناطة ارتباطاً وثيقاً . . . لم يكلف نفسه فى كتبه المعروفة إلى الآن أن يشير ـ إزاء ذلك الحنين ـ إلى بلد من بلدان الأندلس أو قرية من قراها أو حصن من حصونها ؛ كانت مسقط رأسه أو نشأ بها ، أو له بها ذكرى من ذكريات الصبا ، أو تعلم بها علما من العلوم ، أو اتخذ بها صديقاً من الأصدقاء أو أستاذاً من الأساتذة .

وإشارات أبى الوليد مركزة على أن بنى عمه ملوك غرناطة أخرجو أسرته من الأندلس ، فالتجأت إلى ملوك بنى مرين فى المغرب . . . وزاد فى مقدمة (نثير الجمان) أن بنى عمه أهدروا دمه إن هو حاول وطء تراب الأندلس ، لكنه لا تنهنهه عن مراده هذه التهديدات ولا هذه الزواجر ، وأنه سيقتحم الأهوال ويعمل بقول الشاعر فى كل الأحوال :

أزور ولو أن السيوف شواهر ... وأدنو ولو أن الجحيم مزارها [1]

ويحيط إشاراته بشىء من الغموض ، وكأنه لا يريد تسجيل حقيقة تاريخية بقدر ما يريد إثارة مشاعر وجدانية ، لاستدرار مزيد من العطف على هذا الأمير

---

(١) البيت أورده ابن الأحمر ضمن قصيدته المولدية فى نثير فرائد الجمان ص ٣٧٨

الغريب الذى يعيش فى وطن غير وطنه ، وفى ظل دولة لا تربطه بها إلا رابطة الالتجاء .

وينبغي هنا توضيح عبارة محيت من النسخة الخطية من كتاب (نثير الجمان) المحفوظة بدار الكتب المصرية ، وهذه العبارة هى الواردة فى المقدمة هكذا :

« وقلت أنا فى ذلك حين . . . العدوة فى حضرة ملوك بنى مرين لما أخرجنا عن الأندلس بنو عمنا الملوك النصريون »

وقد سلمت هذه العبارة من الأرضة فى النسخة الخطية الموجودة فى الخزانة الملكية بالرباط رقم ٣٧٩١ ، وجاءت هكذا :

« وقلت أنا فى ذلك حين مقامى ببر العدوة فى حضرة ملوك بنى مرين . لمّا أخرجنا عن الأندلس بنو عمنا الملوك النصريون » .

وقد حدث أن بعض الباحثين قرأ العبارة مع الكلمة المحوة هكذا :

« وقلت أنا فى ذلك حين قدمت بر العدوة . . . »[(١)]

ولا شك أن البون شاسع بين العبارتين فى الدلالة على المقصود ، فعبارة « قدمت بر العدوة » ـ لو كانت صحيحة ـ تكون نصاً يقطع الاحتمالات . اما وقد وجدت من غير محو بصيغة : « مقامى ببر العدوة » . فان الموقف يبقى ـ كما أراده أبو الوليد ـ مبهما غامضاً .

ويظهر حسب الملابسات والظروف ، أن هذا الاخراج ، أو هذا الطرد الذى يتحدث عنه أبو الوليد بهذا الأسلوب ، هو ـ فى الغالب ـ ذلك الذى بدأت قصته مع جده محمد القائم ، صاحب الثورة الفاشلة التى قامت ما بين سنة

---

(١) انظر نثير فرائد الجمان ص ٧٠ — ٧١

٧٢٧ هـ وسنة ٧٢٩ هـ كما وقع تفصيل ذلك قبل . ويؤيد ذلك وفادة يوسف والد أبي الوليد ، على أبى سعيد المرينى الذى حكم ما بين سنة ٧١٠ هـ وسنة ٧٣١ هـ . وإذا تحقق هـذا ـ ولا مانـع من تحقيقـه ـ فإن الشيء الذى لا غموض فيه ولا مغالطة ـ وكان ينبغى لأبى الوليد أن يوضحه ـ هو أن طرده عن الأندلس وتهديده إن حاول وطء ترابها ؛ ليس عملا موجها إلى شخص أبى الوليد ، وليس إجراء اتخذ فى حقه بالذات لسبب من الأسباب ؛ ولكنه إجراء سياسى اتخذه حكام غرناطة فى حق محمد القائم وأفراد أسرته ، ومنهم أبناؤه الأربعة . وقد ظل هذا الاجراء سارى المفعول على الأبناء والأحفاد غالباً ، بسبب الظنون التى كانت تحوم حولهم والتى تحققت على يد بعضهم . وبناء على ذلك يكون أبو الوليد مطرودا من الأندلس طرداً نوعياً ، لا طرداً شخصياً ، فمن أجل كونه ينتمى إلى أسرة غير مرغوب فى وجودها بالأندلس ، كان محروما مع أفراد آخرين من المقام بها .

والسؤال الذى يفرض نفسه هنا : كيف كانت حالة أبى الوليد حينما نفذ إجراء الطرد فى حق هذه الأسرة ؟ أو بأدق عبارة : كيف كانت حالة أبى الوليد حين وفد أبوه يوسف من الأندلس على السلطان المرينى أبى سعيد ؟ (٧١٠ هـ — ٧٣١ هـ) هـل كان طفـلا فى الأطفـال ؟ أم كان فتى فى الفتيان ؟ أم كان ماذا ؟ الاحتمالات كلها ممكنة الوقوع ، والتعيين يحتـاج إلى سند لا مطعن فيه ، وأبو الوليد هو المسؤول الأول عن تطرق هذه الاحتمالات . وهذا إن لم يكن قد بين الحقيقة فى أثر من آثاره التى ما تزال محجوبة عنا إلى الآن .

ولا ينبغى أن يُتخذ حنين أبى الوليد إلى الأندلس دليلا قاطعاً على أنه قضى بها شطراً من حياته ، وبذلك يحن إليها ، ويعتزم العودة إليها ، ولا تنهنهه الزواجر ؛ فالحنين وحده من غير أن يدعمه نص لا مطعن فيه ، لا ينبغى أن

يكون دليلا قاطعاً ؛ لأن الحنين إلى وطن ما كما يكون من إنسان عرف هذا الوطن وعاش فيه وتمتع بخيراته فعلا ؛ كذلك يكون من إنسان سمع عنه أو ارتبط به دموياً أو عاطفياً أو دينياً أو قومياً .

والأندلس فى نظر أبى الوليد موطن مجد الأجداد وفخر الأحفاد ، فلذلك يحن إليها .

وليس معنى هذا أننا قد وصلنا إلى الجزم بعدم نشأة أبى الوليد فى الأندلس، ولكن معناه أننا لا نتخذ أقوال أبى الوليد الغامضة ــ وحدها ــ دليلا للجزم بهذه النشأة ؛ فالجزم بالإثبات أو بالنفى ، كلاهما يحتاج إلى دليل قاطع ليس له من دافع ، وهذا لم يتيسر إلى الآن .

ومن المعلوم فى ميدان البحث أن الاحتمالات تسقط تلقائياً عندما تظهر النصوص والأدلة المقنعة التى يطمئن إليها البحث العلمى المتئد ، وأن عدم الوجدان لا يقتضى عدم الوجود . فنشأة أبى الوليد الأولى غامضة غموض تاريخ ميلاده ؛ لهذا ينبغى مزيد من الحذر والحيطة عند محاولة الاستنتاج من أقواله وإشاراته فى هذا الموضوع .

فالجزم بأن أبا الوليد قضى فتوته وصدراً من شبابه فى الأندلس ، يبدو بعيداً عن الحذر المطلوب ، بناء على الإيضاحات والأسباب التى قدمنا(١) . وسيتضح فيما يأتى أن أبا الوليد قضى شبابه فى فاس ، وربما طفولته أيضاً . وإذا كان قد ولد فعلا فى الأندلس ، فانه قد خرج منها يوم أخرجت أسرته وهو فى السنوات الأولى من هذه الطفولة فيما يظهر .

---

(١) انظر ص ٦٩ من كتاب نثير فرائد الجمان .

٤ ـ فى عاصمة بنى مرين

وفد يوسف بن محمد القائم من الأندلس على السلطان المرينى أبى سعيد والد أبى الحسن ، كما يذكر ولده أبو الوليد فى كتابه : روضة النسرين (١) ، وسكن مدينة فاس فى ظلال مبرة المرينيين وجرايتهم كما يقول ابن الخطيب (٢) .

وأبو الوليد يذكر عن حياته بفاس ، أيام السلطان أبى الحسن المرينى (٧٣١ هـ — ٧٤٩ هـ) خبرين اثنين : أولهما مشاهدته لأبى حمو موسى بن يوسف أمير تلمسان ، وهو بحالة خمول ، يسكن بحي (عين أصليتن) بفاس ، أيام السلطان أبى الحسن (٣) . وثانى الخبرين مشاهدته لأبى على عمر أمير سجلماسة ، الذى قبض عليه أخوه أبو الحسن لما ثار عليه ، ثم قتله بفاس سنة (٧٣٤ هـ/ ١٣٣٤م) . وهذه المشاهدة ذكرها أبو الوليد فى مخطوطة (النفحة النسرينية) (٤) .

ولا يتحدث أبو الوليد عن مشاهدات خاصة بالسلطان أبى الحسن نفسه ؛ لأن ذلك يرجع ـ فيما يظهر ـ إلى أن أبا الحسن كان دائم التنقل والرحلة وخوض غمار الحروب إلى آخر رمق من حياته .

ويبدأ أبو الوليد حياته بالاتصال بأبى عنان والانضمام إلى حاشيته ، رغم صغر سنه وقلة تجربته . ولعل أبا الوليد نال من أبى عنان مبرة كبرى ، فلذلك خصه بالثناء العاطر فيما كتبه عنه فى كل مناسبة (٥) . ولا شك أن أبا عنان كان يكرم أبا الوليد ويكرم والده يوسف ، وربما كان أخوه محمد ، الأديب الشاعر ، ينال حظه من الاكرام والمبرة . ولعل الجميع كان فى خدمة بنى مرين .

---

(١) انظر ص : ٢٠

(٢) اللمحة البدرية ص : ٢٤

(٣) روضة النسرين ص : ٥٨

(٤) مصورة الدكتور محمد بن شقرون بالرباط . عن نسخة الإسكوريال رقم : ١٧٦٩

(٥) نثير الجمان الباب الثاني وروضة النسرين ص : ٢٧

وحياة التعليم والتكوين بالنسبة لأبي الوليد كانت مقارنة لحياة الاتصال بأبي عنان ، واستمرت بعد ذلك . فهو يدرس على الأساتذة ويجالس أهل العلم ، ويتصل بالأعلام الوافدين على عاصمة بني مرين من الأندلس وأقطار المغرب ، ويرتبط بعدد من الأقران والأصدقاء ، ويديم المطالعة والبحث والتقييد ، ويستجيز الشيوخ بالمشافهة والمراسلة ؛ كل هذا يتحدث عنه أبو الوليد فى كتبه التى ألفها بفاس .

والاتصال ببلاط أبى عنان وحاشيته ، والرحلة معه إلى تونس ، ومشاركته فى المجالس العلمية والمهرجانات والحفلات طيلة عشر سنوات ؛ هو فى حد ذاته وسيلة كبرى من وسائل التكوين والتثقيف واكتساب التجارب العلمية والأدبية والسياسية .

وفى عهد أبى عنان وبعده بقليل كان يوصف (بالشاب) ، وقد وصفه بذلك أبو عبد الله محمد ابن أبى بكر الحضرمي فى كتابه (السلسل العذب) [١] ، كما وصفه بذلك شيخه أبو القاسم البرجى فى إجازته له [٢] .

ولعل أبا الوليد أخذ منذ البداية سبيله إلى التكوين العلمى والأدبي فى مدينة فاس . وفى هذا الاطار كان يبرز شخصيته على الصعيد الرسمى عند أبى عنان وحاشيته ، وعلى الصعيد الشعبى عند أهل العلم والأدب ، وغيرهم من الطبقات الاجتماعية التى يتصل بها ويعاشرها ويعاملها .

وإذا كان هذا هو الاطار الذى اختاره أبو الوليد لنفسه طيلة حياته بمدينة فاس ، رغم تقلبات الظروف وتغير الأحوال ؛ فإن أبا الوليد كان فى اتصالاته بالملوك ، وأعوانهم من وزراء وحجاب وكتاب ، يبدو لبقاً ذكياً ، لا يتسرع

---

(١) مجلة المخطوطات العربية ج الأول م ١٠ ص : ٧٦

(٢) مستودع العلامة ص ٦٢

فى صلة ولا فى قطيعة ، ويحسن مداراة الرجال والأحوال ؛ ليحتفظ بمكانته وسمعته والفوائد التى يستفيدها مادياً ومعنوياً .

وأبو الوليد لا يذكر عمله الذى كان يعمله ، ولا وظيفته التى كان يمارسها . ومترجموه فيهم من يقول : « كان فى إيالة بنى مرين فى جندهم ... »[(١)] .

وهو يتحدث عن الملوك الذين اتصل بهم ، والحجاب والوزراء والكتاب الذين كانوا وسيلته ، ولكن كل ذلك فى إيجاز ولباقة ، كأنه كان يخشى رقيباً أو يخاف ، ناقداً حاقداً ؛ فيقول ما وسعه القول ، ويسكت ما وسعه السكوت . وقد التزم فى مقدمة كتابه : نثير الجمان طى حديث المعايب والعورات ! .

وبطبيعة الحال شعر أبو الوليد بالانحدار الذي آل إليه أمر بنى مرين ، بعد وفاة أبى عنان ، وشاهد المغامرات التى دخلت فيها الدولة ؛ إلا أنه كان يظهر فى إطاره العلمى ليتغلب على ما يقف فى طريقه من أشواك وعقبات سياسية . . .

ولعل أبا الوليد كان إلى جانب إطاره العلمى ، يزاول بعض الخطط الدينية التى يتقاضى عنها مرتباً من الأحباس ، بقى يستفيد منه رغم تقلبات الأحوال . والدليل على ذلك هو هذه الاشارات التى يكررها عن المدارس العلمية ، وحوانيت العدول ، والقضاة وأهل الفتوى[(٢)] .

وسمعة أبى الوليد التى تركها فى فاس ، هى سمعة العالم النزيه الشغوف بالمعرفة ، ولا سيما منها ما يتعلق بأنساب الأسر وتراجم أهل العلم والأدب . فهو عند المهتمين ببيوتات فاس ثبت ثقة ، يحتجون بكلامه ويتخذون رأيه فى نسب الأشخاص والأسر رأياً مسلما لا جدال فيه[(٣)] .

---

(١) السودانى : نيل الابتهاج ص ٩٩

(٢) نثير الجمان فى عدة أبواب وتراجم

(٣) السلوة ج ٣ ص ٢٥٦

وكان أبو الوليد يسكن وسط المدينة فى حي قريب من القرويين ومدارس العلم وحوانيت الموثقين والكتبيين . وقد عين منزله أبو العباس ابن القاضى مؤرخ فاس ، فى كتاب جذوة الاقتباس (١) .

والحي كان يُسَمّى فى عصر أبى الوليد ، ثم فى عصر أبى العباس ابن القاضى : بعقبة الماكودي ، إضافة إلى أسرة علمية شهيرة بفاس ، وهى أسرة المكوديين الشهيرة باعلامها (٢) . أما الآن فقد اندثر هذا الاسم ولم يعد له وجود إلا فى الكتب والرسوم القديمة .

وقد دخلت عدة تغييرات على عقبة المكودى أوائل القرن الثالث عشر الهجري ، بسبب بناء المسجد الكبير المسمى الآن بمسجد الرصيف ، ودخلت فيه عدة عقارات ، وصارت العقبة ذات درج تسمى مدارج الرصيف .

ويظهر أن سكنى أبى الوليد وسط المدينة زادت فى شهرته عند أهل عصره ، وجعلته مقصد الذين يعرفون مكانته ، ويقدرون علمه وخبرته وتجربته ، التى اكتسبها من أعلام عصره ومصره . وبسبب ذلك ظلت داره معروفة إلى زمن ابن القاضى ، الذى تحدث عنها بعد أكثر من قرنين بعد وفاة أبي الوليد .

وهذه الدار التى سكنها أبو الوليد ، يذكر ابن القاضى أنها كانت قبله فى ملك أبى حامد ابن حدور الخزرجي . وبنو حدور الخزرجيون من البيوتات العلمية بفاس ، وقد وقع ذكرهم فى الكتاب المسمى : بيوتات فاس الكبرى ، مع قصة طريفة لبعضهم (٣) . ولا ذكرى لهم الآن بهذا الاسم (فيما يظهر) .

وعرف أبو الوليد مدينة فاس القديمة كما عرف (البيضاء) مقر الملوك والأمراء . وكان على علم بمعالمها وخططها وقصورها ومتنزهاتها ومنابع نهرها .

---

(١) انظر ص ٩٩

(٢) بيوتات فاس البيت رقم ٤

(٣) انظر البيت رقم ٦١

ويظهر ذلك فيما كتبه فى : (روضة النسرين) و : (نثير الجمان) بالخصوص

فإذا تحدث عن (البيضاء) يذكر باب (السبع) وباب (القنطرة) وباب (عيون صنهاجة) و (عين عمير)، ثم يقول : « وهذه المدينة يأتيها الوادى المعروف بوادى الجواهر ، وغدير الحمص ينبجس أصله من الموضع المعروف برأس الماء ، على بريد من غربى هذه المدينة ، بمحل رأيته غير مرة بديع المرأى . . . ! »(١)

وإذا تحدث عن المدينة القديمة ، ذكر أحياءها وأسواقها وخططها المعروفة فى عصره مثل السقاطين ، والرصيف ، وعين أصلتين ، وحوانيت السماط ، ومدرسة العطارين ، ومدرسة أبى عنان ؛ وغيرها من المعالم ، التى كان يعرفها جيداً لأنه يعيش على مقربة منها .

ويظهر أن الحياة المادية التى كان يعيش عليها أبو الوليد قد تطورت حسب الظروف والأحوال ، وأنه عرف الغنى والفقر والاكتفاء والخصاصة ، وأن حالته على العموم — كما يظهر من آثاره — لم تكن قاسية ولا مزرية ، وإن كان أحياناً ينفث من صدره نفثات تدل على الحرمان والشعور بالحاجة وآلام الغربة ، كما جاء فى أبيات قدمها إلى صديقه يحيى ابن البغلة الأموى الطنجى الكاتب ، الذى توسط له عند الوزير أبى بكر ابن الكاس المجدولى المستبد بالدولة إذ ذاك :

أيَحْيَى . ميتُ الأحياء يرجو　　كلامك للوزير بغير ريث
فأنت نصير من أخنى عليه　　زمان قد أناخ بكل ليث
ومهما أرسلت كفاك جودا　　يكف بجوده وكّاف غيث(٢)

(١) روضة النسرين ص ٢٠
(٢) نثير الجمان ورقة ٨٦

إلا أن الشىء المحقق هو أن أبا الوليد لم يكن مضطهداً من الناحية السياسية ، ولم ينل مضايقة ولا إهانة ، ولا تعرض لعقوبة ، كما وقع لعدد من أعلام عصره ، بسبب مواقفهم السياسية أو حقد الناس عليهم أو خطأ ارتكبوه إزاء ذوى السلطة والنفوذ .

وهذا يرجع إلى خطة اختطها لنفسه فى عاصمة بنى مرين ، وأسلوب استعمله فى مداراة الناس والتحفظ واليقظة عند معاملة أصحاب الحكم ورجال السياسة . وظل أبو الوليد متمسكاً بهذه الخطة وهذا الأسلوب ، إلى أن ودع هذه الحياة .

ولا يعرف عن أبى الوليد أنه قام برحلة داخل المغرب أو خارجه ، باستثناء ما تحدث به عن مشاهدة شاهدها فى مدينة سجلماسه (١) . وتعرض أبو الوليد فى فاس سنة ٧٨٩ ﻫ إلى مرض خطير كاد يودي بحياته . وقد تحدث عن ذلك تلميذه وصديقه أبو زيد الجاديرى ، فى شرحه على البردة حيث قال : « وفى سنة ٧٨٩ ﻫ أصيب بخلط سوداوى تكون منه بين السبيلين شىء كالاترجة فى النتوء خيف منه الهلاك . . . ! » (٢) ثم برىء من هذا المرض الخطير ، واستأنف نشاطه العلمى والأدبى دون ملل ولا كلل . وقد كتب (روضة النسرين) فى آخر سنى حياته وكذلك (نثير فرائد الجمان) .

وودع أبو الوليد هذه الحياة بفاس ، التى عاش بها مراحل حياته المعروفة وارتبط بكثير من شخصياتها العلمية والدينية والسياسية ، وترك بها سمعة طيبة تتجلى فى كتب المؤلفين من أهلها منذ عصره إلى الآن .

ويظهر أن التاريخ الذى سجله ابن القاضى لهذه الوفاة فى درة الحجال وجذوة الاقتباس ، وهو سنة ٨٠٧ ﻫ / ١٤٠٥ م ، أصح من التاريخ الذى نقله

---

(١) مستودع العلامة ص : ٥٠
(٢) مخطوطة خزانة القرويين ٥٤٣/٤٠

السودانى فى نيـل الابتهاج ، وهو سنة ٨١٠ هـ/١٤٠٧ م ؛ لأن ابن القاضي أعرف بفاس وأعلامها من السودانى ، وله مزيد اختصاص واطلاع على رسومها وخزائنها ومصادر تاريخ أعلامها (١) .

ولا يعرف مدفن أبى الوليد بفاس ، لا فى مقبرة عامة خارج المدينة ، ولا فى مقبرة خاصة داخلها . ومن أجل ذلك ذُكر فى التكملة التى ألحقها الشيخ محمد بن جعفر الكتانى رحمـه الله بكتابه (سلوة الأنفاس) ، وجمع فيهـا أعلام فاس الذين لا يُعرف لهم ضريح معين (٢) .

٥ ـ ثقـافة أبى الوليـد

ثقافة أبى الوليد ابن الأحمر ، هى ذلك المحصول من العلم والأدب والمعارف العـامة ، التى اكتسبها من الدروس التى حضرها ، والكتب التى قرأهـا ، والتجارب التى مارسها فى الحياة ، والمشاهدات التى شاهدها ، مما يشحذ الذهن ، وينمى الادراك ، ويفتح أمام العقل والوجدان آفاقاً من التطلع والفهم .

وهذه الثقافة لا يستطيع البحث أن يحددها تحديداً ، وأن يشخصها تشخيصياً ، إلا أنه لمعرفتها يمكنه أن يعتمد على معالم الحياة الثقافية السائدة فى ذلك العصر من جهة ، وعلى ما تركه أبو الوليد من آثار وإنتاج من جهة أخرى .

فالقرن الثامن الهجرى على العموم كان عصراً علمياً واضح السمات فى كل من المغرب والأندلس ؛ تنوعت فيه المعرفة ، وتشابكت عنـاصر الثقافة ، بين الموضوعات الدينية ، والأدبية ، والذوقية ، عند كثير من الأعلام ، هم مؤلفون

---

(١) الدرة جـ ١ ص : ١١٦ والجذوة ص : ٩٩ ونيل الابتهاج ص : ٩٩

(٢) السلوة جـ ٣ ص : ٢٥٦

فى الأدب ، والتصوف ، والتاريخ ، والعلاج الطبى ، ويوزعون جهودهم بين النظم ، والنثر ، حتى فى ذكر أخبار الملوك وتاريخ الدول .

ومن أجل الارتباط بين المغرب والأندلس ، والصلات القائمة على جميع المستويات ؛ كانت الثقافة العامة متشابهة ، وأهلها على اتصال هنا وهناك بالرحلات والزيارات والإجازات والمراسلات . بل إن بعضهم كان حريصاً على الاتصال بعلماء المشرق والبحث عما جد لهم من مؤلفات ومنظومات وأسانيد ، فإذا حقق أمنيته فى الرحلة إلى المشرق والاتصال برجاله ، كان ذلك مدعاة إلى شهرته واتخاذه شيخاً وسنداً .

ونظرية ابن خلدون فى هذا الموضوع ينبغى أن تؤخذ مع شىء من التحفظ والحذر ؛ لأنها – فيما يظهر – مبنية على استقراء غير تام ، لا من الناحية المنطقية ، ولا من الناحية العملية ، الملموسة فى تراجم كثير من أعلام هذا العصر ، وحرصهم على ربط الأسانيد فى كل علم وفى كل كتاب (١) .

فالعصر الذى يظهر فيه ابن رُشَيْد السبتي ، وابن سعيد الرعينى ، وعبد المهيمن الحضرمى ، وأبو القاسم ابن رضوان ، وابن الخطيب ، وابن خلدون نفسه ؛ لا ينبغى أن يوصف بما وصفه به ابن خلدون بنظرته التشاؤمية وحكمه الشبيه بالحكم الجزافى .

والبيئة العلمية التى عاش وسطها أبو الوليد ، بيئة انعكست عليها سمات العصر وما يزخر به من معارف متنوعة ، وروايات متشابكة ، وتجارب كان لابد منها لاستكمال عناصر الثقافة الشخصية والاجتماعية . وهنا ينبغى أن يُنظر فى مثال قدمه أبو الوليد دالا على الاشتباك والارتباط بواسطة الاهتمامات الثقافية .

---

(١) المقدمة ص ٧٧١ وما بعدها . ط بيروت سنة ١٩٦١

رحل الامام ابن مالك النحوى عن الأندلس واستقر بدمشق ، وهناك ظهر علمه وفضله وتعدد تلاميذه ، وكان من جملة المتأدبين بأدبه ، الشاعر شهاب الدين أبو الثناء محمود بن سليمان الحلبى ، المتوفى بدمشق سنة ٧٢٥ هـ/ ١٩٢٤م(١) الذى نظم ديواناً شعرياً فى المديح النبوي سماه (أهنا المنائح فى أسنى المدائح) ، وكان ضمن هذا الديوان قصيدة حجازية نظمها الشاعر وهو فى طريقه إلى المدينة المنورة كان مطلعها :

(وصلنا السرى وهجرنا الديارا وجئناك نطوى إليك القفارا)

وسمع هذه القصيدة منه الرحالة المغربى ابن رشَيْد السبتى سنة ٦٨٩ هـ ، ورجع إلى المغرب فأنشدها فى دروسه ، وسمعها منه عدد من تلاميذه المغاربة والأندلسيين ، وكان من جملة من رواها عنه من الأندلسيين : الشيخ فرج ابن قاسم ابن لب التغلبى ، وهو من شيوخ أبى الوليد ابن الأحمر الذين أخذ عنهم بطريق المكاتبة ، كما مر عند الحديث عن شيوخ أبى الوليد ، واهتم ابن لب بهذه القصيدة الحجازية ، وعارضها بقصيدة رواها أبو الوليد فى (نثير الجمان)(٢) ، وأبو العباس المقرى فى النفح(٣) .

وسمع القصيدة من ابن رشيد شيخان آخران من شيوخ أبى الوليد ، هما القاضى محمد بن عبد الملك الفشتالى ، ومحمد بن عبد الرحمن المومنانى ، ثم سمعها منهما بفاس أبو الوليد ، وإذ ذاك اهتم بها وشرحها شرحاً لغوياً فى كتابه (نثير الجمان)(٤) . فعلى أى شىء يدل هذا المثال الصغير الذى ضربه أبو الوليد ، حينما عزم على شرح قصيدة حجازية ؟ إنه ولا شك يدل على ما

(١) الدرر الكامنة جـ ٥ ص ٩٢ وفوات الوفيات جـ ٢ ص ٥٦٤ ونفح الطيب جـ ٢ ص ٢٢٣ و ٢٢٥ و جـ ٥ ص ٥١١

(٢) ورقة ٥٣ / و

(٣) جـ ٥ ص ٥١٠

(٤) ورقة ٥٤ / و

لهذا العصر من سمات ثقافية ارتبط بها أهل المغرب والأندلس والمشرق ، وأدى هذا الارتبـاط إلى اتصال الأسانيد ، وتكاثر الصلات فى كل ميدان من ميادين الثقـافة .

وأبو الوليد فى عصره لم يكن مثقفاً خاملا جامداً منقبضاً عن الناس ، يعيش فى برج من الأبراج العاجيـة ، يحول بينـه وبين الاستفادة والافادة ، والمشاركة فى الحياة العلمية ، وتتبع حركة رجالها وآثارهم على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم ، كما أنه — لروحه الأدبية ومشاعره الوطنية — كان مهتما بأدب معاصريه يبحث عنه ويدونه ويسهم فيه بإنتاجه نظماً ونثراً .

وحيث أنه يعيش فى فاس ، فقد اتصل بعدة منابع ثقافية ، كانت تغذي فكره وروحه ووجدانه وتمده بعدة أسباب لينمى ثقافته وتجربته . فقد اتصل بالقرويين ورجالها — شيوخاً وطلبة — اتصالا وثيقاً ، ولازم حلقات دروسهم حيث يتحدث فى التراجم التى كتبها فى (نثير الجمان) عن بعض الأعلام الذين لازم دروسهم واستفاد منهم . فالشيخ الحسن بن عثمان بن عطية الونشريسى المكناسى ، كان يحضر دروسه التى كان يلقيها فى دراسة كتاب مختصر ابن الحاجب فى الفقه المالكى ، ومن أجل ذلك أجازه فى العلوم التى يحملها إجازة عامة (١) . والشيخ الحسن بن عطية الونشريسى وهو عم سابقه ، كان ابن الأحمر يلازم دروسه فى المدونة والرسالة ، وكلاهما من الكتب الأساسية فى الفقه المالكى (٢) . ويزيد ابن الأحمر : أنه يروى عن هذا الشيخ كتاب الموطأ للامام مالك وقد أجازه فيه (٣) .

وإلى جانب هذه الثقافة الفقهية ، يتحدث أبو الوليد عن ثقافته فى النحو والأدب ، وأنها ترجـع إلى دروسه التى أخذها عن شاعر أديب نحوي ، هو

---

(١) نثير الجمان ، الورقة ٩٩ / و

(٢) المصدر السابق .

(٣) نيل الابتهاج ص ٦٢

أبو المكارم منديل ابن آجروم . درس عليه مقامات الحريرى وغيرها من الكتب التى اشتهر ابن آجروم بتدريسها فى القرويين (١) .

ويتحدث عن شيخه عبد الغفار البوخلفى ، أنه أجازه إجازة عامة فى الأدب والتاريخ (٢) . وعن شيخه عبد الرحمن ابن رشد المعروف بابن الحفيد أنه أجازه فى قصيدة البردة (٣) .

وعقد أبو الوليد مع النابهين من العلماء والطلبة — وفيهم عدد من أهل الأدب والتاريخ والمدرسين والموثقين بسماط عدول القرويين — صلات ودية استفاد منها ثقافياً وتحدث عنها فى بعض كتبه .

فمع المدرسين والطلبة كان يحضر — إلى جانب حلقات الدروس — مجالس المناظرة والمساجلة والمذاكرة فى الموضوعات التاريخية والأدبية . وفى مجلس من هذه المجالس — التى كانت فى القرويين — حضر أبو الوليد فى شهر ربيع الثانى من سنة ٧٦٤ هـ مع بعض زملائه وأساتذته ، وكان الموضوع الذى اهتم به الجميع ونظموا حوله أبيات ومقطعات ، هو موضوع السيف ، الذى قيل إنه جعل فى أعلى صومعة القرويين ، وقيل إنه من سيوف مؤسس المدينة ، جعله هناك عامل عبد الرحمن الناصر الأموى ، لما كان يبنى صومعة القرويين ؛ تخليداً لذكراه وتبركاً بآثاره . وقد أنشد الشعراء الحاضرون أبياتاً فى هذا الموضوع التاريخى الطريف ، وعبر كل واحد عن وجهة نظره ورأيه فى الموضوع . وسمع أبو الوليد ذلك كله فسجله وجعله باباً من أبواب (نثير الجمان) ختم به

---

(١) نثير الجمان ورقة ١١٥ / و
(٢) المصدر السابق الورقة ١١٥ / و
(٣) المصدر السابق الورقة ١٠١ / و

الكتاب (١) ؛ وكان مؤرخ معاصر قد اهتم بهذا الموضوع وذكر ما قيل فيه من الشعر ، وهو أبو الحسن الجزنائى (٢) .

ومع الشهود الموثقين — وكانت حوانيتهم فى السماط تضم نخبة من المثقفين ثقافة فقهية وأدبية ، وفيهم العالم ، والأديب ، والمؤرخ ، والفرضى ، والنسابة ، والتعاليمى ، والمحاضر بالطرائف والفوائد والأخبار — يجالس أبو الوليد هناك بعض أصدقائه ويتتبع ما يروج من نكت وأخبار ، وما يجرى على الألسنة من جد الكلام وهزله ، وصحيحه وسقيمه . وقد تحدث بذلك وذكر عدة أشياء تتعلق بأخبار هؤلاء الشهود ، مما يدل على أنه كان متصلا بهم ، مجالساً لطائفة منهم .

ففى ترجمة صاحبه العدل بسماط الشهود ، محمد بن أحمد الكومى التازى ، يروى أبو الوليد ما يأتى :

« قعدت أنا معه فى حانوته بسماط شهود فاس لعلم اقتنيه ، فتكلمت معه فى مسألتين فقهية وأدبية ، فرزقنى الله عز وجل حسن الفهم فيهما ، واستحسن ذلك منى رحمه الله ، فقال لى جليسه الفقيه العدل أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن بلال الأشعرى ، بعد أن قبل رأسى : بارك الله في عمرك ياسيدى الرئيس على براعة فهمك ، وأنا أمدحك الساعة بأبيات . فقلت له : افعل . فما كان إلا يسيراً ، وقد نطق بهذا الكلام الذى حسبه نظما وهو خارج عن الوزن والمعنى ، فى غاية اللحن والفساد ، ودفعه إلى وهو فى ذلك غاية العجب به ... (٣) » ! ويسترسل أبو الوليد فى تسجيل ما أحدثه كلام هذا المتشاعر من سخرية عند زملائه فى السماط .. !

---

(١) المصدر السابق الورقة ١٣٤ / و
(٢) جنى زهرة الآس ٤٧ ط الرباط ١٩٦٧ م
(٣) نثير الجمان الورقة ١١٨

وحاسة أبي الوليد في حب الاستطلاع والبحث ، هي حاسة الرجل المثقف اليقظ الطلعة ، الذي استطاع أن يجمع - إلى جانب ما سمعه وما روى عن شيوخه - عدداً من الكتب ؛ استفاد منها ، وجمع مواد كتبه ، ووسع بها آفاق ثقافته التاريخية والأدبية واللغوية .

وظل أبو الوليد — كما يظهر من إشاراته في كتبه — متصلا بالأجواء العلمية بفاس ، إلى آخر رمق من حياته ؛ يحضر المجالس ، ويسأل ، ويجيب ، ويستجيز كل من رأى في إجازته تشريفاً وتكريماً . بذلك عُرف في عصره وبذلك نعته مترجموه (١) .

واتصال أبي الوليد برجال السياسة والادارة ، وباللاجئين في فاس ، جعله يطلع على أخبار وقضايا ومعلومات متنوعة ، صححت معارفه ، وأكسبته تجربة ، ومقدرة على تفهم أوضاع الحياة في الأندلس وأقطار المغرب ، كما جعلته رجلا متئداً في مواقفه ، بعيداً عن الانغمار والوقوع في المزالق ؛ رغم أنه ظل متصلا بالبلاط المريني مدة طويلة ، تغيرت فيها الأوضاع عدة مرات . فقد رافق الملوك والأمراء ، والحجاب والكتاب ، والوافدين على الدولة ، وحضر المجالس العلمية المتعددة ، التي كان بنو مرين يعقدونها للنقاش والمذاكرة والمشاورة والفتوى ، وتطرح عدة قضايا من الفقه والحديث واللغة والتاريخ والأدب فيها . ولا ريب أن أبا الوليد بحضوره في هذه المجالس كان يغذي ثقافته ، وينمي تجربته ، ويتطلع إلى الآفاق الثقافية التي كان أعلام ذلك العصر يحلقون فيها (٢) .

فالعناصر التي كونت ثقافة أبي الوليد هي :

---

(١) سلوة الأنفاس ج ٣ ص ٢٥٦ وفهرس الفهارس ج ١ ص ١٠٠

(٢) انظر ما كتبه ابن خلدون في رحلته ص ٥٨ . وانظر أسماء العلماء الذين حضروا المجلس العلمي لأبي عنان في مخطوطة شرح البردة للجاديري ، مخطوطة القرويين رقم ٦٤٣ / ٤٠

١ — الدراسة العلمية على أساتذة معروفين .

٢ — التكوين الشخصى بالمطالعة والبحث .

٣ — الاتصال بأعلام وشخصيات متعددة المشارب .

٤ — الاهتمام بأدب العصر وتاريخ المعاصرين .

٥ — الحضور فى المجالس العلمية .

٦ — المراسلة والاستجازة .

وهذه العناصر كلها ـ فيما يظهر ـ تم الحصول عليها وأبو الوليد يعيش فى المغرب ، وفى مدينة فاس على الخصوص .

والنماذج الثقافية التى كانت فى عصر أبى الوليد متعددة . وإذا كان الطابع العام فيها هو عدم التخصص ، فكل نموذج له مشاركة فى عدة ميادين ؛ فإن الممارسة التى ظهرت بها هذه النماذج فى عصرها وفى تراجمها ، جعلتها تشتهر بأنواع من المعرفة دون غيرها .

فابن خلدون معاصر ابن الأحمر ، اشتهر بالتاريخ وفلسفة الاجتماع ؛ مع أنه بدأ حياته الثقافية بتكوين فقهى أصولى ؛ فألف كتابه (لباب المحصل) فى أصول الدين (١) . كما ألف كتابه الآخر فى التصوف (٢) وختم حياته قاضياً شرعياً فى مصر .

وابن الخطيب ، اشتهر بالأدب والتاريخ ، مع أنه ألف فى موضوعات متعددة ، من التصوف والطب والبيزرة والبيطرة ، وسجل بيده من كتب العلوم ما لا يعد كثرة (٣) .

---

(١) مطبوع بتطوان .

(٢) مطبوع باستانبول سنة ١٩٥٨ م

(٣) فهرس الفهارس ج ١ ص ٢٨٢ وابن الخطيب من خلال كتبه ج ٢ ص ١٣٨

وعبد المهيمن الحضرمي ، اشتهر بالانشاء والتوقيع فى بلاط بنى مرين ، مع أن ثقافته الحقيقية ثقافة محدث لغوي نحوي فقيه ، شديد العارضة فى التدريس والمحاضرة (١) .

وهناك نماذج أخرى عاصرها أبو الوليد فى فاس ، وعرفها أو أخذ عنها ، كأبي القاسم ابن رضوان ، ويحيى السراج ، والقباب وابن عباد ، وابن قنفذ ، وغيرها من شخصيات العصر .

وينبغى عند إرادة تقويم ثقافة أبى الوليد ، والاطلاع على مكانته الحقيقية فى المعرفة ، التنبه إلى نقطة أساسية وهى : هنـاك من يترجم أبا الوليد ، وهو ينظر إلى بعض آثاره التى عثر عليها ، فيعطيه من الحلى والألقـاب ما يناسب نظرته الجزئية إلى الشخص وآثاره التى عثر عليها .

وهناك من يترجمه وهو ينظر إلى أصدائه التى بقيت له فى كتب الفهارس والأسانيد ، باعتباره كان فى عصره من الشيوخ الذين جعلوا أنفسهم حملة لأسانيد العلوم والكتب المتعددة ؛ فَيَبْدُو عند الأولين خفيف الوزن عادي الثقافة (٢) ، ويبدو عند الآخرين ثقيل الوزن واسع المعرفة والثقافة (٣) . والحقيقة المستخلصة من واقع ثقافة أبي الوليد عند النظرة الشاملة والاستقراء العام ، هى أنه كان جاداً فى تثقيف نفسه ، بكل ما يملك من وسائل ؛ فيهتم بجمع الكتب والاطـلاع على ما عند غيره منها ، ويسرع إلى تقييـد ما رأى وما سمع من معلومات وفوائد وأشعار .

ففى اللغة والنحو والبيان ، استطاع أبو الوليد أن يكون جديراً بالانتماء إلى مدرسة شيخه أبى المكارم منديل ابن آجروم ، وأن يستفيد من مدرسة

---

(١) فهرس الفارس ج ١ ص ٢٥٨
(٢) الاعلام ج ١ ص ٢٢٩
(٣) فهرس الفهارس ج ١ ص ١٠٠

صاحبه أبى زيد المكودى النحوى الشهير . وملكته اللغوية جعلته متمكناً من فهم النصوص الأدبية وشرحها ، متحكما فى الصناعة الانشائية التى تسود نثره ، والصناعة البديعية التى تسود شعره ، كما هو الشأن عند رجال عصره . والباب الأول من (نثير الجمان) أظهر فيه أبو الوليد غرامه بالثقافة البديعية وحرصه على جمع ما جد منها .

وفى الحديث والفقه ، أسهم أبو الوليد برواية الكتب الحديثية عن شيوخ عصره ، ودراسة كتب الفقه المتعددة على عدد من الفقهاء كما وقعت الاشارة إلى ذلك صدر هذا الفصل .

ولو بقى كتابه (تأنيس النفوس) الذى أكمل به كتاب (نقط العروس) للامام ابن حزم ؛ لظهرت فيه ثقافته فى التاريخ الإسلامى العام والخاص ، وقدرته على تلخيص المعارف وتنظيمها ، كما فعل سلفه ابن حزم .

على أن (فهرسته) التى جمعها لشيوخه وأسانيده ، لو أمكن الاطلاع عليها ، لكانت صورة حقيقية عن معارفه وثقافته ، واتصالاته واهتماماته الخاصة .

وعلى كل فإن ثقافة أبى الوليد بالنسبة لمعارف عصره ، كانت متينة متنوعة فى الجملة ، إلا أن عنصر الأدب والتاريخ كان أبرز ما فيها ؛ فهو ليس موسوعياً كابن الخطيب ، ولا مفكراً سياسياً كابن خلدون ، ولا محدثاً راوية كأبى زكرياء السراج ، ولا فقيهاً مفتياً كالقباب ؛ ولكنه مشارك ذو ذوق فى هضم المعلومات والاستفادة منها . ويظهر ذلك فى انتقائه للمعلومات التى جعلها مادة لكتبه ؛ فهو أديب بطبعه ، إلا أن الثقافة الأدبية وحدها فى ذلك العصر ، لا يمكن أن تحظى بما تحظى به الثقافة العلمية الدينية ، ذات الطابع التقليدى المعهود ؛ لهذا كان أبو الوليد وغيره من رجال عصره يأخذون ثقافة متنوعة فى علوم الدين والأدب .

واستطاع أبو الوليد بذكائه ولباقته ، أن يجعل من بضاعته الثقافية وسيلة من وسائل الارتباط بالسلطة ورجالها ؛ ليحافظ على مكانته الاجتماعية ولينال المبرات والصلات . ولولا ذلك لخيم عليه فى حياته وبعد مماته النسيان والاهمال ، كما وقع لجماعة من أفراد أسرته النصرية ، عاشوا معه فى المغرب ، وكان لهم شىء من الثقافة والمعرفة ، ولكن عين التاريخ قد غفلت عنهم ، كما هو الشأن فى أخيه محمد بن يوسف ، وابن عمه اسماعيل بن فرج ، وكلاهما شاعر أديب (١) ـ (*) .

عبد القادر زمامة

(١) نثير الجمان الورقة ٢١ والورقة ٢٢

(*) للبحث بقية فى العدد المقبل إن شاء الله .

الكتب الجديدة

أولا ـ الكتب العربية (*) :

الاحاطة فى أخبار غرناطة

لذى الوزارتين لسان الدين بن الخطيب

المجلد الثانى

حققه الأستاذ محمد عبد الله عنان ونشرته مكتبة الخانجى

القاهرة سنة ١٩٧٤

بعد أن حقق الأستاذ محمد عبد الله عنان المجلد الأول من الإحاطة ونشره سنة ١٩٥٦ ، وبعد أن قدم هذا المجلد فى طبعة ثانية سنة ١٩٧٣ مراجعاً على مخطوطات وجدها أخيراً بالمغرب ؛ قدم إلى مكتبة التراث الأندلسى المجلد الثانى من هذه الموسوعة الكبيرة التى خلفها الوزير العالم الأديب لسان الدين بن الخطيب .

وقد قدم الأستاذ عنان هذا المجلد محققاً بقدر ما وسعه الجهد ، وجعل بين يدى تحقيقه مقدمة موضحة ، ثم ختم عمله بفهارس مساعدة .

أما المقدمة فقد ألقى فيها الضوء على الأصول التى اعتمد عليها فى تحقيق هذا المجلد ، كما أوضح الطريقة التى سار عليها فى التحقيق ، ثم أبرز أهم محتويات هذا الأثر وما له من قيمة تاريخية وأدبية .

(*) نكتفى فى هذا الباب بالتعريف دون النقد ؛ لأن النقد المنهجى لجملة من الكتب لا تتسع له هذه الصفحات المحدودة ، بل لعلها لا تتسع لكتاب واحد من جملة هذه الكتب ، إذا أردنا نقده نقداً منهجياً .

وقد بين أنه اعتمد فى تحقيقه على الأصول التالية :

أولا ـ مخطوط أكاديمية التاريخ بمدريد (المعروف بمخطوط جاينجوس) المحفوظ برقم CXIII .

ثانياً ـ مخطوط جامع الزيتونة بتونس المحفوظ الآن بدار الكتب الوطنية برقم ٨١٣٥

ثالثاً ـ مخطوط الاسكوريال المحفوظ بمكتبة دير سان لورنثو بهذه البلدة الإسبانية تحت رقم ١٦٦٨ (فهرس الغزيرى) ، ورقم ١٦٧٣ (فهرس ديرنبور).

رابعاً ـ مخطوط الخزانة الملكية بالرباط المحفوظ برقم ١٨٤٠

كذلك بين أنه اتخـذ مخطوط جاينجوس أساساً لتدوين نص المجلد الثانى ومقارنته ، كما فعل فى المجلد الأول :

ثم أوضح أن هذا المجلد الثاني يحتوى على إحدى وثمانين ترجمة ، منها طائفة كبيرة لمشاهير من رجالات الأندلس ، مثل : المعتمد بن عباد ، والمتوكل ابن هود ، ومحمد بن سعيد بن مردنيس أمير الشرق ، والمنصور بن أبى عامر ، ومحمد بن الأحمر الكبير مؤسس مملكة غرناطة ، ومحمد الغنى بالله سلطان بن الخطيب . كل هؤلاء بالإضافة إلى طائفة من كبار الكتاب والشعراء ، مثل ابن جبير ، وابن زمرك ، وابن مرج الكحل ، وابن أبى الخصال ، وابن قزمان . . . وإلى جانب هذه التراجم وغيرها يحتوى الكتاب على كثير من الحقائق التاريخية والأنباء والطرف الأدبية ، فضلا عما يتخلله من نماذج شعرية ونثرية كثيرة .

وأما التحقيق فقد عنى فيه الأستاذ عنان بمقارنة النسخ وتكملة بعضها من بعض ، وأفاد مما ورد ـ نقلا عن ابن الخطيب ـ فى الكتب التى اعتمدت عليه مثـل نفح الطيب للمقرى . . . كذلك اهتم المحقق ـ ما وسعه الجهد ـ

بضبط الأعلام والكلمات المحتاجة إلى ضبط ، كما اهتم بشرح الأسماء التاريخية والجغرافية وتحقيقها ، جاعلا ذلك فى هوامش خاصة .

وأما الفهارس فهى عديدة ، منها فهرس للتراجم الواردة فى الإحاطة كمادة أساسية ، وفهرس للشعر والشعراء ، وفهرس للكتب والرسائل التى ورد ذكرها خلال الكتاب ، ثم فهرس للقبائل والطوائف والدول ، وفهرس للبلدان ، وأخيراً فهرس للأعلام .

وهذا العمل بمقدمته الموضحة ، ونصه المحقق ، وفهارسه المساعدة ، يقع فى أكثر من ستمائة صفحة من القطع المتوسط .

ديوان الصيب والجهام والماضى والكهام

للسان الدين بن الخطيب

دراسة وتحقيق الدكتور محمد الشريف قاهر

نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع — الجزائر سنة ١٩٧٣

هذا العمل يقدم إلى قراء العربية أكبر مجموعة شعرية عرفناها حتى الآن للسان الدين بن الخطيب ، كما يقدم — بين يدى هذه المجموعة الشعرية — دراسة تاريخية أدبية ، تعرف بحياة الشاعر وبيئته ، وتكشف عن نتاجه وأدبه ، وتحدد المخطوطات والمصادر التى اعتمد عليها المحقق فى إخراج نصه ... وهكذا جاءت فصول الدراسة على هذا النحو :

الفصل الأول : غرناطة الإسلامية .

الفصل الثانى : حياة ابن الخطيب .

الفصل الثالث : إنتاج ابن الخطيب الفكرى .

الفصل الرابع : شعر ابن الخطيب .

الفصل الخامس : مخطوطات الديوان .

وقد أوضح المحقق أنه اعتمد على خمس مخطوطات لجمع مادة هذا الديوان الشعرية وتحقيقها . ونسخ هذه المخطوطات هى :

أولا - نسخة الأستاذ محمد الفاسى .

ثانياً - نسخة الشيخ العربى الحريشى .

ثالثاً - نسخة الأستاذ محمد المنونى .

رابعاً - نسخة القرويين .

خامساً - نسخة الأستاذ محمد الشاذلى النيفر .

كما أوضح أنه استفاد - إلى جانب ما فى هذه النسخ - من مؤلفات ابن الخطيب الأخرى الكثيرة المنشورة والمخطوطة ، كما استفاد من المؤلفات العديدة التى خلفها من عاصروا ابن الخطيب كابن خلدون ومن أتوا بعده كالمقرى .

وقد ختم الدكتور محمد الشريف عمله بفهارس ثلاثة .

أولها : فهرس الموضوعات ، وقد جعله لفصول الدراسة ، ثم لمحتويات الديوان ، محدداً رقم القصيدة وعدد أبياتها واسم بحرها .

وثانيها : فهرس الأعلام ، وقد ذكرها مرتبة ترتيباً أبجديا وجعل إلى جوار كل علم أرقام الصفحات التى ورد بها .

ثالثها : فهرس المصادر والمراجع . وقد رصد فيه ما رجع إليه أو صدر عنه فى عمل دراسته وتحقيق نصه ، وذلك مع تعريف موجز بالأجزاء وسنة الطبع ومكانه . والعمل فى جملته - من دراسة ونص وفهارس - يتجاوز السبعمائة من الصفحات ذات القطع المتوسط ، يشغل معظمها النص المحقق ، الذى يقدم

أكثر من ثلاثة آلاف بيت من شعر ابن الخطيب ، يتمثل بعضها فى قصائد طوال ومتوسطة وقصار ، كما يتمثل بعضها الآخر فى مقطوعات وأبيات مزدوجة أو مفردة .

وأصل هذا العمل رسالة تقدم بها صاحبها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الجزائر ، ثم ظهر فى كتاب منشور بعد ذلك .

قراضة الذهب فى نقد أشعار العرب

لابن رشيق

تحقيق الشاذلى بو يحيى

نشر الشركة التونسية للتوزيع — تونس ١٩٧٢

فى إحياء هذا الكتاب بعث لأثر قيم من التراث العربى فى النقد الأدبى ، وبه تزداد معرفتنا بابن رشيق القيروانى كناقد ، بعد أن عرفناه من قبل بكتابه « العمدة » . وفى رأى محقق « قراضة الذهب » أن كتاب العمدة « يمثل المذهب العربى الأصيل فى نظرته إلى الشعر عند اكتمال حركة علوم اللغة والأدب والتفقه فيهما ، أى فى نهاية القرن الرابع وبداية الخامس . ثم هو يمثل على الخصوص مذهب مدرسة القيروان الأدبية مع ما قد تمتاز به هذه المدرسة فى نظرتها إلى الأدب . . . »

أما « قراضة الذهب » فهو – كما يقول المحقق – « صورة ذهن ابن رشيق وتفكيره الشخصى وتفقهه ، لا فى الصناعة الشعرية بل فيما هو أبعد من ذلك ، فى (الخلْق الشعرى) على حد المصطلح العصرى » . ذلك أن قراضة الذهب ليس كما ذهب إليه الكثيرون رسالة فى السرقة الشعرية ، إنما هى – لمن أمعن

فيها النظر بالدرس والتأمل – تتبُّع المعانى الشعرية ووجوه البديع فى شعر الشعراء منذ أن أخترعها مخترعها ، فتناولها منه من جاء بعده ، فزاد عليها وحسّن ، أو قصر عنه فأخفق . كل ذلك بداية من العصر الجاهلى إلى عصر ابن رشيق . فتساير دراسته دراسة تاريخ الأدب ؛ مما يجعلنى أزيد فى ضبط روح الكتاب وكنهه بأن أقول : إنه دراسة لتطور ذلك الخلْق الشعرى » .

وكان المحقق قد أعد هذا العمل – منذ سنوات – ليكون رسالته الصغرى التى يضمها إلى رسالته الكبرى – عن الحياة الأدبية بإفريقية فى العصر الصنهاجي – ويتقدم بهما إلى جامعة باريس لنيل درجة الدكتوراه . . . ولذا قدم لهذا التحقيق بدراسة بالفرنسية عن ابن رشيق وكتابه ، كما أضاف ثلاثة فهارس علمية ، أولها فهرس للأعلام ، والثانى فهرس للمصطلحات النقدية والأدبية ، والثالث فهرس للأشعار . . . واكتفي من الدراسة العربية التى تقدم بين يدى النص بتمهيد عرفنا من خلاله بتاريخ صلته « بقراضة الذهب » وبقيمته العلمية من وجهة نظره ، وبالأصول التى اعتمد عليها فى تحقيقه ، مبينا أنه اعتمد على مخطوطتين للكتاب ، هما :

١ – مخطوطة باريس ، المحفوظة فى المكتبة الوطنية بها تحت رقم ٣٤١٧

٢ – ومخطوطة القاهرة ، المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٤٥٢

ولم يغفل المحقق الإشارة إلى أنه قد سُبق إلى نشر هذا الكتاب ، الذى ظهر فى القاهرة سنة ١٩٢٦ ، وأنه مع ذلك قد أقدم على نشره لما رآه فى النشرة الأولى من اعتماد على مخطوطة القاهرة وحدها ، ولما وجده بها من احتياج إلى مزيد من التحقيق والضبط والشرح ، مما جعله يعزم على إعادة نشره بصورة أوفى وأدق وأوضح .

والكتاب – بقسميه العربى والفرنسى وفهارسه – يزيد على مائتين وخمسين صفحة من القطع المتوسط .

التعريف بالقاضي عياض

لولده أبي عبد الله محمد

تقديم وتحقيق الدكتور محمد بن شريفه
من منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية والثقافة
بالمملكة المغربية

بتقديم هذا الأثر محققاً منشوراً ، يُحيي الأستاذ محمد بن شريفة كتاباً قيماً من كتب التراجم المخصصة لواحد من الأعلام البارزين فى العالم الإسلامى بعامة ، وفى جناحه المغربى بخاصة . هذا العلَم هو القاضى عياض ، الذى خصص له المقرى – فى القرن الحادى عشر الهجرى – أحد مؤلفيْه الجليلين ، وهو كتاب « أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض » ، أما المؤلف الآخر فقد اهتم فيه المقرى بابن الخطيب ، وهو كتاب « نفح الطيب » .

والكتاب الذى حققه الأستاذ ابن شريفة لا يقل قيمة عن كتاب « أزهار الرياض » ، بل لعله يفوقه فى بعض الجوانب ؛ نظراً لكونه من عمل ابن المترجَم له ، وهو من أقرب الناس إليه ، وأشدهم صلة به ، وأوسعهم معرفة بأخباره وأعظمهم صلة بتراثه .

وقد قدم الأستاذ محمد بن شريفة لتحقيقه لهذا الأثر ، بدراسة معرِّفة بمؤلف الكتاب ، موضِّحة مراحل حياته ، كاشفة عن منابع ثقافته وأوجه نشاطه حتى وفاته .

كذلك اهتمت المقدمة بتتبع مؤلفات صاحب الكتاب ، وأفردت كلا منها بحديث ، وجعلت لهذا المؤلَّف الذى بين أيدينا حديثاً أكثر بسطا وأشمل تفصيلا ؛ حيث حللت الكتاب وأبرزت أهم محتوياته ، ولفتت النظر إلى قيمته .

وفى نهاية العمل جاءت عدة فهارس ، منها فهرس للأعلام ، وثان للبلدان والأماكن ، وثالث للموضوعات .

والعمل كله ـ بدراسته وتحقيقه وفهارسه ـ يقع فى أكثر من مائة وسبعين صفحة من القطع الكبير . وقد ظهر دون أن تسجل عليه سنة نشره . وإن كان صاحبه قد تفضل بإهدائه إلينا سنة ١٩٧٤

درر السمط فى خبر السبط

لابن الأبّار البلنسى

تحقيق وتقديم د. عبد السلام الهراس وسعيد أعراب

طبع مطبعة كريماديس بتطوان سنة ١٩٧٢

هذا العمل إحياء لكتاب من كتب العالم المؤرخ الأديب أبى عبد الله محمد الشهير بابن الأبار ، الذى كان غزير العلم حسن الشعر محترفاً للكتابة كثير التآليف ، حتى لقد خلف نحو خمسين مؤلفا ، من أهمها : « تكملة الصلة » ، و « الحلة السيراء » و « المقتضب من تحفة القادم » ثم هذا الكتاب الذى حققه وقدم له الدكتور الهراس والأستاذ أعراب . وهو أثر قيم لا يقتصر فيه مؤلفه على خبر الحسين بن على فحسب ـ كما قد يوهم العنوان ـ وإنما هو موجز فى أخبار آل البيت جميعاً من أول البعثة إلى مقتل الحسين ، وذلك مع التركيز على الجوانب المأسوية فى هذه الأخبار . . .

وقد افتتح ابن الأبار كتابه بمقدمة فى تمجيد آل البيت . ثم أتبع هذه المقدمة بأربعين فصلا من الفصول القصار ، وفيها كما يقول المحققان : « شخص المؤلف مأساة أهل البيت وتتبع مراحلها وأرخها من بدايتها إلى

نهايتها ، من سَمّ الذراع للوالد الأكبر محمد بن عبد الله وتأليب أبى سفيان قريشاً عليه ، إلى مقتل على بيد أشقى الأشقياء ، إلى سم الحسن رغم تخليه عن الأمر حقنا للدماء ، إلى المذبحة الشنعاء بكربلاء ، التى ذهب ضحيتها الحسين ومن معه فكانت أعظم كرب وبلاء » .

والأخبار المسوقة فى فصول الكتاب ليست معروضة عرضاً تاريخياً فحسب ، بل هى معروضة بطريقة يمتزج فيها التاريخ المعتمد على العقل والحقيقة ، بالأدب القائم على العاطفة والخيال . فالمادة تاريخية والأداء أدبى ، فيه ما يقتضى هذا الأداء من انفعال وتخيل وتجويد أسلوب .

وقد اعتمد المؤلف كثيراً على السجع وألوان أخرى من البديع ، كالتجنيس ، والتضمين ، والاقتباس ، وغير ذلك . وكأنه رأى أن ذلك يجعل أخباره أكثر جاذبية وأشد تأثيراً . وبهذا جاء الكتاب نصاً تاريخياً وأدبياً فى آن . ومن هنا يمكن أن يُعَدَّ وثيقة قيمة فى تاريخ الأدب الشيعى فى المغرب والأندلس .

وقد قام المحققان بعملهما فى التحقيق معتمدين على ثلاث نسخ خطية من كتاب ابن الأبار ، وهى :

١ ــ نسخة الكتانى ، المحفوظة بالمكتبة العامة بالرباط تحت رقم ٢٠٨١ ك.

٢ ــ ونسخة الأستاذ السايح ، التى أعارها صاحبها إلى المحققين .

٣ ــ ونسخة المكتبة الوطنية بمدريد ، المحفوظة بتلك المكتبة تحت رقم ٥١٢٧

كما استعانا بالفصول التى أوردها المقرى فى كتابه « نفح الطيب » نقلا عن كتاب ابن الأبار . وقد جعل المحققان للنص ــ فى صورته المنشورة ــ هامشين ، أحدهما لبيان الفروق بين النسخ ، والثانى للتعاليق ، كشرح الأحداث التاريخية ، ونسبة الأبيات الشعرية ، وكالترجمة الموجزة لبعض الأعلام

الواردة فى النص ، والإحالة على مراجع تفيد أكثر فى التعرف على بعض الأعلام الأخرى ، التى لا تتسع الهوامش لتفصيل القول فيها .

وقدم المحققان للنص بدراسة عرفا فيها بابن الأبار وأعماله ، ثم كانت لهما وقفة مع التشيع بالأندلس ، ووقفة أخرى لإيضاح موقف ابن الأبار من التشيع ، أو للاجابة عن سؤال وارد ـ وبخاصة بعد ظهور هذا الكتاب ـ وهذا السؤال هو : هل كان ابن الأبار شيعياً ؟ .

وقد كانت الإجابة التى اختاراها هى : أن « ابن الأبار من علماء السنة وحفاظها » وأنه لا يؤمن بالتشيع كمذهب ، بل هو فقط محب شديد الحب للنبي وآله ، أو كما يقول المحققان : « فإن تشيع ابن الأبار ينبغى أن نفهمه فى إطار الحب لآل البيت حباً شرعياً » .

وبعد ذلك ختم المحققان دراستهما بوصف الكتاب المحقق وتحليله وبيان قيمته ، وبتوضيح منهجهما وعملهما فيما قاما به من تحقيق .

ثم ختم المحققان عملهما بفهرس للموضوعات ـ يضم فُصُول الدراسة ، وفصول النص ، ثم ببيان للمصادر التى اعتمدا عليها ، مبيناً بها مكان طبع المصدر وسنة نشره .

والعمل فى شكله الكلى يقع فى ثمان وثمانين صفحة من القطع الذى بين المتوسط والصغير .

الشريف الادريسى فى الجغرافيا العربية

تأليف المهندس الدكتور أحمد سوسة

نشر نقابة المهندسين العراقيين ببغداد سنة ١٩٧٤

هذا كتاب ضخم يقع فى أكثر من خمسمائة صفحة من القطع الكبير ، بالإضافة إلى عدد غير قليل من الخرائط والمصورات الجغرافية الهامة ، ويظهر

هذا العمل فى مجلدين ، يمثـل كل منهما بابا كبيراً من بابى الكتاب ، وقد جعل المؤلف للباب الأول ـ الذى يضمه أول المجلدين ـ عنوان « المدخل إلى عصر الإدريسى » . كما جعـل للباب الثانى ـ الذى يضمه ثاني المجلدين ـ عنوان « عصر الإدريسى » .

وفى الباب الأول عرض شامل لحركة الفكر الجغرافى منذ أقدم العصور حتى القرن الثاني عشر ، ابتداء من العصور البابلية والفينيقية ، ومروراً بالإغريقية والرمانية ، ثم انتهاء إلى المسيحية والإسلامية . وذلك مع تتبع لميلاد الفكر الجغرافى ونموه وتطوره ، وبيـان ما طرأ عليه فى كل حقبة من إضافة دافعة ، وما اعترض طريقه من عثرة معوقة . . .

وقد جاءت أقسام هذا الباب الأول ـ الذى يضمه أول المجلدين ـ على النحو التـالى :

القسم الأول : الكارتوغرافية والجغرافيا فى العصور القديمة .

القسم الثانى : التطورات الكارتوغرافية والجغرافيا فى عهد اليونان والرومان .

القسم الثالث : الجغرافيا العربية فى عهد الانبعاث .

القسم الرابع : الجغرافيا العربية فى دور النضج والإبداع والابتكار .

القسم الخامس : مقومات الجغرافيا والكارتوغرافيا العربية .

وتحت كل قسم من هذه الأقسام أتت فصول ومقـالات تتبع بالتفصيل الجوانب المختلفة لموضوع القسم .

أما الباب الثانى فعلى الرغم من أنه يحمـل عنوان « عصر الإدريسى » ـ الذى يوهم أنه سيقصر الحديث على عصر الرجل ـ فإننا نراه قد تحدث عن العصر ، كما تحدث عن الرجل ، ثم تناول أعماله بالبحث والدرس ، وخاصة كتاب « نزهة المشتاق » ، ثم ختم هذا الباب ببحث عن « الإدريسى والجغرافيا

العربية فى العصور الوسطى » فيه تعريف مركز بخمسة عشر عالماً ـ هم أهم الجغرافيين العرب ـ وفيه أيضاً تعريف بأعمالهم ، وتقديم صور لأهم ما لهم من خرائط ومصورات تتصل بالجغرافيا .

وقد جاءت أقسام هذا الباب الثانى ـ الذى يضمه ثانى المجلدين ـ على النحو التالى :

القسم الأول : ترجمة حياة الشريف الإدريسى .

القسم الثانى : المحيط الذى عايشه الإدريسى فى صقلية .

القسم الثالث : أسلوب الإدريسى وطريقته فى إنجاز أعماله الجغرافية .

القسم الرابع : الجغرافيون الأندلسيون والمغربيون قبل عصر الإدريسى .

القسم الخامس : المرحلة الرابعة من أعمال الإدريسى .

القسم السادس : مخطوطات كتاب نزهة المشتاق .

القسم السابع : الدراسات المطبوعة من كتاب نزهة المشتاق وخارطاته .

القسم الثامن : كتاب نزهة المشتاق فى الميزان .

القسم التاسع : مؤلفات الإدريسى .

القسم العاشر : الإدريسى والجغرافيا العربية فى العصور الوسطى .

وهكذا يلاحظ أن محتوى الكتاب أوسع بكثير من عنوانه ، وأنه يوشك أن يكون موسوعة فى الفكر الجغرافى ، وبخاصة عند العرب حتى القرن الثانى عشر .

والكتاب مطبوع طباعة فاخرة على ورق مصقول ، وقد بدا فيه الاهتمام بالخرائط والمصورات التى جاء عدد منها ملوناً .

مع شعراء الأندلس والمتنبي

سير ودراسات

تأليف الأستاذ إميليو جارثيا جومث
نقله إلى العربية الدكتور الطاهر أحمد مكى
نشر مكتبة وهبه بالقاهرة سنة ١٩٧٤

هذا الكتاب ترجمة جيدة وذكية لثلاثة أعمال المستشرق الإسبانى الكبير ، الأستاذ « إميليو جارثيا جومث » .

أما العمل الأول – والأساسى – فهو كتابه المسمى « خمسة شعراء مسلمين » ، الذى ظهرت الطبعة الأولى منه بالإسبانية فى مدريد سنة ١٩٤٤ ، والذى يضم سيرا ودراسات لواحد من شعراء المشرق وأربعة من شعراء الأندلس ، وهؤلاء الشعراء الخمسة هم على الترتيب : المتنبى ، والأمير الطَّلِيق ، وأبو إسحق الإلبيرى ، وابن قُزمان ، وابن زَمْرَك .

وأما العمل الثانى فهو دراسة بالإسبانية عن ابن الزقَّاق ، صدّر بها الأستاذ جومث مختارات انتقاها من شعر هذا الشاعر الأندلسى ، وترجمها إلى الإسبانية . وقد نشر هذا العمل المعهد الإسبانى العربى بمدريد سنة ١٩٦٠

وأما العمل الثالث ، فهو مقال كتبه المستشرق الإسبانى الكبير بالفرنسية عن « ابن هانئ والمتنبى » ، ونشره فى مجموعة الدراسات التى أصدرها معهد الدراسات الإسلامية التابع لجامعة باريس سنة ١٩٥٠ ، تكريماً للمستشرق الفرنسى مرسيه .

وقد نسق المترجم هذه الأعمال الثلاثة وأخرجها فى كتاب واحد ، اختار له عنوان : « مع شعراء الأندلس والمتنبى » ، وحافظ فى ترجمته على روح النص الأصلى وقيمه الفنية وذوقه الإسبانى بقدر الإمكان .

وتجاوز الدكتور الطاهر مكى عمل المترجم التقليدى ، وذلك بأن أثرى عمله بالإضافات الموضحة للأسماء التى يحتاجها القارىء العربى ، ثم بالزيادات فيما تحسن الزيادة فيه من نماذج شعرية ، كان الأستاذ المؤلف قد اقتصر على أجزاء منها ، وأحال فى الباقى على مراجع ميسرة للقارىء الإسبانى . كذلك أثرى الدكتور المترجم عمله بضم ما عثر عليه من شعر للطَّليق ، إلى ما كان قد عثر عليه الأستاذ المؤلف وقدمه ضمن دراسته عن الشاعر . . . وبذلك تحقق تعاون مثمر بين المؤلف والمترجم ، جعل هذا العمل يخرج - فى صورته العربية - مجلداً متكاملا يضم أكثر من ثلاثمائة وخمسين صفحة من القطع المتوسط .

ثانيـاً ـ الكتب الاسبانية (*) :

عروض الموشحات والعروض الاسبانى

تأليف الأستاذ إميليو جارثيـا جومث
من منشورات مجلة « الأندلس » بمدريد سنة ١٩٧٥

فى هذا الكتـاب يقدم الأستاذ إميليو جارثيا جومث مزيداً من التأكيد لنظريته فى عَروض الشعر الفِقْرِىّ الأندلسى ، وهى النظرية التى كتب فيهـا من قبل ، وخاصة فى دراسته عن ابن قزمان . . . وقد أراد بهذه النظرية أن يقول : إن الشعر الفِقْرِىّ ـ شعر الأزجال والموشحات ـ لا يخضع لموازين العروض التقليدى العربى ـ الذى توزن به القصائد ـ وإنما يخضع لعروض خاص هو عروض غربى ، نشأ فى إسبانيا ، تماما مثل الأزجال والموشحات ، ومثل الأشعار الإسبانية وخاصة « الرومانثيات » .

فبعد أن أيد الأستاذ جومث نظريته هذه ـ فيما سبق ـ بنماذج أزجال ابن قزمان ، زادها ـ هنا ـ تأييداً بنماذج مجموعة الموشحات المسماة « جيش التوشيح » للسان الدين ابن الخطيب . فعلى تجربة عملية فى موشحات هذه المجموعة التى تبلغ ١٨٢ موشحة ؛ خرج الأستاذ جومث بما يرى أنه يدعم نظريته ؛ حيث استطـاع ـ بطريقته الخاصة ـ أن يرد كل موشحة من تلك الموشحات إلى عروضها المشابه للعروض الإسبانى الغربى .

(*) نقتصر هنا ــ كما فعلنا بالنسبة للكتب العربيـــة ــ على التعريف دون النقد ، نظراً لضيق المجال ، ورغبة فى التعريف بأكبر عدد من الأعمال .

وبهذا رأى أن نظريته انطبقت على لونى الشعر الفقرى ؛ حيث انطبقت من قبل على الأزجال ممثلة فى مجموعة أزجال ابن قزمان ، ثم انطبقت أخيراً على الموشحات ممثلة فى مجموعة موشحات ابن الخطيب .

وهكذا يزيد الأستاذ جومث من تأكيد الفكرة القائلة بأندلسية الأزجال والموشحات ؛ وذلك بإضافة دليل جديد ، هو هذه المرة دليل الموسيقى التى تحكم هذا النـوع من أنواع الشعر ؛ فهى – فى رأيه – موسيقى غربيـة ، وليست موسيقى شرقية ، كتلك التى تحكم الشعر التقليدى الذى موطنه المشرق .

وقد اشتمل كتاب الأستاذ جومث على مقدمة وثلاثة أقسام . أما المقدمة ، فقد عرض فيها المؤلف لتاريخ دراسته المتصلة بهذا الموضوع ، الذى يعتبر هذا الكتاب حلقة من حلقاته . ثم أتبع ذلك بملاحظات إيقاعية ، وجداول عروضية ، وبيان بمصطلحات الموشحة وأقسامها ؛ وذلك ليلقى الضوء على مادة بحثـه ويعرف القارىء بأدوات هذا البحث . . وأما القسم الأول ، فقد جعله دراسة تاريخية لمجموعة « جيش التوشيح » لابن الخطيب . . وأما القسم الثانى ، فقد خصصه لفصلين ، الأول يتناول البناء الخارجى للموشحة ، والثانى يتناول البناء الداخلى لها . . وأما القسم الثالث ، فقد جعل عنوانه « البحور والإيقاعات » . وفيه قد عرض – من خلال فصول سبعة – لسبعة ألوان من إيقاعات الشعر وموسيقاه ، وذلك فى دراسة مفصلة مقارنة ، أراد بها الأستاذ جومث رد الموشحات التى يضمها « جيش التوشيح » إلى ما رأى أنها موسيقاها الحقيقية من بحور الشعر الاسبانى ، مستشهداً على ما يقول بنماذج من هذا الشعر ، الذى يرى أن نماذجه ونماذج الموشحات والأزجال قد نبتت جميعـاً فى أرض واحدة هى إسبانيا ، وخضعت لموسيقى شعرية واحدة هى الموسيقى الغربيـة الاسبانية ، لا الموسيقى الشرقية العروضية الخليلية .

والكتاب يقع فى ٢٥٥ صفحة من القطع المتوسط . وقد نُشرت مادته من قبل فى مجلة الأندلس ، العدد ٣٩ لعام ١٩٧٤

مدخل إلى الأدب العربى الحديث

تأليف الأستاذ بدرو مارتينث مونتابث
من منشورات مجلة « المنارة » بمدريد سنة ١٩٧٤

بهذا العمل يقدم المؤلف إلى القارىء الإسبانى أشمل كتاب قُدم إليه باللغة الإسبانية عن الأدب العربى الحديث . فهو يعرف بتطور هذا الأدب عبر فتراته المتعاقبة ، وفى بيئاته الرئيسية ، مع الإلمام بأنواعه المختلفة . كما أنه يعرض لأهم المؤثرات التى انعكست على الأدب العربى الحديث ، ووجهت مسيرته وشكلت ملامحه .

والكتاب يتألف من مقدمة واثنى عشر فصلا . أما المقدمة ، فقد جعلها المؤلف تعريفاً بكتابه ودوافع تأليفه . وأما الفصول فقد خصصها للأدب العربى الحديث وتطوره من خلال التاريخ ؛ بصفته وعاء يضم أهم المؤثرات فى النتاج الأدبى . على أنه عند تميّز الإقليم وغلبه تأثيره فى الأدب ، لجأ المؤلف إلى التخصيص الاقليمى ؛ باعتبار أن المكان له فعاليته التى لا تقل عن فعالية الزمان ، وقد تزيد فى بعض الأحيان .

وهكذا تعاقبت فصول الكتاب مبتدئة بأواخر القرن الثامن عشر كمدخل للعصر الحديث ، ومنتهية بأوائل الثلث الأخير من القرن العشرين كآخر صفحات سجلها التاريخ من أحداث هذا العصر حتى تأليف الكتاب . . وبين هاتين النقطتين تأتى فصول عن : القرن التاسع عشر ، وعن القنطرة التي بين القرنين ، ثم عن أدب المهجر ، ثم عن فترة ما بين الحربين العالميتين ، مع

تفصيل القول فى الشعر - والفن القصصى والمسرح ، والمقال . وبعد ذلك تأتى فصول عن : أدب ما قبل الثورة ، ثم عن أدب الثورة . . وأخيراً يأتى فصل عن الأدب فى المغرب العربى . ثم يختم الكتاب بفصل عن أدب ما بعد سنة ١٩٦٧ وهو أدب النكسة .

والكتاب ـ إلى جانب عرضه التاريخى المهتم أيضاً بالناحية الإقليمية ـ غنى بالنماذج الأدبية الشعرية والنثرية ، مترجمة ـ بطبيعة الحال ـ إلى الإسبانية . كما أنه حافل بالشعراء والناثرين والقصاصين والمسرحيين . هذا مع امتداد المساحة الزمانية التى يتحدث عن أدبها ، من مدخل العصر الحديث إلى ما بعد سنة ١٩٦٧ ؛ ومع اتساع الرقعة المكانية التى يعرض لفنون القول بها ، من المشرق إلى المغرب إلى المهجر .

وهو يقع فى أكثر من ٣٠٠ صفحة من القطع الذى بين المتوسط والصغير .

المعلقــات

ترجمة وتقديم وتعليق

للأستاذ فيديريكو كورينتى

نشر المعهد الإسبانى العربى للثقافة بمدريد سنة ١٩٧٤

هذا العمل يترجم المعلقات السبع إلى الإسبانية لأول مرة ، ويقدم للترجمة بدراستين ، أولاهما أدبية ، وثانيتهما تاريخية ؛ لكي يوضح للقارىء الإسبانى أهم القيم الفنية التى احتوتها المعلقات ، وأبرز السمات التى بلورتها ، حتى كانت مثلا أعلى للشعر العربى قبل الإسلام ؛ ثم لكى يوقف القارىء نفسه على الجانب التاريخى الذى تعد المعلقات تعبيراً أدبياً عنه ، أو تصويراً شعرياً له . . ولم يفت الأستاذ كورينتى أن يشير إلى القضايا الأدبيــة التاريخية المتصلة بالمعلقات نفسها

كنص أدبى عربى قديم ، ومن هذه القضايا قضية عددها ، وروايتها ، وتدوينها ، والشك فيها ، وتوثيقها ، وغير ذلك من القضايا التى أثارتها تلك القصائد العربية القديمة النموذجية ، التى شغلت الباحثين فى القديم والحديث ، وفى الشرق والغرب على السواء .

وقد اهتم الأستاذ المترجم بأن يجعل بين يدى ترجمته لكل معلقة ، تعريفاً بالشاعر صاحبها ، يُلم فيه باسمه وكنيته ولقبه ، وآبائه ، وقبيلته ، وشخصيته ، وأهم أحداث حياته ؛ وبخاصة تلك الأحداث التى لها صلة بمعلقته ، تأثيراً فيها ، أو وروداً بها .

كذلك لم يفت الأستاذ المترجم أن يفسر ـ فى هوامش ترجمته لكل معلقة ـ ما غمض من أبياتها ؛ وذلك لأنه اكتفى فى ترجمة النص بالجانب الحرفى ، مما يحتاج إلى مزيد من الإيضاح الذى لا تتحمله الترجمة نفسها . ولذا شرح ما عرض ـ فى النص المترجم ـ من غوامض تاريخية وجغرافية ، واجتماعية ، وأدبية ؛ حتى يتيسر الفهم أو التصور أو الاحساس لدى المتلقى الإسبانى الذى لا يعرف العربية . فهذا القارىء يقرأ نصاً عربياً قديماً ، يرجع تاريخ إنتاجه إلى نحو ألف وستمائة سنة ، ويعبر عن حياة أناس عاشوا فى بيئة مخالفة ، وكانت لهم عادات وتقاليد مغايرة ، ولهم ـ قبل هذا كله ـ أسلوب لغتهم ، وجماليات شعرهم ، التى تختلف كثيراً عن أسلوب لغة المتلقى وجماليات شعر قومه .

والكتاب مصدَّر بمدخل ـ بقلم المترجم ـ تحدث فيه عن دوافع ترجمته للمعلقات ، وعن منهجه الذى أخذ نفسه به ، وعن مراحل قيامه بهذا العمل .

كذلك خُتم الكتاب بقوائم ببليوجرافية ، تسجل ما اعتمد عليه المترجم من مصادر ، وما أفاد منه من مراجع ، كما تسجل ما يمكن أن يفيد فى موضوع المعلقات وما يتصل به من موضوعات .

وهو يقع فى مائة وإحدى وأربعين صفحة من القطع المتوسط .

قاهرة محمود تيمور

شخصيات أدبية

تأليف الأستاذة إوخنيا جالبث

من منشورات جامعة إشبيلية سنة ١٩٧٤

فى هذا الكتاب تعريف للقارىء الإسبانى بمحمود تيمور وأدبه بعامة ، ثم بالشخصيات المصرية التى رسمها فى قصصه بخاصة . وقد حاولت الأستاذة المؤلفة أن تستنبط من مجموع هذه الشخصيات ـ بطبقاتها ، وأعمالها ، وبيئاتها ـ صورة اجتماعية للقاهرة فى أدب الكاتب المصرى الكبير .

وقد اشتمل الكتاب على مقدمة وستة فصول . . وفى المقدمة تحدثت المؤلفة عن مصر وتطورها فى العصر الحديث ، وعن ظهور فنون أدبية حديثة بها ، من أهمها الفن القصصى . كما تحدثت عن سر اختيارها لموضوعها وأهميته من وجهة نظرها . . وفى فصول الكتاب تناولت صاحبته أولا : حياة محمود تيمور ، وأعماله ، وأسلوبه ، ولغته فى فن القصص القصيرة . ثم تحدثت بعد ذلك عن الشخصيات الأدبية فى قصصه ، مبتدئة بالأرستقراطية والبرجوازية العالية ، ومبرزة فى هذا المجال شخصيتى الباشا والبيك . ثم أتبعت ذلك بالبرجوازية الصغيرة ، مدرجة تحتها الأفندى والمدرس . ثم تحدثت بعد هذا عن أصحاب المهن ، مفسحة فى هذا الحديث مجالا للصحفى والممثل والعسكريين الأجانب . . وبعد ذلك تناولت أصحاب الأعمال الصغيرة ورجال الحرف ، وهم عديدون ، مثل النجار والحلاق واللبان والعربجى والسايس والبائع المتجول والحاوى والبواب . . وأخيراً ختمت المؤلفة فصول كتابها بفصل عن عالم الطبقة الدنيا ، وأبرزت بصفة خاصة : الخاطبة ، والمستغل ، والمتسول ، والغانية . . وفى نهاية الكتاب وضعت المؤلفة قوائم ببليوجرافية متعددة ، بعضها يخص المراجع التى

اعتمد عليها البحث ؛ وبعضها يتصل بالعالم الإسلامى المعاصر والشرق الأوسط ومصر ؛ وبعضها يحصى أعمال محمود تيمور ، من مجموعات قصص قصيرة ، وروايات ، ومقالات ، ومسرحيات ؛ وآخر هذه القوائم يبرز أهم الدراسات التى تناولت محمود تيمور ، والترجمات التى نقلت عن أدبه ، والتلخيصات التى عُملت لشىء منه .

وقد صَدَّر الكتاب الأستاذ بدرو مارتينث مونتابث بحديث تمتزج فيه العاطفة الحارة بالفكر الرصين ؛ حيث تحدث عن القاهرة ومنزلتها الأثيرة لديه ، وذكرياتها العزيزة عليه ؛ كما تحدث عن الكتاب وقيمته ، وعن المؤلفة وجهدها ؛ منذ كانت تعد هذا العمل لتتقدم به إلى جامعة مدريد لنيل درجة الدكتوراه .

والكتاب يقع فى أكثر من مائتي صفحة من القطع المتوسط .

نجيب محفوظ

أقاصيص حقيقية وغير حقيقيـة

اختيـار ، وترجمة ، وتقديم
للأستاذ مارثيلينو فييجاس ، والأستاذة ماريا خسوس فيجيرا

يضم هذا الكتاب أكبر عدد مترجم إلى الإسبانية من قصص نجيب محفوظ القصيرة . وهذا العدد من القصص مختار من كل المجموعات القصصية التى نشرها نجيب محفوظ حتى سنة ١٩٧١ ، باستثنـاء مجموعته المسماة « شهر العسل » الصادرة فى العام نفسه .

ومن هنا تعد هذه المجموعة التى بين أيدينا ممثلة لتطور فن القصة القصيرة عند هذا الكاتب اللامع ، ومعرّفة للقـارىء الإسبانى بنماذج من هذا التطور ومراحله .

ففي الكتاب سبع عشر قصة ، تُغَطِّى تقريباً كل مجموعات نجيب المنشورة . . وهذه القصص هى : « بذلة الأسير » و « حياة مهرج » ، وهما من المجموعة الأولى لنجيب ، التى نشرها سنة ١٩٣٨ بعنوان « همس الجنون » . . ثم قصص : « الجامع فى الدرب » و « ضد مجهول » و « زينة » و « الجبار » و « الحادث » و « صورة قديمة » ، وهذه الست من المجموعة الثانية له ، التى نشرها سنة ١٩٦٣ بعنوان « دنيا الله » . . ثم قصة : « موجة الحر » وهى من المجموعة الثالثة التي نشرها نجيب سنة ١٩٦٥ بعنوان « بيت سيىء السمعة » . . ثم قصص : « المتهم » و « المعجزة » و « الرجل السعيد » و « روضة الأطفال » ، وهذه الأربع من المجموعة الرابعة التى نشرها سنة ١٩٦٨ بعنوان « خمارة القط الأسود » . . ثم قصص : « النوم » و « الوجه الآخر » و « ثلاثة أيام فى اليمن » ، وهى من المجموعة الخامسة التى نشرها نجيب سنة ١٩٦٩ بعنوان « تحت المظلة » . . وأخيراً قصة : « حارة العشاق » وهى من المجموعة السادسة التى نشرها سنة ١٩٧١ ، بعنوان « حكاية بلا بداية ولا نهاية » .

وقد صُدِّر الكتاب بمقدمة لهذه القصص المختارة المترجمة . وهذه المقدمة تحاول أولا أن تفسر دوافع إقبال المترجمَيْن على ترجمة القصص القصيرة بخاصة من بين نتاج نجيب محفوظ ؛ الذى اشتهر أكثر بالنتاج الروائى . كما تحاول ثانياً أن تتبع مراحل تطور فن القصة القصيرة عند نجيب محفوظ ، من خلال مجموعاته السبعة المنشورة حتى سنة ١٩٧١ ، بما فيها مجموعة « شهر العسل » التى لم يختر منها المترجمان شيئاً . والمقدمة فى هذا الجزء تشير – فى إيجاز – إلى الاتجاهات المختلفة التى سلكها نجيب محفوظ بفنه القصصى القصير ، وتذكر أنه بدأ متجهاً إلى الواقعية الطبيعية فى مجموعتيه الأولى والثانية ، ثم أخذ يتحول إلى الواقعية الخيالية فى مجموعته الثالثة ، حتى استغرقته تماماً تلك الواقعية الخيالية فى مجموعته الرابعة . . كما تذكر المقدمة أن المجموعات الثلاث الأخيرة لنجيب

تعد أعمال بحث عن الشكل الملائم ، الشكل الذى يتآزر مع التجربة القصصية ويلتحم من الدافع لتسجيلها .

كذلك تذكر المقدمة أنه مع المجموعة الخامسة آثر نجيب شكل « الحوارّية » ، وهو الشكل الذى لجأ إليه أحياناً فى المجموعة الرابعة ، ولكنه لم يؤثره ولم يسمه باسمه إلا منذ تلك المجموعة الخامسة .

وأخيراً تلمّح المقدمة إلى أن قصص نجيب محفوظ كانت فى مرحلتها الأولى تصدر ـ غالباً ـ عن تفاؤل ، وتوحى بالأمل ، وتومىء إلى الحل . أما فى مرحلتها الأخيرة ، فهى تعبر ـ عادة ـ عن يأس ، ولا تقدم مخرجاً أو حلا لما تصور من أزمات .

والكتاب يقع فى مائتين وخمس وسبعين صفحة من القطع الذى بين المتوسط والصغير . وهو من منشورات المعهد الإسبانى العربى للثقافة بمدريدسنة ١٩٧٤ .

الحمـــراء

قاموس عربى إسبانى ، وإسبانى عربى

تأليف موريس جورج قابلانيان

من منشورات رامون سوبينا ببرشلونة

كانت القنطرة بين اللغتين العربية والإسبانية محتاجة أشد الاحتياج إلى تدعيم ، وذلك بعمل بعض القواميس التى تيسر العبور من إحدى اللغتين إلى الأخرى . وقد بقى هذا الجانب شبه منعدم سنوات عديدة ، وكان دارسو الإسبانية من العرب ، ودارسو العربية من الإسبان ؛ يجدون عناء شديداً ، لافتقاد القواميس المساعدة على الدراسة ، فضلا عن الترجمة ونقل نتاج إحدى اللغتين إلى اللغة الأخرى ، ولم يكن أمامهم ـ غالباً ـ إلا اللجوء إلى القواميس الوسيطة كالإنجليزية ـ الإسبانية أو الفرنسية ـ الإسبانية .

وظـل الحال على ذلك حتى سنة ١٩٧٠ ، حين ظهر – لأول مرة – القاموس الإسبانى العربى ، الذى وضعه الأستاذ فيديريكو كورينتى المستشرق الإسبانى الصاعد . وقد أدى بهذا العمل خدمة جليلة ، وسد بعض الفراغ الذى كان يجب أن يسد منذ زمن طويل .

ثم ظهر سنة ١٩٧٤ هذا القاموس الجديد الذى يحمـل اسم « الحمراء » فزاد خطوة على ما بدأه القاموس السابق . فقد ظهر ذا قسمين ، أحدهما إسبانى عربى – كالقاموس الأول – والثانى عربى إسبـانى ، وهو أهم ما أضافه هذا العمل الجديد . وبهذه الإضـافة لبى هذا القاموس حاجة ملحة ؛ فلم يكن قد ظهر من قبل – فيما نعلم – أى قاموس عربى إسبـانى منهجى ، إلا « معجم صباغ » ، الذى وضعه الأستاذ السورى الدمشقى ميجيل صباغ ، وظهر سنة ١٩٣٤ فى المكسيك . ولكن يبدو أن هذا المعجم قد نَفِد منذ زمن طويل ، حتى لم يكن يَعرف خبره أكثر العاملين فى الحقل العربى الإسبانى ، ومعظم من كانوا يعرفون خبره لم يكن فى استطاعتهم العثور عليه ؛ لأنه كان شبه مفقود .

ولذا كان القسم العربى الإسبانى من قاموس « الحمراء » قسما مطلوباً بإلحاح ، ومكملا لبعض النقص الذى طال عليه الأمد .

وقد اقتصر الأستاذ المؤلف على نحو خمسة وعشرين ألف كلمة ، مع أن عمله جاء بعد عمل الأستاذ كورينتى صاحب القاموس الاسبانى العربى الأول ، الذى وصل بالكلمات إلى ثلاثين ألف كلمة .

ولكن صاحب « الحمراء » اجتهد فى عمل إضافات مفيدة لقاموسه ؛ حيث كتب الكلمات العربية فى القسم الاسبانى العربى بالحروف اللاتينية ، مع الرموز التى تساعد القارىء الإسبـاني على نطقها . وهذه الكتابة بالحروف اللاتينية قد جاءت زيادة على الكتابة بالحروف العربية ، التى هى الأساس للقـارىء العربى الذى يريد معرفة معنى كلمـة إسبانية .

كذلك أضاف المؤلف ملاحظات إيضاحية للقارىء الإسبانى فى كيفية نطق الحروف العربية ، وأخرى للقارىء العربى فى كيفية نطق الحروف الإسبانية .

ثم أضاف قوائم للأرقام العربية ومعادلها الإسبانى ، وللأرقام الإسبانية ومقابلها العربى ، ولمختصرات الاصطلاحات المختلفة الواردة فى العمل كله .

والقاموس بقسميه يتجاوز الألف ومائتين وخمسين صفحة من القطع الذى بين المتوسط والصغير .

أحمد هيكل

الأنبـــاء

أولا ـ أنباء المعهد المصرى :

أ ـ المحاضرات :

نظم المعهد فى العامين الدراسيين ٧٤ و ٧٥ سلسلتين من المحاضرات ، التى ألقيت غالبيتها فى قاعته الرئيسية ـ قاعة طه حسين ـ وقام بإلقائها نخبة من كبار الأساتذة المتخصصين فى الدراسات الإسلامية والعربية بعامة ، والأندلسية بخاصة .

ففى عام ١٩٧٤ ألقيت المحاضرات الآتية :

١ ــ « المسلمون والمسيحيون فى قرطبة خلال القرن التاسع » . ألقاها الأب خوسيه ماريا خيراردا أسقف إقليم قرطبة ، فى ٢٥ من شهر يناير سنة ١٩٧٤

٢ ــ « تطور الدراسات الإسبانية العربية خلال السنوات الخمس الأخيرة » . ألقاها الأستاذ الدكتور حسين مؤنس أستاذ التاريخ الإسلامى بجامعة الكويت ، فى ٢١ من شهر فبراير سنة ١٩٧٤

٣ ــ « ترجمة أدبية لمحمود تيمور » . ألقتها الدكتورة إوخينيا جالفث ، الأستاذة المساعدة بجامعة إشبيلية ، فى ١٧ من شهر مايو سنة ١٩٧٤

٤ ــ « العلاقات الثقافية بين مصر وإسبانيا » . ألقاها الأستاذ الدكتور أحمد هيكل مدير المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد ، فى ٢٨ من شهر مايو سنة ١٩٧٤ (بقاعة مؤسسة الادخار بإشبيلية) .

٥ — « مصر من خلال أغانيها » . ألقاها الدكتور صيرافين فانخول جارثيا ، المدرس بجامعة مدريد المستقلة ، فى ٢٩ من شهر مايو سنة ١٩٧٤

٦ — « مصر فى نظر كاتب أوربى حديث » . ألقاها الأستاذ الدكتور بدرو مارتينث رئيس قسم اللغة العربية فى كلية الآداب بجامعة مدريد المستقلة ، فى ٤ من شهر يونيه سنة ١٩٧٤

٧ — « الموروث العربى فى إسبانيا » . ألقاها الأستاذ الدكتور خوان بيرنيت رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة برشلونة ، فى ١٠ من شهر يونيه ١٩٧٤ .

وفى عام ١٩٧٥ ، ألقيت المحاضرات الآتية :

١ — « شكل ثالث للشعر الأندلسى » . ألقاها الأستاذ الدكتور إميليو جارثيا جومث ، الرئيس السابق لقسم اللغة العربية بكلية آداب جامعة مدريد ، فى ١٢ من شهر فبراير سنة ١٩٧٥

٢ — « الروابط المصرية الإسبانية عبر العصور » . ألقاها الأستاذ الدكتور أحمد هيكل فى ١٧ من شهر فبراير سنة ١٩٧٥ (بقاعة مؤسسة الادخار بمدينة وِلْبَة) .

٣ — « طه حسين إنساناً وأديباً » . ألقاها الأستاذ الدكتور أحمد هيكل فى ٣٠ من شهر مارس سنة ١٩٧٥

٤ — « سان ميجيل فى الإسلام والمسيحية » . ألقاها الأستاذ خايمى أوليفر أسين عضو الأكاديمية التاريخية ، فى ٩ شهر ابريل سنة ١٩٧٥

٥ — « المعرفة الشرقية والفلسفة العربية » . ألقاها الأستاذ الدكتور سلفادور جومث نوجالس أستاذ الفلسفة بالمعهد الإسبانى العربى ، فى ١٦ من شهر أبريل سنة ١٩٧٥

٦ — « الفن الإسلامى فى مدن الأندلس » . ألقاها الأستاذ الدكتور عبد العزيز سالم أستاذ التاريخ والآثار بجامعة الاسكندرية ، فى ٢٨ من شهر أبريل سنة ١٩٧٥

٧ — « مصير الموريسكيين بعد خروجهم من إسبانيا » . ألقاها الدكتور ميجيل إيبالثا الأستاذ بجامعة مدريد المستقلة ، فى ٥ من شهر مارس سنة ١٩٧٥

٨ — « من جديد . . توفيق الحكيم » . ألقاها الأستاذ الدكتور بدرو مارتينث رئيس قسم اللغة العربية بآداب مدريد المستقلة ، فى ١٢ من شهر مايو سنة ١٩٧٥

٩ — « الثقافة الإسبانية فى العصر الوسيط وتأثرها بالإسلام » . ألقاها الأستاذ الدكتور كارلوس أريان ، مدير متحف الفن المعاصر بمدريد ، فى ٢٦ من شهر مايو سنة ١٩٧٥

ب - المطبوعات :

أخرج المعهد فى تلك الفترة عددا من المطبوعات العلمية والثقافية وهى :

١ — « تحفة المغترب ببلاد المغرب » تأليف أحمد بن إبراهيم بن يحيى القشتالى ، وتحقيق الأستاذ الدكتور فرناندو دى لا جرانخا الأستاذ بكلية الآداب بجامعة مدريد .

٢ — « بنو هود فى سرقسطة » تأليف الدكتور عفيف ترك الأستاذ بكلية الآداب بجامعة بيروت .

٣ — قسم من « منهاج عربى للاسبان » تأليف الأستاذ الدكتور أحمد هيكل مدير المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد .

٤ — « موجز عن إسبانيا » تأليف الدكتور أحمد هيكل .

٥ — « الفن والثقافة فى إسبانيا » تأليف الأستاذ محمد صبرى العضو الفنى بالمعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد .

٦ — « بيان قرطبة » الذى يضم توصيات المؤتمر الاسلامى المسيحى العالمى الأول الذى عقد فى قرطبة فى سبتمبر سنة ١٩٧٤

٧ — العدد الثامن عشر من مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد .

٨ — الاعلام الجغرافية والتاريخية الأندلسية باللغتين الاسبانية والعربية ، للأستاذ محمد عبد الله عنان .

جـ - المشاركات الفكرية :

شارك المعهد فى عدد من اللقاءات الفكرية أهمها ما يلى :

١ — المؤتمر الاسلامى المسيحى العالمى الأول :

وهو المؤتمر الذى عقد بمدينة قرطبة من العاشر إلى الخامس عشر من شهر سبتمبر سنة ١٩٧٤ م (من الثالث والعشرين إلى الثامن والعشرين من شهر شعبان سنة ١٣٩٤ ه) والذى نظمته ودعت إليه جمعية الصداقة الاسلامية المسيحية بإسبانيا . وهى جمعيـة تزاول نشاطها فى هذا البلد منذ سنة ١٩٦٧ ، وتتكون من مجموعة من المفكرين المسيحيين الاسبان مع مجموعة من المفكرين المسلمين العرب الموجودين فى إسبانيا ، وغالبية الأولين من الجامعيين ورجال الدين ، ومعظم الآخرين من الملحقين والمستشارين الثقافيين بالسفارات العربية بالعاصمة الإسبانية . . وللجمعية رئيسان مشارِكان ، أولهما الدكتور سلفادور جومث

نوجالس أستاذ الفلسفة بالمعهد الاسبانى العربى ، وهو يمثـل الجماعة المسيحية ، والثانى الدكتور أحمد هيكل المستشار الثقـافى ومدير المعهد المصرى بمدريد ، هو يمثل الجماعة الاسلامية . . وأهم أهداف هذه الجمعية خلق جو من التفاهم بين المسلمين والمسيحيين يتيح فرص العمل المشترك بين أبناء الديانتين السماويتين ، ثم إزالة تلك الشوائب التى نشأت بين المسلمين والمسيحيين عبر العصور القديمة نتيجة لبعض الأخطاء أو سوء الفهم ، وأخيراً العمل على تعميق القيم الروحية والأخلاقية فى عالم اليوم الذى يضج بالمادية والانحراف .

وقد لبى دعوة الجمعية لحضور مؤتمر قرطبة ، وفود وأشخاص ينتمون إلى عدد كبير من الدول الاسلامية والمسيحية ، من بينها مصر والسعودية والكويت والعراق وسوريا والأردن ولبنان ، والمملكة المغربية والجزائر وتونس ، ثم إسبانيا وفرنسا والفاتيكان وهولندا والولايات المتحدة الامريكية .

وكانت الجمعية قد طرحت خمسة موضوعات رئيسية للبحث فى المؤتمر ، والقاء دراسات وإدارة مناقشات حولها ، وهذه الموضوعات هى :

- تقديم مسيحى للديانة الاسلاميـة فى صورة تمكن المسلم من رؤيـة نفسه فيها .
- تقديم إسلامى للديانة المسيحية فى صورة تمكن المسيحى من رؤية نفسه فيها .
- الترابط بين التوسع الدينى والتوسع السياسى .
- أزمة العقيدة ، والتجارب التربوية فى كل من الاسلام والمسيحية .
- ميادين العمل المشترك التى يمكن أن يتعاون فيها المسلمون والمسيحيون .

وقد اشتركت مصر فى هذا المؤتمر بوفد رسمى يتكون من :

- الأستاذ الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف فى ذلك الحين .
- الأستاذ ألبرت برسوم وزير الدولة لشئون مجلس الشعب .
- الأستاذ الدكتور أحمد شلبى أستاذ التاريخ بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة .
- الأستاذ الدكتور سعيد عاشور أستاذ التاريخ بكلية آداب القاهرة .
- الأنبا صمويل أسقف الخدمات الاجتماعية بالكنيسة القبطية بمصر .
- الأستاذ الشيخ سيد صقر الأمين المساعد لمجمع البحوث الاسلامية فى ذلك الحين .
- الأستاذ الدكتور أحمد هيكل المستشار الثقافى ومدير المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد .

وفى حفل الافتتاح الذى عقد بقصر الملوك بقرطبة ـ وحضره كبار المسئولين بالعاصمة الأندلسية من مدنيين ودينيين ـ ألقى الأستاذ الدكتور عبد العزيز كامل رسالة موجهة إلى المؤتمر من السيد / الرئيس محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية . ثم توالت أعمال المؤتمر ، حيث ألقيت بحوث فى كل موضوع من الموضوعات المطروحة ، ودارت مناقشات حول هذه البحوث ، كما اختيرت لجنة لتلخيص أهم نقاط البحوث والمناقشات ، ثم لصياغة البيان الختامى والتوصيات التى يخرج بها المؤتمر .

وفى الحفل الختامى ـ الذى حضره نائب عن وزير خارجية إسبانيا ـ ألقى الأستاذ الدكتور أحمد هيكل الكلمة الختامية للمؤتمر ، كما قرأ التوصيات التى وافق عليها أعضاء المؤتمر .

وتلك التوصيات التى تقدم بها المؤتمر إلى العالمين الإسلامى والمسيحى وكل محبى السلام ، هى الاثنتا عشرة الآتية :

١ — إقامة تعاون إسلامى مسيحى ، لتأكيد الايمان بالله ، وتعميق القيم الدينية والانسانية ، وقصر دراسة الخلافات العقائدية على مجالات المتخصصين ، مع الاحترام المتبادل من الجانبين .

٢ — الدعوة إلى تأليف مشترك فى حقل العقيدة ، يتعاون فيه متخصصون من المسلمين والمسيحيين ، لنشر الحقائق الداعية إلى الايمان .

٣ — تيسير تبادل سبل البحث العلمى ، والتعاون بصفة خاصة فى مجال الوثائق والمخطوطات الاسلامية والمسيحية .

٤ — تنقية المناهج والكتب الدراسية فى العالمين المسيحى والاسلامى ، من الأخطاء التى تسىء إلى أى من الطرفين .

٥ — تشجيع تبادل الزيارات ، والاكثار من اللقاءات ، وتوسيع دائرتها ، بين المسلمين والمسيحيين ، لمواصلة الحوار فى الموضوعات المشتركة .

٦ — عقد المؤتمر المقبل بقرطبة بعد عامين ، لمواصلة دراسة الموضوعات التى تهم المجموعتين ، ولمتابعة إنجازات اللقاء الحالى .

٧ — الدعوة إلى إقامة مؤتمرات مماثلة فى البلاد الاسلامية والمسيحية الأخرى ، للتعاون على تحقيق الأهداف التى داعا إليها هذا المؤتمر .

٨ — مناشدة المسلمين والمسيحيين بأن يُعنَى كل منهم بنشر عقائده بين أتباعه ، والإهابة بالهيئات الدينية الاسلامية والمسيحية أن ترعى الوسائل الاعلامية والتعليمية والثقافية والفنية ؛ حتى لا يتسرب منها إلى المجموعتين ما يفسد خططها وأهدافها ، فى تعميق الروح الدينى وتمكينه .

٩ — التعاون بين المسلمين والمسيحيين على منع ما تلاقيه الأقليات الدينية فى أى جزء من العالم ، من اعتداء واضطهاد ، والعمل على وضع حد حاسم لذلك ، إقرارا للسلام والعدل .

١٠ — تأكيد الحقوق الوطنية والانسانية للشعب الفلسطينى ، مع اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعى الوحيد لهذا الشعب . وتأكيد عروبة القدس ، ورفض مشروعات التهويد والتقسيم والتدويل . وإدانه الاعتداءات التى تقوم بها سلطات الاحتلال الاسرائيلى على الشعوب وعلى المقدسات الاسلامية والمسيحية ، وبخاصة المسجد الأقصى . والمطالبة بإطلاق سراح جميع المعتقلين ، لاسيما رجال الدين الاسلامى والمسيحى . وتأييد النضال العادل للشعب الفلسطينى . والمطالبة بتحرير جميع الأراضى العربية المحتلة .

١١ — اعتبار الآثار الاسلامية والمسيحية فى العالم ، تراثاً إنسانياً ينبغى الحفاظ عليه ، والاشادة بالمنجزات التى قامت بها إسبانيا فى هذا المجال ، والمأمول أن تواصل العمل لتحقيق مزيد من النتائج .

١٢ — ومن الحق فى ختام هذا اللقاء أن يتقدم المشتركون فيه بعميق الشكر والعرفان بالجميل لكل من يسّر إقامته ، ويخصون بالذكر جميع المسئولين فى إسبانيا ، وفى قرطبة بصفة خاصة ، دينيين ومدنيين ، مع الاشادة بالروح الطيبة التى فتحت مسجد قرطبة الكبير للمسلمين لأداء الصلاة .

وقد كان من أروع ما حققه المؤتمر أنه أتاح الفرصة لانجاز عمل تاريخى رائع ، وهو فتح مسجد قرطبة الأثرى الكبير لصلاة إسلامية جامعة فى يوم الجمعة الثالث عشر من شهر سبتمبر سنة ١٩٧٤ (السادس والعشرين من شهر شعبان سنة ١٣٩٤) ، بعد أن ظل هذا المسجد مغلقاً فى وجه المسلمين منذ تحويله إلى كنيسة سنة ١٢٣٦ م أى منذ سبعة قرون وثلث تقريباً .

وقد توافدت على المسجد صبـاح ذلك اليوم التاريخى وفود عديدة من المسلمين الموجودين فى إسبانيا للعمل أو للدراسة ، كذلك قدمت بعض الوفود من المغرب العربى ، ثم حضرت من مدريد طائرة خاصة فى صباح اليوم نفسه تحمل السُّفراء العرب للمشاركة فى هذه الصلاة التاريخية .

وكان للمعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد مشاركة عظيمة فى هذا اللقاء الفكرى ؛ فقد أسهم بجهد كبير فى الاعداد له ، والدعوة إليه ، والعمل فيه .

٢ — الأسبوع الثقافى المصرى بمدينة إشبيلية :

وهو الأسبوع الذى بدأ فى الثامن والعشرين من شهر مايو سنة ١٩٧٤ ، والذى دعت للاحتفال به الادارة الثقافية بمؤسسة الادخار بإشبيلية ، وشارك فى نشاطه المكتب السياحى المصرى بمدريد ، والمعهد المصرى للدراسات الاسلامية بها ، تحت رعايـة السيد / حسن سرى عصمت السفير المصرى بإسبانيـا فى ذاك الوقت .

وقد تضمن برنامج هـذا الاسبوع إلقـاء بعض المحاضرات ، وعرض بعض الأفـلام ، وإقامة معرض للفن المصرى ، ثم لقـاءات فكرية على مدى الأسبوع .

وقد شارك المعهد المصرى فى نشاط هذا الأسبوع بالمحاضرة الافتتاحية التى ألقاها الأستاذ الدكتور أحمد هيكل مدير المعهد ، وعنوانها : « العلاقات الثقافية بين مصر وإسبانيا » ثم بالاسهام فى كل اللقـاءات الفكرية التى تمت حينذاك فى المدينة الأندلسية ، وكان محورها « الثقافة العربية والاسلامية ، ووسائل تنميتها فى إشبيلية » .

٣ — الأسبوع الثقافى المصرى بمدينة وِلْبَة :

وهذا الأسبوع بدأ من السابع عشر من شهر فبراير سنة ١٩٧٥ ، ودعت للاحتفال به الادارة الثقافية لمؤسسة الادخار بالمدينة الأندلسية « ولبة » وأسهم فى هذا الاحتفال ، المكتب السياحى ، والمعهد المصرى بمدريد ، وأقيم الاحتفال تحت رعاية السيد / حسن سرى عصمت السفير المصرى حينذاك .

وتضمن برنامج هذا الأسبوع محاضرات وعروضا سينمائية ، ومعرضاً للفن التشكيلى والفنون التقليدية المصرية . هذا بالاضافة إلى عدة لقاءات فكرية .

وقد أسهم المعهد المصرى فى أنشطة هذا الأسبوع بالمحاضرة الافتتاحية التى ألقاها الأستاذ الدكتور أحمد هيكل ، وكان موضوعها « الروابط المصرية الاسبانية عبر العصور » . كما أسهم فى كل اللقاءات الفكرية التى تمت فى ولبة خلال الأسبوع الثقافى المصرى بها . وكان محور هذه اللقاءات مكانة « ولبة » فى التاريخ الأندلسى ، ووسائل إحياء موروثها الإسلامى العربى .

وكما نجح لقاء إشبيلية نجح لقاء ولبة ، بل كان أكثر نجاحاً ، بفضل جهود الأستاذ عبد الرحمن سليم رئيس المكتب السياحى المصرى بمدريد ، والدكتور جمال عبد الكريم الأستاذ المصرى بجامعة إشبيلية ، وبفضل تقديم كل المساعدات بكرم بالغ من جانب مؤسسة الادخار فى ولبة والمسئولين بها .

د ـ تعليم اللغة العربية :

واصل المعهد تقديمه لدروس اللغة العربية للراغبين من الاسبان وغيرهم من أوربيين وأمريكيين . . وهذه الدروس تقدم فى مستويين ، مستوى المبتدئين ، ومستوى المتقدمين .

وقد كان الاقبال كبيراً على هذه الدروس ، حتى بلغ عدد الدارسين فى عام ٧٤ سبعين دارساً ، ثم زاد العدد فى عام ٧٥ فتجاوز المائة . . وكثير من الدارسين من طلبة الجامعات ، وبعضهم من رجال الأعمال ، الذين بدأ اهتمامهم بالعالم العربى يزداد للمكانة المرموقة التى احتلها أخيراً فى المجال الدولى ، وخاصة فى الجانب الاقتصادى . على أن بعض الدارسين من هواة اللغة والثقافة العربية ، دون أن يكونوا من طلبة الجامعات أو من أصحاب المصالح المرتبطة بالعالم العربى .

وقد ساعد على ازدياد الاقبال على دروس اللغة العربية بدء المعهد فى طبع كتاب لتعليمها للأجانب وخاصة الناطقين بالاسبانية . وهذا الكتاب من تأليف الدكتور أحمد هيكل مدير المعهد ، وتصل دروسه أولا بأول إلى أيدى الدارسين ، مما يساعدهم على التعلم والاستذكار والاستيعاب .

هـ ـ الاحتفالات الثقافية :

١ ـ الاحتفال بذكرى نصر اكتوبر :

وقد احتفــل المعهد بهذه الذكرى المجيدة احتفالا يناسب طبيعته ووظيفته ـ كمؤسسة ثقافية ـ ولذا كانت فقرات الاحتفــال ، ما بين ندوة فكرية ، ومعارض فنية ، وبعض العروض السينمائية .

أما الندوة الأدبية فقد عقدت بقاعة المعهد الرئيسية ـ قاعة طه حسين ـ حيث اجتمعت الجالية المصرية والعربية وكثير من الضيوف الاسبان ، وقد تقدم الجميع السيد / حسن سرى عصمت سفير مصر حينذاك ، والسيد / الدكتور سامى الدروبى سفير سوريا فى ذاك الوقت . . واستمع الحاضرون إلى محاضرة عن « أبعاد حرب اكتوبر » ألقاها الأستاذ الدكتور أحمد هيكل مدير المعهد ، كما استمعوا إلى كلمة

عن « ذكريات عن هذه الحرب » ألقاها الدكتور سامى الدروبى . . ثم استمعوا إلى كلمات وتعقيبات من الدكتور الطاهر مكى الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، والدكتور عفيفى محمود الأستاذ بكلية علوم المنصورة ـ اللذين كانا بالعاصمة الاسبانية لبعض المهام فى تلك الفترة ـ والسيد / عبد الله جمال الدين رئيس رابطة الدارسين المصريين فى إسبانيا فى ذاك التاريخ . . ثم ختمت الندوة بإلقاء بعض الأشعار الوطنية .

وأما المعارض ، فقد نظم المعهد منها فى هذه المناسبة المجيدة ثلاثة ، أولها معرض للصور الشمسية المصورة للمعركة ، منذ عبور القناة إلى تحطيم دبابات العدو وإسقاط طائراته ، إلى اجتياح الساتر الترابى وتدمير خط بارليف ورفع الأعلام المصرية على سيناء ، إلى أسْر أعداد كبيرة من الجنود والقواد الاسرائيليين المستسلمين .

وثانى المعارض معرض فنى تشكيلى أعد قطعه الفنية الدارسون المصريون للفن فى إسبانيا ، وقد قدموا أعمالا طيبة من التصوير والنحت والحفر ، مثلت معرضا متكاملا . والذين اشتركوا بأعمال فى هذا المعرض هم :

السيد / أحمد نوار ، والسيد / رياض سعيد ، والسيد / عبد الفتاح العزازى ، والسيدة / ماجدة حسن ، والسيد / محسن جرجس ، والسيد / مصطفى عبد المعطى ، والسيدة / وفاء مسلم . وقد شارك فى هذه المعارض ببعض الأعمال الأستاذ محمد صبرى الفنان التشكيلى الكبير والعضو الفنى بالمعهد .

وثالث المعارض التى قدمت فى هذه المناسبة معرض فنى مصرى ، قدمت فيه نماذج من الآثار المصرية ، ونماذج من الصناعات الفنية التقليدية .

وقد افتتح المعارض الثلاثة ـ التى نسقت بالجناح الأيمن من مبنى المعهد ـ السيد / حسن سرى عصمت سفير مصر فى اسبانيا حينذاك .

وأما العروض السينمائية ، فقد تمت فى المساء حيث عرض فيلم وطنى ، هو « شروق وغروب » كما عرض فيـلم تسجيلى عن معالم حضارة مصر ، وهو فيـلم « أرض العجائب » . وكان هذا الاحتفـال فى يوم التاسع من أكتوبر سنة ١٩٧٤

٢ — الاحتفال بذكرى عميد الأدب العربى المرحوم الدكتور طه حسين :

أقام المعهد احتفالا ثقافيـاً جليلا بمناسبة ذكرى وفاة هذا الرائد العربى الفكرى الأدبى الكبير . . وقد تمثل الاحتفـــال فى فقرتين ، الأولى ندوة أدبية عقدت بالقاعة الكبرى بالمعهد ، حيث اجتمع كثير من المثقفين العرب والمصريين والاسبان من عارفى قدر طه حسين ، واستمعوا إلى محاضرة عن عميد الأدب العربي ألقـاها الدكتور أحمد هيكل مدير المعهد وعنوانهـا « طه حسين إنسانا وأديبا » . . ثم استمعوا إلى مختارات من أدب طه حسين ألقيت بالعربية والاسبانية ، واشترك فى إلقائهـا السيد/ سليمان العطار ، والسيدة/ مآثر قنديل عضوا البعثـة المصرية فى إسبانيا ، وأسهمت معهما المستشرقة الدكتورة كارمن رويث مترجمة « مذكرات طه حسين » إلى الاسبانية ، وهى المذكرات التى نشرها المعهد من قبل .

ثم أنشدت بعض الأشعار التى قيلت فى رثاء الفقيد العظيم ، ومن تلك الأشعار قصيدة للسيد/ أحمد عبد العزيز عضو بعثة كلية آداب القاهرة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة مدريد .

وأما الفقرة الثانية من الاحتفال فقد تمثلت فى إقامة معرض لكتب طه حسين ، وآخر لصور فوتغرافية تمثل مراحل ومواقف تاريخية من حياته . ومن أهم هذه الصور صورة له وهو يفتتح المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد

سنة ١٩٥٠ . . وكل من معرض الكتب والصور قد نُسق فى البهو الرئيسى للمعهد . . وكان الاحتفال يوم ٢٠ من شهر مارس سنة ١٩٧٥ ، وجاء متأخراً عن الموعد الدقيق للذكرى السنوية ، وذلك لأن الاحتفـال الرسمى فى مصر ـ على المستوى العربى والدولى ـ قد كان فى ذاك الشهر ، فـآثر المعهد أن يكون احتفاله صدى لما يحدث فى الوطن .

٣ — الاحتفال بالعام العالمى للمرأة :

وهو الاحتفـال الذى شرفته وافتتحته بمبنى المعهد بمدريد ، سيدة مصر الأولى السيدة / جيهـان السادات ، وبصحبة سيادتهـا الوفد الذى مثل مصر ـ بعد ذلك ـ فى المؤتمر الدولى للمرأة بالمكسيك . .

وفى هذا الاحتفال نظم المعهد ثلاث فقرات ، أولها ندوة فكرية عن المرأة ، والثانية معارض من وحى المرأة ، والثالثة لقاء مع الدارسين المصريين بإسبانيا .

أما الندوة فقد عقدت فى قاعة طه حسين ، وألقت كلمة الافتتاح بها سيدة مصر الأولى متحدثة عن « عام المرأة ودور مصر فيه » ثم تحدثت الأستاذة الدكتورة عائشة راتب وزيرة الشئون الاجتماعية بمصر عن « تطور المرأة المصرية » كما تحدث الدكتور أحمد هيكل عن « مكانة المرأة فى التقـاليد الاسلامية » .

وأما المعارض فكان أولها للفن التشكيلى المستلهم لموضوع المرأة ، وقد شارك فيه الدارسون المصريون للفن بإسبانيا بمجموعة من أعمال الرسم والنحت والحفر ، مع أعمال من إنتـاج بعض الفنانين المصريين الذين درسوا قديمـاً فى مدريد ، بالاضافة إلى بعض أعمال الفنان محمد صبرى العضو الفنى بالمعهد ، الذى عمل صورة « بالباستيـل » لسيدة مصر الأولى . . وهكذا عرضت فى المعرض التشكيلى أعمـال للسادة :

محمد صبرى ، ومحمد العزازى ، وأحمد نوار ، وجيهـان حسين ، ورياض سعيد ، وعبد الفتـاح العزازى ، وعبد المنعم محمد ، وماجدة حسن ، ومحسن جرجس ، ومصطفى عبد المعطى ، ووفاء مسلم .

وكان ثانى المعارض لرسوم تلميذات مصريات لا يتجاوزن الثـانية عشرة .

ثم كان ثالث المعارض معرض صور فوتغرافية يمثل تطور المرأة المصرية ونشاطها فى شتى المجالات ، من الحقل إلى الوزارة ، ومن المصنع إلى مجلس الأمة ، ومن المدرسة الابتدائية إلى قاعة الجامعة ، ومن ساحة الرياضة إلى ميدان المعركة . . كما ضم هذا المعرض صورا لزعماء وزعيمات حركة نهضة المرأة فى مصر ، مثل رفاعة الطهطاوى ، وقاسم أمين ، وصفية زغلول ، وهدى شعراوى .

وقد افتتحت هذه المعارض سيدة مصر الأولى ومعها الوفد المصرى والسادة الذين حضروا من قبـل الندوة الفكرية . وكان من هؤلاء أعضاء السلك السياسى ـ وخاصـة السفراء العرب ـ وقرينـاتهم ، ومندوبون عن وزارات الخارجية والتعليم والإعلام الإسبانية ، ورجال الفكر والثقافة والجامعات فى مدريد ، وممثلون للحركة النسائية فى إسبانيا ، والجالية العربية ، وأسرة السفارة المصرية ، وعدد كبير من المثقفين الاسبان .

أما لقاء الدارسين المصريين بسيدة مصر الأولى ، فقد كان لقـاء أسريا ، لتتعرف سيادتهـا على أحوال هؤلاء الدارسين ، ولتعطيهم صورة عما يجرى فى بلدهم الحبيب . وقد ألقى فيه كلمة الدارسين السيد/ عبد الله جمال الدين رئيس رابطة الدارسين المصريين فى إسبانيا حينذاك .

وكان هذا الاحتفال فى السادس عشر من شهر يونيه سنة ١٩٧٥ . . وكان لتشريف سيدة مصر الأولى له أثر كبير فى نجاحه ، كما كان لهذا التشريف دفعة للنشاط الثقـافى المصرى بإسبانيا ؛ حيث تناقلت أخبار المعهد وتشريف

سيدة مصر الأولى له محطات الإذاعة والتليفزيون ، ومختلف الصحف والمجلات ، التى أجرت أحاديث وعقدت مؤتمرات ونشرت تحقيقات مع السيدة حرم رئيس مصر ، كان لها أجمل الأثر فى إسبانيا .

و ـ المعـــارض :

نظم المعهد خلال تلك الفترة عدداً من المعارض، منها ما جاء ضمن احتفالات ثقافية فى مناسبات معينة ، ومنها ما جاء مستقلا كنشاط فنى مقدم لذاته . . وقد مضت أنباء ما جاء من تلك المعارض ضمن احتفالات ثقافية ، وبقى نبأ ما جاء مستقلا ، ولزم تسجيل خبره فى هذا الباب الخاص بأنباء المعهد . . وربما يحسن أن نقدم فى هذه السطور بياناً بكل المعارض التى نظمها المعهد فى سنتى ٧٤ و ٧٥ ؛ ليأتي خبرها متكاملا ، مع الاعتذار عما قد يكون من تكرار غير مقصود ، وإنما حتمته عملية تنظيم الأخبار . . وفيما يلى جملة المعارض :

١ — « معرض ذكرى نصر أكتوبر » بفروعه الثلاثة .

٢ — « معرض ذكرى طه حسين » بفرعيه .

٣ — « معرض عام المرأة » بفروعه الثلاثة .

٤ — « معرض اللوحات المصرية بالنحاس المطروق » . وهو معرض لأعمال فنان إسبانى تخصص فى عمل لوحات بارزة بهذا المعدن . . وقد أنجز عدداً من هذه اللوحات ، تستلهم الآثار المصرية الفرعونية . فرأى المعهد ـ تكريماً له وللفن المصرى ـ أن يقيم لهذه اللوحات معرضاً فى مبناه ، بمناسبة افتتاح « معرض الفن المصرى » الذى أقامته الحكومة الإسبانية ـ بقاعة العرض الكبرى بالمكتبة الوطنية بمدريد ـ وقدمت فيه مجموعة كبيرة من الآثار المصرية الفرعونية ، وذلك فى نوفمبر سنة ١٩٧٥ .

أما « معرض اللوحات المصرية بالنحاس المطروق » فقد أقيم بالجناح الأيمن بمبنى المعهد المصري ، وافتتحه مساء الرابع من ديسمبر سنة ١٩٧٥ السيد/ سفير جمهورية مصر العربية بإسبانيا الأستاذ محمود عبد الغفار . وحضر حفل الافتتاح عدد من أعضاء السلك السياسي ، ورجال الجامعات والثقافة والفن والإعلام ، كما حضره عدد كبير من أبناء الجالية العربية ، وجمهور من الاسبان المثقفين أصدقاء المعهد وعشاق الفن المصري .

ز - العروض السينمائية :

عرض المعهد في تلك الفترة مجموعـة من الأفلام الروائية المصرية . وكان عرض هذه الأفلام يتم أحياناً في دار المعهد ، وأحياناً أخرى في قاعات عرض ثقـافية إسبانية في مدريد أو في غيرها . وفيما يلي أسمـاء الأفلام الروائية التي عرضت في تلك الفترة ، مع بيان مكان العرض وتاريخه :

١ — « الخيط الرفيع » بالمدرسة الرسمية للغات بمدريد ، في ٢٠/٢/٧٤
ثم بقاعة السينما بأتنيو مدريد ، في ١٣/٥/٧٥

٢ — « إمبراطورية ميم » بمعهد التربية الاسباني بمدريد في ١١/٣/٧٤

٣ — « غروب وشروق » بالمعهد المصري بمدريد ...... في ١٩/١٠/٧٤
ثم بالمركز الجامعي الإسباني بمدينة قادس .... في ١٥/٤/٧٥

٤ — « شيء من الخوف » بالمعهد المصري بمدريد ...... في ١٧/٣/٧٥

٥ — « الشيماء » بالمدرسة الرسمية للغات بمدريد .... في ٢٣/٤/٧٥

٦ — « أين عقلي » بالمعهد المصري بمدريد .... في ٢٠/٨/٧٥

٧ — « بين الأطلال » بالمعهد المصري بمدريد .... في ٢٩/٨/٧٥

كذلك عرض المعهد مجموعة من الأفلام التسجيلية المصرية ، كانت تقدم أحياناً كتمهيد للأفلام التسجيلية فى المعهد أو فى غيره من المؤسسات الثقافية الأخرى ، كما كانت تقدم أحياناً أخرى مستقلة ، كما حدث بالنسبة لفيلم « المجاديف من فضة » الذى عرض فى مهرجان الأفلام البحرية بقرطاجنة بشرق إسبانيا فى ٢٥/١١/٧٥ ، وكما حدث بالنسبة لباقى الأفلام ، التى عرضت فى إحدى قاعات المكتبة الوطنية بمدريد بمناسبة افتتاح « معرض الفن الفرعونى » بالقاعة الكبرى لتلك المكتبة . . وفيما يلى أسماء الأفلام التسجيلية :

١ — « أرض العجائب »

٢ — « المجاديف من فضة »

٣ — « الحياة على ضفاف النيل »

٤ — « الفلاح الفصيح »

٥ — « كان يا ما كان »

٦ — « قناة السويس من أجل السلام »

٧ — « فى خان الخليلى »

ح ـ تدريس المناهج المصرية لأبناء المصريين والعرب :

نظم المعهد دروساً فى المناهج المصرية ، لأبناء المصريين والاخوة العرب العاملين بإسبانيا . وهذه الدروس تمكِّن هؤلاء التلاميذ من متابعة دراساتهم المصرية والعربية ، وتتيح لهم التقدم للامتحانات التى تبعث بها وزارة التربية المصرية ، لكى تجرى فى مدريد ، ويتم تصحيحها فى القاهرة ، وينال التلميذ بمقتضى ذلك حقه فى التدرج فى صفوف التعليم العام بالوطن الأم . . ويتلقى هذه الدروس تلاميذ الصفين الإعدادى والثانوي .

وقام بإعطاء هذه الدروس السيد/سليمان العطار ، والسيد/عبد الله جمال الدين ، والسيد/أحمد عبد العزيز ، والسيد/محمد شتيـلة ، والسيدة/عزة عبد الودود . وهم من الدارسين المصريين فى إسبانيا .

ط - تعليم اللغة الاسبانية للمبعوثين المصريين :

كذلك نظم المعهد دروساً فى اللغــة الإسبانية للمبعوثين المصريين الجدد ، الذين يفدون على إسبانيا دون معرفة باللغة الإسبانية ، ويحتاجون - بالضرورة - فى معيشتهم ودراستهم وشتى شئونهم فى مقر بعثتهم إلى مستوى من المعرفـة بلغة البلد الذى يعيشون ويدرسون فيه ، وخاصة حين يكون قدومهم إلى إسبانيا فى وقت تكون معاهد اللغات فيه قد مضت شوطاً فى دراستها ولا يكون من السهل متابعة دروسها .

ى - رعاية المبعوثين والدارسين من أبناء مصر :

واصـــل المعهد رعايته للمبعوثين المصريين ، سواء منهم الذين اختارتهم الحكومة المصرية ليدرسوا على نفقتها فى إسبانيا ، والذين اختـارتهم ليدرسوا على منح مقدمة للدولة من الحكومة الإسبانية . كما رعى المعهد أيضاً عدداً من الدارسين المصريين بعضهم نالوا منحا إسبانية بصفة شخصية ، وبعضهم يدرس على نفقته الخاصة ولكنه تحت إشراف إدارة البعثات المصرية .

وبلغ عدد هؤلاء المبعوثين والدارسين فى العامين ٧٤ و ٧٥ نحو خمسين . وقد تعددت تخصصاتهم ما بين لغة وأدب وتاريخ وقانون وفن وسياحة وسينما وطب وهندسة .

ثانيا ـ أنباء العلاقات الثقافية :

أ ـ توقيع البرنامج التنفيذى للاتفاقية الثقافية :

بين مصر وإسبانيا اتفاقية ثقافية منذ سنة ١٩٥٢ ولهذه الاتفاقية برنامج تنفيذى يجدد كل سنتين ، وتتم المفاوضات بشأن مواده والتوقيع عليه مرة فى مدريد ومرة فى القاهرة . وكان سبتمبر سنة ١٩٧٤ هو الشهر الذى تم الاتفاق عليه للمفاوضة بشأن البرنامج الجديد وتوقيعه ، وكان المكان هذه المرة هو مدريد .

وقد كان الوفد المصرى للمفاوضة بشأن هذا البرنامج وتوقيعه فى العاصمة الإسبانية مكونا من السيد/ السفير حسن سرى عصمت سفير مصر بإسبانيا فى ذلك الوقت ، والدكتور أحمد هيكل المستشار الثقافى ومدير المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد ، والأستاذ مرسى سعد الدين مدير العلاقات الثقافية الخارجية بوزارة الثقافة المصرية حينذاك ، والسيدة/ سهام الشنوانى العضو الفنى بإدارة العلاقات الثقافية بالخارجية المصرية . كما كان الوفد الإسبانى مكوناً من السيد/ خوسيه لويس مِسِيّا مدير عام العلاقات الثقافية والوزير المفوض بالخارجية الإسبانية ، والسيد/ فرانثيسكو خوسيه بالانكا مدير الشئون العامة والوزير المفوض بالخارجية الإسبانية ، والسيد/ إنريكى سوبخانو رئيس قسم التبادل والتعاون بوزارة التربية والعلوم الإسبانية ، والسيد/ فليكس أبال جارثيا رئيس قسم العلاقات الثقافية بالمنظمة العامة للشباب بإسبانيا ، والسيد/ خِرْمان بوراس رئيس

إدارة الفنون والثقافة الشعبية بوزارة الإعلام الاسبانية . وكان مع الوفد الإسبانى عدد من المستشارين والفنيين .

وفى اليوم الثالث والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٩٧٤ بدأت المفاوضات بين الوفدين بإحدى قاعات الخارجية الاسبانية ، واستمرت الجلسات فى الأيام التالية حتى يوم السابع والعشرين ، حيث وُضع البرنامج فى صيغته النهائية ، ثم تم التوقيع عليه من السيد/ السفير المصرى ، والسيد/ مدير عام العلاقات الثقافية بالخارجية الاسبانية ممثلين لبلديهما ومفوضين فى هذا التوقيع .

وقد تم التوقيع على البرنامج فى حفل أقامته الخارجية الاسبانية فى فندق « بارادور » بمدينة طليطلة ، حضره الوفدان المصرى والإسبانى وعدد من رجال الفكر والفن والإعلام . وذلك فى مساء السابع والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٧٤ .

ب - عروض فرقة رضا للفنون الشعبية باسبانيا :

حضرت فرقة رضا للفنون الشعبية إلى إسبانيا فى شهر يوليه سنة ١٩٧٤ . وقدمت عروضاً فى مدن عديدة بها . . وقد بدأت هذه العروض بحفل افتتاحى بمسرح « ثارثويلا » بمدريد فى ليلة ٩ يوليه ، وكان هذا الحفل شبه رسمى ، دَعت سفارة مصر إليه الوزراء الاسبان وكبار الشخصيات الرسمية والثقافية فى العاصمة الاسبانية . . وكان نجاح هذا الحفل عظيماً ، كما كان ما كتب عنه من تعليقات فى الصحف الإسبانية مشرفا .

ثم قدمت الفرقة فى مدريد عرضين فى اليوم التالى ١٠ يوليه ، وبعد ذلك تنقلت فى أقاليم إسبانية شتى ، حيث قدمت عروضاً شاركت بها فى مهرجان الرقص والموسيقى الذى ينظم سنوياً فى إسبانيا .

وقد لقيت عروض فرقة رضا نجاحـا وتقديرا ، وتلقاها الجمهور الإسبانى ـ الذى شاهدها لأول مرة ـ بترحيب وإعجاب .

جـ ـ معرض الفن الفرعونى فى إسبانيا :

تنفيذاً للبرنامج التنفيذى للاتفاقية الثقافية ؛ تمت إقامة « معرض الفن الفرعونى » فى إسبانيا . حيث أعارت مصر للدولة الصديقة عدداً طيباً من قطع الآثار المصرية ، تمثل العصور المختلفة منذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد .

وقد أحضرت الحكومة الإسبانية هذه القطع فى طائرة خاصة مجهزة لهذا الغرض ، وأمّنت على هذه الثروة التاريخية الإنسانية ، ثم أضافت إلى هذه القطع عدداً آخر من الآثار المصرية المحفوظة فى متاحف إسبانيا ، حتى بلـغ مجمـوع القطع مائتين . . . وخصصت أكـبر قاعة للعرض فى المكتبة الوطنية بمدريد لتنسيق هذه الآثار ، مع عمل ما يلزم لها من « ديكورات » وإضاءة ووسائل أمن .

وقد قام بالعمل العلمى والفنى الرئيسى من الجانب الإسبانى الأستاذ مارتين ألماجْرو أستاذ المصريات الشهير ، ومدير متحف الآثار بمدريد ؛ والمشرف العام على هذا المعرض . كما أعد كتاباً قيما قدم فيه كل قطعة من القطـع المعروفة بصورتها ودراسة موجزة عنها ، كما قدم لكل القطع بتمهيد علمى عن الآثـار المصرية وقيمتها التاريخية والحضارية ، وعرّف بالمعرض وفكرته وغايته ولجانه ، مسجلا أن له لجنتى شرف إحداهما مصرية برياسة الرئيس السادات والثانية إسبانية برياسة الزعيم فرانكو .

وقد افتتح المعرض بالعاصمة الاسبانية السيد/ وزير التربية والعلوم الإسبانى فى الخامس من شهر نوفمبر سنة ١٩٧٥ ، ومعه السيد/ محمود عبد الغفـار سفير

جمهورية مصر العربية ، وعضو لجنة الشرف المصرية ، والدكتور أحمد هيكل المستشار الثقافى وعضو اللجنة أيضاً . وحضر الاحتفال أعضاء السلك السياسى العربى والأجنبى ، ورجال الثقافة والفكر والإعلام ، وجمهور غفير من الإسبان والعرب ، وأصدقاء الفن المصرى من مختلف الجنسيات .

ومن المقرر أن يظسل هذا المعرض بمدريد شهرين ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى سرقسطة لمدة شهرين آخرين ، يغادرها بعدهما إلى برشـلونة ليعرض على جمهورها نحو هذه المدة .

وقد صَحِبَ الآثار المصرية ، وشارك فى تنسيقها ورعايتهـا الأستاذ ابراهيم النواوى الأمين الأول بالمتحف المصرى بالقـاهرة ، والأستاذ محمد فهمى عبد الوهاب رئيس قسم الترميم بالمتحف نفسه .

وشارك المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد فى الحفـاوة « بمعرض الفن الفرعونى » فأقام ـ بالاشتراك مع المكتب السياحى والمكتب الصحفى لسفارة مصر بمدريد ـ معرضـاً جانبياً فى قاعـة مجـاورة للقاعة الكبرى التى تضم الآثار المصرية . وقد نسقت فى هذا المعرض الجانبى لوحات فنية وتمـاثيل وملصقات وصور ، تمثـل مصر العربية والإسلامية القديمة والحديثة ؛ لتكمل بهذا المعرض الجانبى صورة مصر لدى الزائر . . وقام بتنسيق مواد هذا المعرض الأستاذ محمد صبرى العضو الفنى بالمعهد المصرى ، الذى قدم بعض لوحاته الممثلة لمناظر مصرية لتعرض ضمن المواد الفنية .

كذلك نظم المعهد ـ بالاشتراك مع المكتبين الصحفي والسياحى المصريين ـ عرض سلسلة أفلام مصرية تسجيلية ، تقدم فى أمسيات معينة بقاعة خاصة ملاصقة للمعرض .

وقد قدم إلى إسبانيـــا وفد ثقافى أثرى مصرى للمشاركة فى احتفال إسبانيا بهذا المعرض ، وكان هذا الوفد يتـألف من الأستاذ الدكتور جمـال

الدين مختار وكيل وزارة الثقافة ورئيس هيئة الآثار المصرية ، والأستاذ عصام الدين الحينى وكيل وزارة الثقافة ومدير العلاقات الثقافية الخارجية ، والأستاذة الدكتورة سعاد ماهر عميدة كلية الآثار بجامعة القاهرة ، والأستاذ ابراهيم رشيد مدير قطاع المتاحف بوزارة الثقافة ، والأستاذ عبد الرحمن عبد التواب مدير الآثار الإسلامية ، والأستاذ كمال الملاخ الأثرى والكاتب بجريدة الأهرام . وكان قدوم هذا الوفد يوم ٢٥/١١/٧٥ وظل فى إسبانيا نحو أسبوع قام خلاله بعدة لقاءات ثقافية مع المسؤلين الإسبان ، كما ألقى الدكتور جمال مختار محاضرة عن الآثار المصرية ، فى القاعة المجاورة للمعرض . ثم زار الوفد المصرى الأندلس ، ورجع إلى مدريد ليعود إلى مصر فى يوم ٣/١٢/٧٥ .

ثالثا ـ أنباء ثقافية إسبانية عربية :

أ ـــ استقبال الأستاذ خايمى أوليبَر أسين عضواً فى الأكاديمية :

فى حفل علمى جليـــل ، استقبلت الأكاديمية الملكية التاريخية الإسبانية بمدريد ، المستشرق الإسبانى ، الأستاذ « خايمى أوليبر أسين » بعد اختيـــاره عضوا فيها . وفى هذا الحفـــل الذى حضره أعضاء الأكاديمية وكثير من رجال الجامعات والمفكرين وخاصة المستشرقين ؛ ألقى رئيس الأكاديمية كلمـــة ترحيب بالعضو الجديد ، ثم ألقى المحتفل به بحثه الأكاديمى الذى تقتضى تقاليد الأكاديمية أن يلقى مثلَه أيٌّ عضو جديد ، ليتم إنضمامه بصفة عملية إلى جملة أعضائها .

وكان عنوان بحث الأستاذ «خايمى» هو : « حول أصول قشتالة ـ أسماؤها وعلاقتها بالعرب والبربر » . وقد جاء البحث ضافيا ومعبرا عن جهد ، ومقدما لكثير من الجديد فى حقله . ثم ألقى كلمـــة الأكاديمية فى الرد على العضو الأستـــاذ « إميليو جارثيـــا جومث » الذى جمعت كلمته بين الحديث الانســـانى الرقيق ، والمنطق العلمى الدقيق . وفى جانب الحديث الانسانى فصل الأستاذ « جارثيـــا جومث » القول عن المحتفل به وعلاقته القديمـــة معه ، منذ كانا يافعين يخطوان خطواتهما العلمية الأولى فى رحاب بيت المستشرق العظيم ، المرحوم «أسين بلاثيوس» خال المحتفل به ، والأستاذ الأول « لجارثيا جومث » . . أما الجانب العلمى ، فقد عرض فيه الأستاذ « جومث » لأهم المنجزات العلمية للأستاذ « خايمى » ، مشيدا بجهوده الخصبة وإضافاته العظيمة .

وكان هذا الحفل ، بعد ظهر الرابع والعشرين من شهر مارس سنة ١٩٧٤